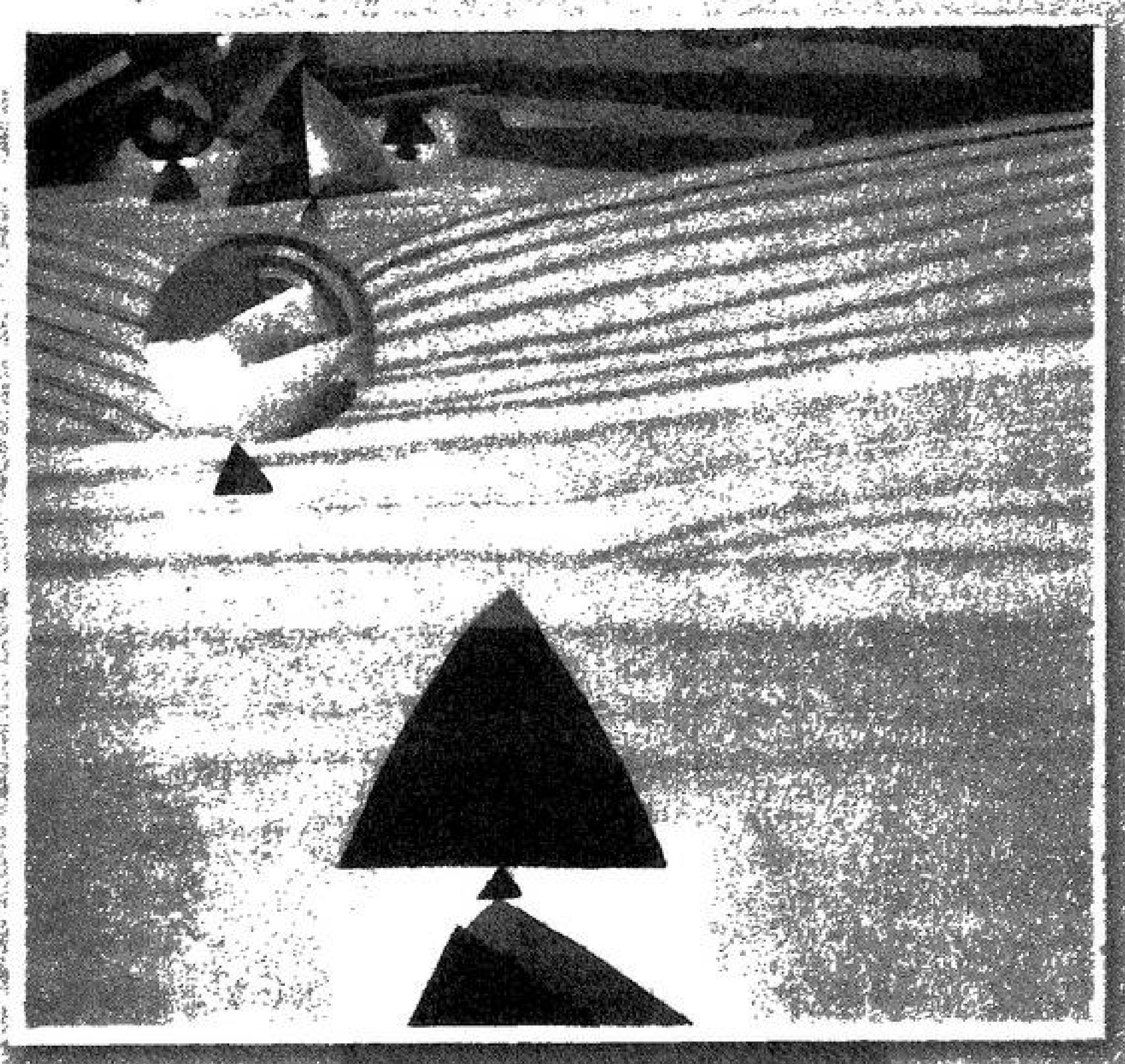
الدكتور حلمي خضر ساري

ثقافة الانترنت

دراسة في التواصل الاجتماعي





ثقافة الإنترنت

دراسة في التواصل الاجتماعي

ثقافة الإنترنت

دراسة في التواصل الاجتماعي

الدكتور
حلمي خضر ساري



الطبعة الأولى

1426هـ / 2005م

رقم الإيداع: 2005/5/1209

رقم الإجازة: 2005/5/1181

ردمك: ISBN 9957 – 02 – 191 – 5

دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

تليفاكس: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩

ص . ب ١٧٥٨ الجبيهة ١١٩٤١

عمان – الأردن

Dar Majdalawi Pub.& Dis.

Telefax: 5349497 - 5349499

P.O.Box: 1758 Aljubaiha

11941 Amman- Jordan

www.majdalawibooks.com

E-mail: customer@majdalawibooks.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار الناشره.

تنفيذ وطباعة بيروت - لبنان - تلفاكس: ٠٠٩٦١١ ٢٧٢٢٢٥ خليوي: ٠٣٣٤٦٤٨-٣١٤١٢٤ / ٠٠٩٦١٣

الإهداء

إلى الشباب العربي

حماة الهوية الثقافية

من لسعات العولمة

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثامن

مقدمة

جاءت فكرة هذه الدراسة حين كنت في جامعة قطر لقضاء إجازة سنة التفرغ العلمي التي منحتني إياها الجامعة الأردنية في العام الدراسي (2002–2003). إذ شد انتباهي في تلك الأثناء مدى التغير الاجتماعي الذي يشهده المجتمع القطري في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والإنترنت؛ ولفت انتباهي بشكل أكثر إقبال الشباب على استخدام الإنترنت داخل الجامعة وخارجها، وبشكل خاص في مقاهي الإنترنت المنتشرة في كافة أرجاء مدينة الدوحة.

وقد حفّزتني هذه المشاهدات، وبخاصة إقبال الشباب على الإنترنت، على القيام بهذه الدراسة، بهدف التعرّف على التأثيرات النفسية والاجتماعية التي يتركها هذا النوع من الاتصالات على الشباب، فشرعت بإجراء هذه الدراسة على هذه الشريحة الاجتماعية الرئيسية في هذا المجتمع.

ولقد كان البحث في هذا المجال مضنياً ومستنزفاً للجهد والوقت، فالدراسات الاجتماعية في المجتمع العربي التي تعنى بتحليل ثقافة الاتصال الالكتروني على الشباب في المجتمع القطري، والمجتمع العربي ككل، تكاد تكون في حقيقة الأمر شبه معدومة. فكان لابد من مراجعة الأدبيات المتعلقة بهذا الموضوع باللغة الإنجليزية، الأمر الذي جعل هذا البحث يستغرق زهاء سنتين ونصف السنة من العمل.

وتقع الدراسة في ثمانية فصول، تناول الفصل الأول منها الإنترنت كوسيلة اتصال من منظور سوسيولوجي؛ حيث تمت معالجة خصائصه ومزاياه التي تجعل منه وسيلة اتصالية من نوع فريد. واما الفصل الثاني، فقد خصصناه لدراسة خصائص الشباب القطري، موضوع الدراسة، من حيث أعمارهم ومستوياتهم التعليمية، وأوضاعهم الاجتماعية، والمهنية، إضافة إلى تحليل طبيعة علاقاتهم الأسرية والعائلية.

وتناول الفصل الثالث، الانترنت والاتصال الشخصي والجماهيري، من حيث خصائص هذا النوع من الاتصال (الشخصي– المباشر)، ومزاياه، وأهميته في

المجتمع، ثم قارنا تلك الخصائص بخصائص الاتصال الذي يتيحه الإنترنت لمستخدميه من الشباب. كما عالج هذا الفصل أيضاً مدى تأثير الاتصال عبر الإنترنت، بوصفه نمطاً اتصالياً حديثاً في المجتمع، على نسقي الاتصال الشخصي ووسائل الاتصال الجماهيرية (كالتلفاز والراديو، والسينما والصحافة والكتب والمجلات).

وأما الفصل الرابع، فقد خصصناه للإنترنت والتفاعل الاجتماعي الأسري والعائلي؛ أي أنه عالج مدى تأثير الاتصال عبر الإنترنت على نسق التفاعل الاجتماعي بين الشباب وأسرهم وعائلاتهم؛ إذ أوضح هذا الفصل طبيعة التأثيرات التي تركها الإنترنت على العلاقات الاجتماعية التي تربط الشباب بأسرهم وعائلاتهم ومعارفهم.

وأما الفصل الخامس، فقد عالج الأبعاد النفسية لتأثيرات الإنترنت على الشباب، حيث تناول دور الإنترنت في عملية تشجيع الشباب على الإفصاح أو البوح عما في نفوسهم من مشكلات وإحباطات، وبخاصة العاطفية منها، إضافة إلى توضيح هذا الدور في زيادة ثقة الشباب بأنفسهم، ومدى رضاهم عن ذواتهم.

وفي الفصل السادس، ناقشنا التأثيرات الإيجابية التي تركها الإنترنت على الشباب في المجالات النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والدينية والفكرية. في حين عالج الفصل السابع التأثيرات السلبية للإنترنت على الشباب. وقد أوضح هذا الفصل حميمية العلاقات الاجتماعية والعاطفية التي كوّنوها من خلال الإنترنت، ومدى تأثير هذه العلاقات أيضاً على علاقاتهم مع أسرهم، وعلى حياتهم الزوجية. ثم تناول هذا الفصل أيضاً مشكلة العزلة النفسية والاجتماعية التي أوجدها الإنترنت عند الشباب، ولم يغفل تناول انعكاسات العولمة الثقافية / الإعلانية وما ولدته من إحساس بالاغتراب لديهم عن مجتمعهم. وأما الفصل الثامن والأخير، فقد قدمنا فيه وجهات النظر المعاصرة في ثقافة الإنترنت، وعرضنا فيه لنتائج الدراسة.

وهناك أشخاص كثيرون كان لهم فضل في إنجاز هذا العمل؛ فمن قطر أود أن أشكر من أعماق قلبي فريق البحث الميداني الذي قام بجمع المعلومات، على ما بذلوه من جهد ومشقة في هذه العملية. وأود أن أشكر أيضاً من أعماق قلبي السيد أنيس المشد من قسم الكمبيوتر في جامعة قطر لقيامه بالمهمة المضنية التي تتعلق

بإدخال البيانات إلى جهاز الحاسوب، فله مني جزيل الشكر، أينما كان على ذلك الجهد.

ومن الأردن أتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور خليل عليان من كلية التربية في الجامعة الأردنية على جهده القيم الذي بذله، والوقت الذي خصصه لمراجعة الجانب الإحصائي في هذا العمل، فله مني جزيل الشكر والتقدير.

وأما صاحب الفضل الكبير على هذا العمل فهو الأستاذ الدكتور صلاح جرار من قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية، فمهما قلت بحقه كلاماً عذباً فقد لا أكون موفقاً في نقل مشاعري إليه؛ إذ كان لحسه النقدي، وملاحظاته الحصيفة والدقيقة، دور كبير في إثراء هذا العمل، ولأن تقديري له، ومشاعري نحو "حاتميته" في الوقت الذي قضاه في مراجعة العمل يفوق الوصف بالكلام، فسأتوقف عن الكلام، فليعذرني على هذا التوقف.. كما وأود أن أشكر الدكتور إبراهيم عثمان أستاذ علم الإجتماع في الجامعة الأردنية، والدكتور سالم ساري استاذ علم الإجتماع بجامعة فيلادلفيا على ما أبدياه من ملاحظات قيمة في تنظيم إجزاء هذا العمل. جزا الله عنا الجميع كل الخير

والله الموفق أولاً وأخيراً

د. حلمي خضر ساري

عمان 2005/2/2

الإنترنت: مفهومه وتعريفه وتاريخه

يشعر المراجع للأدبيات المتعلقة بالإنترنت بحيرة كبيرة عند محاولته الخروج بتعريف موحد وشامل لهذه الوسيلة الاتصالية الإلكترونية الحديثة، فهناك وفرة من التعريفات التي يقدمها الخبراء والعاملون في مجال الاتصالات والحاسبات والمعلومات يكاد يكون من الصعب حصرها اوتعدادها.

وتعود أسباب هذه الوفرة إلى اختلاف التخصصات والاهتمامات واستخدامات كل واحد منهم لها. ومع ذلك فهناك اتفاق بينهم حول مفهوم الإنترنت وطبيعته. فهوبرأيهم دائرة معارف عملاقة تمكن المشتركين فيها من الحصول على معارف ومعلومات حول أي موضوع من الموضوعات التي يحتاجونها، سواء أكان ذلك على شكل نص مكتوب أم مرسوم أم على شكل خرائط، أوكان ذلك أيضاً عن طريق التراسل بواسطة البريد الإلكتروني. وتضم هذه الدائرة العملاقة الملايين من أجهزة الحاسوب التي تتبادل المعلومات فيما بينها. (ماريتا تريتر، 1996، عبد الملك الدناني، 2001).

كما يلاحظ أيضاً، من خلال استعراض التعريفات والمفاهيم التي يقدمها هؤلاء العاملون والمهتمون بدراسة الإنترنت، بأن هناك اتفاقاً بينهم على طبيعة هذه الشبكة المعلوماتية ومفهومها. فهي برأيهم وسيلة اتصال حديثة تتألف من مجموعة من الحواسيب المرتبطة في شبكة أوشبكات كثيرة، توفر مجموعة من الخدمات للمشتركين فيها؛ وتسمح لهم بالتنقل بطريقة حرة بين المواقع المسموح بها، ويتم نقل الملفات (سواء أكانت على شكل بيانات أم معلومات أم أخبار أم صور أم صوت أم تسجيل فيديوأم برامج إذاعية وتلفزيونية وحاسوبية) بين حاسوب وآخر دون الاعتماد على حاسوب مركزي للتوزيع لأنه لا يوجد هناك هيئة مركزية تتحكم بمحتويات هذه الوسيلة الاتصالية. (عبد الملك الدناني، 2001).

واستناداً إلى هذا الفهم لطبيعة الإنترنت ومفهومه فإن الدراسة ستعتمد التعريف التالي:

"الإنترنت هوتلك الشبكة الإلكترونية المكونة من مجموعة من الشبكات التي تربط الناس والمعلومات من خلال أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الرقمية

بحيث تسمح بالاتصال بين شخص وآخر، ما وتسمح باسترجاع هذه المعلومات" (Dimaggio, P. etal. 2001).

ولم ينتشر الاتصال بالإنترنت بوصفه شكلاً من أشكال الاتصال الإلكتروني الوسيطي الذي لا يتم إلاّ عبر وسائط أخرى كالكمبيوتر والتلفون (Computer Mediated Communication)[1] بالمفهوم الذي قدمه ديماجيووزملاؤه بشكل واسع وعلني بين الأفراد، إلا في مطلع التسعينيات، علماً أن بداياته الأولى ترجع إلى الستينيات ولكنها كانت سرية ومقصورة على المؤسسة العسكرية الأمريكية التي وظفته في خدمة أهدافها في حربها الباردة مع المعسكر الاشتراكي آنذاك[2] (Slevin, J. 2000).

وفي الحقيقة فإن الإنترنت كان قد ولد في جوالتحوّطات الاستراتيجية التي اتخذتها وزارة الدفاع الأمريكية في فترة الحرب الباردة بينها وبين الاتحاد السوفيتي آنذاك، وذلك تخوفاً من احتمال ضربة سوفيتية لمراكز الاتصال الحاسوبي في الولايات المتحدة مما قد يؤدي إلى تعطيل تلك الشبكة بالكامل وحرمان القيادة العسكرية الأمريكية من أي إسناد معلوماتي.غير أنه تم التخلي عن هذا الهدف العسكري تدريجياً في السنوات اللاحقة، أي في السبعينيات والثمانينيات، حيث أصبح استعماله يتسع شيئاً فشيئاً ليشمل مراكز البحوث العلمية والاقتصادية والاتصالية والمعلوماتية، مكونا الأساس لما يعرف بالطريق الدولي السريع للمعلومات[3] (Information Super Highway).

---

(1) يترجم بعض الباحثين مصطلح (Mediated communication) بالاتصال التبادلي، وهي ترجمة في الواقع غير دقيقة لهذا المصطلح، والصواب هو: الاتصال الوسيطي.

(2) لا نجد انفسنا مضطرين لإعادة ما كتبه الاخرون عن التاريخ السردي – التقني للانترنت . فهناك العشرات، بل المئات من الأعمال التي تتناول هذا الجانب، لذا لن نحيل القارئ لأي منها، لان ذلك سيخرج الدراسة عن بعدها الاجتماعي، وإنما سنحيله بالمقابل الى العملين المميزين التاليين لانهما يتناولانه من منظور أقرب إلى المنظور الذي تناولته هذه الدراسة وهو المنظور الاجتماعي الاتصالي وهما

Slevin، J، (2000). The Internet And Society. Cambridge. Polity Press.

Dominick، J.R (1999) The Dynamics of Mass Communication. Boston: McGraw-Hill College.. Sixth edition. Chapter 11. pp. 324-347.

(3) يشير هذا المصطلح الى وسيلة نقل المعلومات عبر الأسلاك والألياف الضوئية و الأقمار الصناعية بكميات كبيرة وهائلة. انظر في ذلك:

- يحيى اليحياوي (2002). في العولمة والتكنولوجيا والثقافة:مدخل الى تكنولوجيا المعرفة. بيروت: دار الطليعة.

وما أن شارفنا على مطلع التسعينات حتى أضحى الاتصال عبر الإنترنت متاحاً ومنتشراً في سائر المجتمعات بنسب متفاوتة[1]. ومع نهاية القرن غدا الإنترنت ضرورة حياتية ومجتمعية لملايين الأفراد والمؤسسات التي أمسى استعمالها له أمراً لا مناص منه لمواكبة الأحداث العالمية والسير في ركاب التقدم العلمي.

وهكذا بات الإنترنت يقدم لمستخدميه خدمات دولية لا حصر لها في جميع مناحي الحياة وبخاصة في مجال خدمة المعلومات ونقل الرسائل الاتصالية والمجموعات الإخبارية، ويقوم الإنترنت بهذه الخدمات بسرعة مذهلة وبحرية تامة؛ حيث بإمكانه إرسال الصور والنصوص واللقطات الحية والموسيقى والأغاني إلى مستخدميه في كافة أنحاء العالم من خلال الروابط الدولية لأقمار الاتصال (Intelsat).

الإنترنت كوسيلة اتصال: الخصائص والمزايا

يعتبر الإنترنت الشكل الأكثر حداثة وتطوراً من أشكال الاتصال الإلكتروني الوسيطي الذي لا يتم إلا عن طريق وسيط تتبادل من خلاله أطراف العملية الاتصالية رسائلها الاتصالية. وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من الاتصال إلا أنه لم يحظ بالعناية التي يستحقها من قبل رواد علم الاجتماع الأوائل؛ إذ لم يتعامل معه هؤلاء الرواد كنظام (System) من أنظمة المجتمع، قائم بحد ذاته ذو دور فاعل في المجتمع وفي حركة تغييره؛ وإنما تحدثوا عنه ضمن تحليلهم للدور الذي تقوم به التكنولوجيا بشكل عام في المجتمع، وذلك باعتبار أن الوسائط التي يستخدمها هذا النوع من الاتصال ليست سوى شكلٍ من أشكال التكنولوجيا.

---

(1) من أجل صورة واضحة حول واقع الانترنت في العالم العربي انظر، أعمال الندوة التي نظمتها مؤسسة شومان في عمان في عام (2002) تحت عنوان: " المعلوماتية في الوطن العربي: الواقع والآفاق. مراجعة و تقديم أحمد ابو الهيجاء، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

نبيل علي (2001)، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. عالم المعرفة. عدد 265. يناير، الكويت.

مركز جلين للدراسات الاستراتيجية (2000). ثورة المعلومات في الشرق الاوسط، عمان – الأردن.

وفي هذا الصدد، لم يَرَ علماء الاجتماع الدوركايمي (Durkheimians) في هذه الوسائط الاتصالية سوى شكلٍ من الأشكال التي تعمل على التضامن العضوي (Organic Solidarity) بين أفراد المجتمع وبخاصة ذلك التضامن الذي يحققه الاتصال الذي يتم من خلال التلفون، مثلاً ؛ كما نجدهم في الوقت نفسه ينسبون إلى شكل آخر من أشكال تكنولوجيا الاتصال هذه (الاتصال الإذاعي والتلفزيوني) (Broadcast Media) قوّة كبيرة في إيجاد حالة من التوازن والتضامن بين أفراد المجتمع عن طريق ما يحدثه فيهم من تصورات جمعية[1] (Collective Representations) مشتركة بينهم (Alexander, J. 1988).

وأما نظرة الأوائل من علماء الاجتماع الماركسي (Marxists) إلى هذا النوع من تكنولوجيا الاتصال فإنها لا تتعدى كونها إحدى وسائل الإنتاج الفكري والثقافي والأيديولوجي التي تلجأ إليها الطبقات الحاكمة في المجتمع من أجل استغلالها لفرض سيطرتها وهيمنتها وبسط نفوذها على أفراد المجتمع بصورة دائمة ومستمرة (Schiller, H. 1996).

وأما علماء الاجتماع الفيبري (Weberians) فينطلقون في فهمهم لهذا النوع من تكنولوجيا الاتصال من المنطلق الذي انطلق منه ماكس فيبر نفسه عند تحليله للدور الذي تلعبه التكنولوجيا في انتشار العقلانية (Rationalism) في المجتمعات الرأسمالية الغربية، فهي برأيهم، أداة فاعلة في دعم العقلانية لأنها تقلل

---

(1) يقسم عالم الاجتماع الفرنسي ايميل دوركايم (1858 – 1917) المجتمعات الى قسمين على اساس بناءاتها ووظائفها الاجتماعية، فهناك، برأيه، مجتمعات بسيطة و محدودة العدد وغير معقدة او متمايزة البناء، وغير خاضعة في الوقت نفسه لتقسيم العمل بين أفرادها؛ إذ يقوم الافراد فيها بمختلف اوجه النشاط الاجتماعي، ويسود هذا النوع من المجتمعات روابط آلية تتمثل في علاقات القرابة و النسب كما في الجماعات القبلية. وهذ النوع من المجتمعات لا تنتشر فيها التكنولوجيا المعقدة لأنها لا تحتاجها، وإذا ما وجدت، كالتلفون مثلاً، فإنما ذلك بهدف زيادة تضامنهم العضوي. واما النوع الثاني من المجتمعات فهي المجتمعات ذات البناء الاجتماعي المعقد اي المجتمعات الصناعية التي يسودها تقسيم معقد للعمل، كما يسود هذا النوع من المجتمعات ما يسميه (دور كايم)، الروابط العضوية التي تشبه الروابط التي تجمع اعضاء الكائن الحي، حيث يرتبط الافراد فيها بوظائف تكاملية بسبب تقسيم العمل الذي يتطلب تمايزاً وتخصصاً بالأدوار التي يقومون بها. ويحتاج الإنسان في هذه المجتمعات لغيره من الأفراد لاستكمال حاجاته. وهذه الاعتمادية المتبادلة تشكل أساس التضامن والتوازن الاجتماعي بينهم. وتعتمد هذه المجتمعات على التكنولوجيا المعقدة، الاذاعة، والتلفزيون، الصحافة، نسبياً في تسيير الكثير من أعمالها مما يؤدي إلى تضامنها الآلي وتوازنها الاجتماعي. انظر في ذلك:
Ritzer، G، (1996).Sociological Theory. New York: The McGraw- Hill. Fourth Edition.

من القيود التي يفرضها الزمان والمكان على الأطراف المتصلة حين تتواصل فيما بينها، وتختصر الكثير من الجهد والعناء، وبذلك، فإنها تساهم في انتشار العقلانية التي يعتقد فيبر أنها قوام النظام الرأسمالي في المجتمعات الرأسمالية (Collins, R. 1979) [1].

ويرى الفيبريون، أيضاً، أن هذا النوع من تكنولوجيا الاتصال، وبخاصة الإذاعي والتلفزيوني، إنما يعمل على تزويد المجتمع بعناصر الثقافة ذات المكانة المرموقة والعالية في هذه المجتمعات (المصدر السابق).

ولكن البدايات الفعلية والجهود الحقيقية التي اقترب أصحابها من فهم طبيعة البعد الاجتماعي لهذا النوع من الاتصالات الإلكترونية الوسيطة في المجتمع، وبخاصة الرقمية (Digital Communication) ابتدأت في نهاية السبعينيات وذلك على يد عالم الاجتماع دانييل بيل (Bell D, 1973)، وتعمقت في التسعينيات على يد بعض العاملين في العلوم الاجتماعية وبخاصة مانويل كاستلز (Castells, M, 1996) وجون ثومبسون (Thompson, J, 1990, 1995)، وانتوني جيدنز (Giddens, A, 1994)، وزجمت باومان (Bauman, Z, 1997)، وهبرماس (Habermas, J, 1987) وجيمس سليفن (Slevin, J, 2000).

لقد كان بيل، في الحقيقة، من أوائل علماء الاجتماع الذي خصصوا وقتاً لا بأس به لتحليل الدور الذي يقوم به هذا النوع من الاتصالات في تسريع عملية التغير الاجتماعي، وتسهيل التواصل بين الأفراد في المجتمع، إضافة إلى جهوده في تحليل التأثيرات الاجتماعية التي تتركها هذه الاتصالات، وبخاصة الرقمية منها، على المجتمع.

---

(1) يعد عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (1864 – 1920) واحداً من أعظم علماء الاجتماع الذين ظهروا في نهاية القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، وذلك لأسباب كثيرة لا مجال للخوض فيها هنا. ولكن يكفي القول بأن أعماله، وبخاصة " الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية " و " نظرية التنظيم الاجتماعي و الاقتصادي "، وتطويره لأداة منهجية في دراسة الفعل الاجتماعي، أطلق عليها النموذج المثالي (Ideal Type) دفعت بمسيرة علم الاجتماع إلى الأمام بشكل واضح. ففي كتابه "الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية " يطرح فيبر فكرا بديلا لتناول عملية التغير الاجتماعي مختلفةً عن الطروحات السابقة، يلعب فيها مفهوم العقلانية او الترشيد المخطط المنظم دوراً هاماً في تشكل المجتمعات وتغييرها انظر في ذلك المرجع السابق لجورج ريتزر.

وأما مانويل كاستلز فقد كان من بين أوائل العلماء في التسعينيات ممن شدد على أهمية هذا النوع من الاتصالات والدور الفاعل الذي قامت به، وما زالت تقوم، في حياة الناس، مدخلة المجتمعات المعاصرة إلى عهد جديد هو"عصر المعلومات" (Information Age)، حيث غدت هذه الاتصالات بأشكالها المختلفة، وبخاصة الإنترنت تتغلغل في كل منحى من مناحي الحياة اليومية. وترجع أهمية أعمال كاستلز، في الواقع، إلى تأكيده على الدور البارز والحيوي الذي يقوم به الإنترنت في المجتمعات المعاصرة؛ إذ يرى أن المزايا الفريدة لهذه الوسيلة الاتصالية تجعل منه أعظم منجزات الثورة التكنولوجية في عالم الاتصال الإنساني (Castells, M, 1996).

ويذهب كل من جيدنز، وثومبسون، وسلفن وباومان في الاتجاه نفسه، ليؤكدوا على جانب آخر من جوانب هذه التكنولوجيا الاتصالية وهو النمط الثقافي الذي نجم عن هذه التكنولوجيا. إنه نمط لا يشبه أي نمط ثقافي مألوف ومتعارف عليه. فهو نمط جدير بالتحليل، برأيهم، لتبيان خصائصه ومميزاته الثقافية. (Bauman, Z, 1997 Giddens, A, 1994, Thompson, J 1995, Slevin, J, 2000,).

وتعود أسباب انتشار الإنترنت بشكل كبير في الواقع، إلى تلك الخصائص والمزايا التي يتمتع بها دون سواه من وسائل الاتصال الوسيطي الإلكتروني الأخرى. إذ قل أن نجد وسيلة اتصالية واحدة مثله تضم خصائص أكثر من وسيلة من وسائل الاتصال؛ فهو يجمع بشكل تكاملي بين خصائص الاتصال الجماهيري ووسائل الاتصال الجمعي وكذلك الشخصي في آن واحد. فهو على سبيل المثال يتيح لمستخدميه تفاعلاً تبادلياً كالذي يتيحه لهم الاتصال الشخصي، ويمكنهم من التحادث والتراسل في قضايا وموضوعات مختلفة مع شخص أو أكثر في أكثر من مكان في آن واحد (غرف المحادثة / الدردشة)[1]، كما أنه يزودهم بالأخبار، والمعلومات، ومصادر المعرفة في أي موضوع من الموضوعات التي يريدونها. وبالإضافة إلى كل هذا فإنه قادر على مدّهم بصورة بصرية وسمعية متنوعة مثلما تفعل وسائل

---

(1) تستخدم هذه الدراسة مصطلح غرف المحادثة او التحادث كترجمة للمصطلح الانجليزي (chatting rooms). ومع ذلك نجد عددا لا بأس به من الباحثين يستخدم مصطلح (الدردشة) كترجمة لهذا المصطلح، ولكننا لا نشاطرهم الرأي في ذلك، لاقتراب هذه الكلمة إلى اللغة "العامية".

الاتصال الجماهيرية (Castells, M. 1996; Slevin, J, 2000; Kraut, R, etal, 1998; Morris, M, and Ogan, C. 1996; Newhagen, J and Rafaeli, S, 1996).

وبالعودة إلى الدراسات التي تناولت الإنترنت كوسيلة اتصال ذات خصائص فريدة من نوعها في هذا المجال فإننا نجد أن غالبيتها كانت قد قامت بعقد مقارنات بين خصائص الإنترنت وخصائص وسائل الاتصال الأخرى، وبخاصة الجماهيرية منها.

وفي هذا الصدد تعتبر محاولة ثومسون (1990) وسلفن (2000) في فهم هذه الخصائص من اهم المحاولات في هذا الاتجاه، إذ يستند ثومبسون في توضيحه لخصائص الإنترنت على الطريقة التي يشترك فيها مع غيره من وسائل الاتصال وبالأخص الجماهيرية منها. ونجده يعقد مقارنة بين الإنترنت وبين هذه الوسائل باعتبارها وسائط نقل ثقافي في المجتمع.

يرى ثومبسون أن وسائل الاتصال الجماهيرية هي، في الواقع، مؤسسات ضخمة تستند إلى قاعدة اقتصادية متينة، وتكنولوجيا معقدة تنتج أشكالاً متنوعة ومختلفة من السلع الثقافية (أخبار، وأفلام، معلومات، ومعارف، وأغاني..إلخ)، لتقوم بتوزيعها ونشرها على ملايين الأفراد المستهلكين لها، والذين هم بالطبع، مجهولوالهوية الثقافية والمعرفية والسياسية والإثنية والعرقية والطبقية لدى منتجي هذه السلع في المؤسسات الاتصالية (Thompson, J. 1990).

ومع أن هذا المفهوم لوسائل الإتصال الجماهيرية لا يختلف كثيراً عن المفهوم الذي نجده لها في أدبيات الدراسات الاتصالية، إلا أننا نجد ثومبسون يتوسع، في تحديده لخصائص الجمهور (Mass) المستهلك لإنتاجها، ويسهب في شرحه طريقة عملها ليقابل بعد ذلك بينها وبين خصائص الإنترنت.

فوسائل الاتصال الجماهيرية، برأيه، تحتاج إلى خبراء ومحترفين في إنتاج السلع الثقافية ليتناسب مع تنوع خلفيات جمهورها المستهلك واتجاهاته ومعارفه وأذواقه. وبالإضافة إلى هذا فإن عملية الإنتاج الثقافي نفسها عملية معقدة للغاية تتحكم بها عوامل سياسية واقتصادية وتكنولوجية من نوع خاص. (Thompson, J. 1990).

أما فيما يتعلق بطبيعة الإنتاج الثقافي في الإنترنت فهومن طبيعة تختلف عن طبيعة إنتاج مؤسسة الاتصال الجماهيرية له؛ فهونظام مفتوح نسبياً بين المنتج والمستهلك (المرسل والمستقبل)، ولا يتطلب جهداً ضخماً من منتجيه كالذي تتطلبه عملية الإنتاج في وسائل الاتصال الجماهيرية، مع العلم أن هناك مؤسسات ضخمة، تشبه مؤسسات الاتصال الجماهيري، تعمل في هذا الإنتاج ويعمل فيها خبراء متخصصون في تصميم برامج الكمبيوتر وبيعها، وتصميم أنظمة الرقابة، وأنظمة الدخول والتشغيل، ونظم تخزين المعلومات ونقلها. ومع كل ذلك فإن متطلبات هذا الإنتاج والجهود المبذولة فيه تبقى أقل مما تتطلبه عملية الإنتاج الثقافي في مؤسسات الاتصال الجماهيرية. (Thompson, 1990, Slevin, J, 2000).

وعلى الرغم من هذه الاختلافات بين الإنترنت ووسائل الاتصال الجماهيرية، يبقى هناك اختلاف هام من نوع آخر بينهما يتعلق بطبيعة التفاعل بين منتجي هذه السلع وبين مستهلكيها. ففي الاتصال الجماهيري لا توجد علاقة ولا تفاعل مباشر بين منتجي هذه السلع الثقافية (المرسلون) وبين مستهلكيها (المستقبلون) بحكم الطبيعة المؤسسية لهذا المنتج. ففي هذه الحالة تتحكم هذه المؤسسات العملاقة كمؤسسات منتجة لهذه السلع الثقافية بطبيعة المحتوى الثقافي بالطريقة التي تريدها، ولا يستطيع المستقبلون التدخل في ذلك كثيراً، لأن التغذية الراجعة (Feed back) بينهم وبين هؤلاء المنتجين مقطوعة اللهم، إلا في بعض الحالات الاستثنائية الخاصة، الأمر الذي سيكون مكلفاً مادياً، وبحاجة إلى تقنية دقيقة ومعقدة لتنفيذ ذلك.

وأما في حالة الإنترنت، فالوضع مختلف إلى حد كبير. ففي هذه الحالة هناك علاقة تفاعل وحوار بين منتجي السلع الثقافة (المرسلون)، وبين مستهلكيها (المستقبلون) أي أن هناك تغذية راجعة بين الطرفين تسمح لكل منهما بالتحكّم بقدر متساوٍ من السلطة في تقرير تدفق سير العملية الاتصالية بينهم (Slevin, J, 2000, Thompson, J. 1990, Newhagen, J, and Rafaeli, S, 1996. Habermas, J, 1987).

إن هذه الخاصية للإنترنت هي التي تجعل من العملية الاتصالية بين المرسلين والمستقبلين عملية متوازنة من حيث المشاركة في التفاعل والحوار الدائر بينهم من جهة، ومن حيث التحكم بطبيعة مجريات هذا الحوار من جهة أخرى. فلا سلطة لأحد الطرفين في هذه العملية على الآخر أكثر من غيره.

ويذهب ثومبسون في شرح طبيعة أشكال التفاعل التي أوجدها الإنترنت بين مستخدميه، باعتباره وسيلة اتصال وسيطي كما أشرنا، وهنا نجده يميز بين ثلاثة أشكال من هذه التفاعلات وهي:

1. **الاتصال الوجاهي المباشر** (Face - to - Face Communication).

2. **التفاعل الوسيطي** (Mediated Communication) الذي يتم بين فرد ومجموعة من الأفراد أوالعكس، كالتحادث مثلاً، أوعقد ندوات ومؤتمرات.

3. **شبه التفاعل الوسيطي** (Mediated quasi interaction). وهنا يكون التفاعل موجهاً من المرسلين/ منتجي الثقافة إلى عدد كبير جداً من الأفراد غير المعروفين لهؤلاء المرسلين، حيث يكون بإمكان هؤلاء المستقبلين الاستفادة من هذه المعرفة والمعلومات المتاحة لهم في مواقع الإنترنت المختلفة دون معرفة متعمقة بهؤلاء المرسلين، (Thompson, J, 1995, Slevin, J, 2000).

ومن الخصائص الأخرى التي يتصف بها الانترنت وتميزه إلى حد بعيد عن غيره من وسائل الإتصال الأخرى، كما يقول ثومبسون، هي إتاحة الفرصة لمستقبلي السلع الثقافية بكافة أشكالها الاستفادة منها في أي وقت وفي أي مكان يشاؤون (Extention of availability in time-space). فطبيعة عمل الإنترنت القائمة على تخزين المعلومات والمعارف تمكّن المستهلك من الاستفادة منها في أي وقت يشاء وأي مكان يريد، وذلك بخلاف السلع الثقافية التي تنتجها مؤسسات الاتصال الجماهيرية المتقيّدة بزمان ومكان محددين (Thompson, J, 1995). فتخيل مثلاً، كما يقول ثومسون، ماذا يحدث لمنتج ثقافي ما في وسائل الاتصال الجماهيرية، وماذا يحدث له في الإنترنت، إذا لم يشاهده أويسمعه الجمهور في الوقت المخصص له. ويضرب ثومبسون مثلا على ذلك ليوضح وجهة نظره فيقول: خذ الإعلان على سبيل المثال في التلفزيون كوسيلة اتصالية جماهيرية، فماذا يحدث في هذه الحالة؟ إننا نجد أن المعلن يدفع مبالغ مالية باهظة الثمن لهذه المؤسسة، مقابل بث هذا المنتج وقت الذروة، ليضمن مشاهدته من قبل أكبر عدد ممكن من المشاهدين، ومع ذلك فالمعلن لا يتحكم بنتيجة هذه العملية؛ فقد لا يشاهده العدد المرجومن المستهلكين (المستقبلين)، بسبب عدم تواجدهم في بيوتهم،

أوانشغالهم بأعمالهم وقت البث التلفزيوني لهذا المنتج الثقافي. ففي هذه الحالة يكون المنتِجون قد خسروا مبالغ طائلة دون أن تحقق أهدافهم. ولكن في حالة وضع هذا المنتَج الثقافي، الإعلان، في مواقع الإنترنت فإن عملية استخدامه تبقى عملية متاحة أمام مستخدمي الإنترنت ليشاهدوه في أي وقت يريدون وأي مكان يوجدون فيه (المصدر السابق).

وبالإضافة إلى هذه الخصائص الفريدة والمميزة للإنترنت، نجد بعض الباحثين يضيفون إليها خصائص ومميزات أخرى. ففي حوار جمع بين نيوهاجن ورفائلي حول " لماذا يتوجب على الباحثين دراسة الانترنت" يعدد رفائلي الخصائص التالية لهذه الوسيلة الاتصالية وهي: (Newhagen, J, and, Rafaeli, S, 1996).

1- تعدد الوسائط التي يستخدمها الإنترنت (Multi – Media)، أي دمج الصور والأفلام والرسوم المتحركة والصوت، وحتى الرائحة أيضاً، والتفاعل التبادلي مع المستخدم. فالإنترنت من هذا المنطلق هووسيلة اتصال جماهيرية ذات صبغة متفردة ومتميزة، تمتلك خصائص الوسائط المتعددة. فنحن نقرأ الصحف، ومواقع المعلومات، ونشاهد برامج تلفزيونية، ونطالع الكتب والمقالات ونتحادث تلفونياً مع الآخرين. كما أننا نتمكن من خلال هذه الوسيلة ايضا من التعامل مع المعلومات عن طريق جهاز الكومبيوتر رقميا تخزينا وبثا واستخدامها فورا من طرف آخر بصورة دقيقة مع تطور هائل من حيث النوعية والسرعة والتكلفة والانتشار. إن جميع هذه الخصائص في الإنترنت تجعله ذا جاذبية من نوع خاص لدى الجهاز الحسي (Sensory Appeal) لمن يستخدمه من الأفراد، تفوق الجاذبية الموجودة لدى وسائل اتصال أخرى.

2- النصيّة الفائقة (Hypertextuality)، سواء كانت رسماً أوخريطة أوإيضاحاً أومواد مسموعة أومرئية.[1]

---

(1) قد لا تكون "النصية الفائقة " ترجمة دقيقة توفي الكلمة الإنجليزية (Hypertexuality)حقها في المعنى. ومع ذلك فهي أقرب المصطلحات باللغة العربية إليها. فالهايبر تكست (النصية الفائقة) هي التعبير الوصفي لأحدث أشكال الكتابة الإلكترونية، وهي تشكل نصاً إلكترونيا يرتبط بنصوص أخرى عن طريق روابط داخل النص.
ومن اجل توضيح مفهوم النصية الفائقة انظر:
حنا جريس (2004)، الهيبرتكست: عصر الكلمة الإلكترونية، في مستقبل الثورة الرقمية: العرب و التحدي القادم، مجلة العربي، الكويت. ص ص 128 – 135.

3- النقل التجميعي: Packet Switching.

4- التزامنية المرنة: The Elasticity Synchronicity.

5- التفاعلية: Interactivity ولعل هذه الميزة من أهم مزايا الاتصال عبر الانترنت، لانها تقربه من الاتصال الشخصي. وتجعله يتميز بها عن باقي وسائل الاتصال الجماهيرية كالتلفزيون الذي يعتمد على استجابات باهتة أوغير مباشرة بين المرسل والمتلقي؛ اذ يتمكن المتفاعلون عبر الانترنت من خلال الوسائط التي يستخدمونها - الكمبيوتر أوأجهزة الاتصال الخلوية - الاتصال بمصادر المعلومات ويحصلون على استجابة فورية من المصدر. اذ أصبح متاحا للفرد من خلال هذه الوسيلة الاتصالية، استقبال التلفزيون والصحافة والراديوبأسلوب تفاعلي. وفي الحقيقة فإن التطور المذهل في تكنولوجيا الاتصال السمعي والمرئي والتفاعلي - كالحاسوب والهاتف - قد جعل أداء الإنترنت في التفاعل التبادلي شيئا يفوق التخيل.

وعلى الرغم من الخصائص السابقة، تبقى هناك خصائص أخرى يضيفها بعض الباحثين تجعل من الانترنت وسيلة اتصالية تروق لمستخدميها وتجعلهم يفضلونها عن غيرها من الوسائل الأخرى وهي:

1- مرونة استخدامه وسهولة الدخول إلى أي موقع من المواقع المتنوعة التي يريدها مستخدموه، أنى شاؤوا ومتى شاؤوا ليلاً ونهاراً.

2- يعمل الاتصال عبر الإنترنت على توسيع شبكة علاقات الفرد الاجتماعية مع الآخرين على المستوى المحلي والإقليمي والدولي بصرف النظر عن خلفياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعرقية والجنسية (Bellamy, A, and Hanewicz,C, 2001).

3- يتيح الإنترنت للأفراد فرصة تقديم أنفسهم للآخرين (Self - Presentation) بحرية كبيرة ودون قيود، وهذه الحرية تعطيهم مجالاً رحباً لتقديم أنفسهم للآخرين بأكثر من طريقة، وليلعبوا أكثر من دور، وليقوموا بعرض أكثر من جانب من جوانب ذواتهم التي يصعب عليهم عرضها أوتقديمها في حالة الاتصال الوجاهي. وعليه، فإن الاتصال الإلكتروني عبر الإنترنت يحسّن ويجمّل

بشكل كبير بعض الخصائص والصفات غير المرغوبة لدى بعض الأفراد، والتي لا يرغبون أن يعرفها الأخرون عنهم (كالعمر، والمهنة، والجنس، والطبقة، الإعاقة الجسدية، وبعض السمات الشخصية كالبدانة أوالنحافة، أوالخجل .... إلخ)؛ إذ قد تعمل هذه الصفات والخصائص على احراج الفرد وخشيته من عدم تقبل الاخرين له في حالة تفاعله المباشرة معهم. وأما في حالة اتصاله عبر الانترنت، فإن بإمكان الفرد إخفاء هذه الصفات، وعدم إبرازها إذا ما أراد، لذا، لا يشعر بالقيد أوالضيق اوالحرج، لأن طبيعة الموقف الاتصالي عبر الانترنت، يتسم في كثير من الاحيان بالغموض، مما يجعل الفرد يشعر بحالة من اللاتعين في شخصيته (Anoymous). وهذا يعني أنه شبه مجهول الهوية للأخر مما يدفعه لابراز جوانب كثيرة من شخصيته لا يبرزها عادة في المواقف الإتصالية المباشرة والوجاهية، وغالباً ما تكون هذه الجوانب جوانب مثالية (Ideal).

إن إبراز الإنترنت لهذه الجوانب جعل بعض الباحثين، وبخاصة كنج (King, 1996) يعتبره أهم قنوات الاتصال الإلكتروني المعاصرة التي تعمل على إبراز الفرد لجوانب متعددة ومفرطة في النشاط والفاعلية من شخصية (Hyperpersonal Aspect)، لا يستطيع أن يبرزها أويظهرها الاتصال الشخصي المباشر مع الاخرين بحكم القيود المفروضة على الفرد في هذا النوع من الاتصال.

4- إن هوية الفرد غير المحددة (Anonymous) في الاتصال عبر الإنترنت، وغموض الموقف الاتصالي في كثير من الأحيان بين الأطراف المتصلة تشجع الفرد على إرسال رسائل اتصالية للآخرين واستقبال رسائل منهم قد يتعذر إرسالها واستقبالها في حالة الاتصال المباشر، وتجعله يقوم بأدوار مختلفة قد لا يقوم بها في المناسبات العادية أوالمواقف الإتصالية الوجاهية.

5- وأما الخاصية الأخرى للاتصال عبر الإنترنت فهي سماحة للأفراد بالقفز فوق الحدود الجغرافية التي تفصل بينهم مما يتيح الفرصة أمام من يشتركون بأفكار متشابهة ومصالح مشتركة وهوايات معينة وخلفيات اقتصادية وسياسية وفنية متشابه من الالتقاء والتواصل فيما بينهم؛ وبذا يكون الإنترنت قد عمل على شبكة العلاقات الإنسانية. (Bellamy, A, and Hanewicz, 2001).

وهكذا، فإن الخصائص السابقة جميعها تجعل من الانترنت وسيلة اتصال فريدة؛ فهومن جهة يشترك مع وسائل اتصالية أخرى في خصائص معينة، ومن جهة ثانية يتفرد بخصائص تجعل آلاف الأفراد يفضلونه على أي نوع آخر من أنواع الاتصال الأخرى. وعليه، فإن إقبال الناس على استخدامه واستعماله يتزايد يوماً بعد يوم، مما سيترك العديد من التأثيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على مستخدميه يصعب التنبؤ بشكل دقيق بمدى قوتها وشدتها عليهم.

الإنترنت كنظام اتصالي: نظرة إلى المستقبل

تمرُّ كل وسيلة اتصالية بأربع مراحل قبل أن تستقر في المجتمع وتحظى بقبوله وشرعية وجوده. تتميز المرحلة الأولى من هذه المراحل بإثارة اهتمام المجتمع بتلك الوسيلة، أي النظر إليها باعتبارها لعبة – وسيلة تثير الإعجاب وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة تعمق اهتمام المجتمع بتلك الوسيلة، وبداية توجيهه لبعض الإنتقادات إليها، والاستفسارات من نتائجها وتأثيراتها المتوقعة. وأما المرحلة الثالثة، فهي مرحلة تجاوز تلك الوسيلة للإنتقادات السابقة، بسبب التقدّم الفني الذي يطرأ عليها، واكتساب المجتمع معرفة أكثر عمقاً بها. وهذه المرحلة يمكن وصفها بأنها بداية الاعتراف بشرعية تلك الوسيلة.

وأما المرحلة الرابعة والأخيرة، فهي مرحلة الاعتراف بتلك الوسيلة، على الأقل لدى عدد كبير من الناس، حيث تنغمس تلك الوسيلة بالمجتمع وتصبح جزءاً من ثقافته العامة، لا يستغنون عنها، وربما تصبح جزءاً أساسياً في المجتمع، لا يكون للثقافة فيه معنى في غيابها. (Gumpert, G, and Cathcart, R. 1982).

فهل سيشكل الإتصال عبر الإنترنت نظاماً إتصالياً جديداً في المستقبل، يضاف إلى الأنظمة الإتصالية المستقرة في المجتمع؟ يتمتع الإنترنت، في الحقيقية، بخصائص اتصالية فريدة قل أن نجدها مجتمعة في وسيلة اتصالية أخرى، كما أوضحنا، ومع ذلك قد يكون من الصعب الإجابة بشكل دقيق على هذا التساؤل في هذا الوقت المبكر من عمر الإنترنت، ولكن خصائصه الاتصالية الفريدة والإمكانيات التكنولوجية الهائلة التي يتحلى بها تجعلنا ميّالين إلى الاعتقاد بذلك. فقد لا نبالغ إذا قلنا بأن الخصائص السابقة للإنترنت، وتعدد الخدمات والمعارف التي

يقدمها لمستخدميه، والإقبال المتزايد على استخدامه في كافة المجالات قد تجعله يتفوق على وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى، ربما باستثناء التلفزيون، إلى الحد الذي قد تصبح معه هذه الوسائل عاجزة في المستقبل عن محاكاته واللحاق به. وقد نتجرأ فنذهب أبعد من هذا فنقول بأن بقاء هذه الوسائل واستمرارية وجودها سيكون مرهوناً بمدى قدرتها على مجاراته في تقديم الخدمات والمعارف والمعلومات لمستخدميها.

ولكن الإمكانيات التكنولوجية التي يتحلى بها الإنترنت ليست وحدها هي التي تجعلنا نتنبأ بالمكانة المرموقة التي سيحظى بها في المستقبل، فهذه الإمكانيات لا تضمن في حد ذاتها تحوله إلى نظام اتصال في المستقبل؛ بل هناك عوامل أخرى غير ذلك تكمن في بنية المجتمع الرأسمالي نفسه. وهنا يمكن القول بثقة عالية إن طبيعة البنية الإقتصادية للمجتمع الرأسمالي الغربي، هي التي ستساعد على تحويله إلى نظام اتصالي جديد، ذلك لأن خصائص المجتمع، أيّ مجتمع، هي التي تتحكم في نوع وسائل الاتصال التي يعتمد عليها الأفراد، وهي التي تحدد أيا من هذه الوسائل يصلح أولا يصلح لأن يكون نظاماً اتصالياً جماهيرياً؛ فالعلاقة بين النظام الاتصالي في أي مجتمع والأنظمة الأخرى فيه هي علاقة تبادلية واعتمادية. فهل هناك ما يشير إلى أن الاتصال عبر الإنترنت، من خلال الكمبيوتر والتليفون، مرشح في المستقبل في المجتمع الرأسمالي الغربي ليكون نظاماً اتصالياً؟

إننا ميالون مرّة أخرى إلى الاعتقاد بذلك نظراً لأن النظام الاقتصادي والاجتماعي لهذا المجتمع يقتضي الاعتماد على الإنترنت، كما اعتمد على سابقيه من وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى في الترويج لمشاريعه الصناعية والتجارية والاقتصادية والترفيهية، تلك المشاريع التي يقوم عليها النظام الرأسمالي برمته. ونستند في هذا الاعتقاد إلى بعض المسلمات والافتراضات التي تقوم عليها النظريات الاجتماعية الكبرى في علم الاجتماع.

إذ يعتقد البنائيون – الوظيفيون– من علماء الاجتماع (Structural – Functionalists)، بإن الوسيلة الاتصالية القابلة للحياة والقادرة على الازدهار والنموفي أي مجتمع من المجتمعات هي الوسيلة التي يكون بمقدورها القيام بوظائف محددة للنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي في ذلك المجتمع؛ إذ يتحتم عليها

حتى تعيش أن تعمل على تلبية احتياجات ذلك النظام، والمحافظة على استقراره، بالإضافة إلى سعيها لخلق حالة من الرضا والإجماع الكلي بين أفراد المجتمع حول القضايا أوالموضوعات التي يتبناها ذلك النظام. فهل سيكون بمقدور الإنترنت القيام بهذه الوظائف؟ إن قدرته على الحياة في المستقبل، إذاً، مرهونة بذلك. وهو في الحقيقة، قادر على ذلك.

وأما الماركسيون من علماء الاجتماع، وبخاصة الجدد منهم، فإنهم يرون أن الوسيلة الاتصالية القادرة على الحياة في المجتمع، وبخاصة الرأسمالي الصناعي، هي الوسيلة التي بمقدور الجماعات والقوى الاجتماعية المتصارعة فيه الاعتماد عليها بشكل أفضل من غيرها من الوسائل في خدمة مصالحها الذاتية. إذ يدفع صراع المصالح المختلفة بين الجماعات داخل المجتمع إلى اللجوء إلى استعمال الوسيلة التي يكون بمقدورها حماية هذه المصالح والترويج لها والعمل على قبولها بين أكبر عدد ممكن من الناس. (Murdock, G, and Golding, P. 1977, Garnham, N, 1979). فهل بمقدور الإنترنت القيام بهذا الدور؟ في الواقع، هناك عشرات الشواهد والأدلة اليومية التي نتعرض لها في المواقع المختلفة في الإنترنت تجعلنا نجيب على ذلك بالإيجاب، وبخاصة ما رأيناه، قبيل "الحرب على العراق" وفي أثناء الحرب وبعدها، كيف لجأت "قوات التحالف"، إلى الإنترنت للترويج لأفكارها وسياستها في حربها على "الآخر- العراق" "المختلف" عنها من أجل تهيئة مناخ الرأي العام لشن هذه الحرب، وإضفاء الشرعية على ما تقوم به من أفعال وسلوكات ضد ذلك "الآخر"، وكيف رأينا، بالمقابل وما تزال نرى، لجؤ الجماعات الأخرى المقاومة لقوات التحالف، إلى الوسيلة نفسها ومن أجل أهداف مماثلة.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن لدينا ما يعزز اعتقادنا ويدعمه، بأن الإنترنت قد يشكل نظاماً اتصالياً جماهيرياً من نوع خاص في المستقبل القريب، وهوتلك المسلّمات التي ترتكز إليها نظرية التفاعلية الرمزية (Symbolic Interactionism)، إذ يرى التفاعليون الرمزيون، وبخاصة ذووالتوجه التبادلي، بأن الأفراد في المجتمع إنما يلجأون إلى وسائل الاتصال الجماهيرية لتكوين معانٍ مشتركة للعالم الاجتماعي والمادي الذي يعيشون فيه من أجل مساعدتهم على فهمه، ومن أجل تسهيل تفاعلهم وتواصلهم اليومي فيه. وكلما زادت الأحداث المحيطة بهؤلاء الأفراد تعقيداً

وغموضاً وتوتراً وتأزماً، بحيث يكون من الصعب عليهم الإلمام بجميع جوانب هذا الغموض والتوتر بجهودهم الذاتية، زاد اعتمادهم على هذه الوسائل من أجل توضيح هذا الغموض وإزالة ذلك الإبهام، والتعامل مع تلك المخاطر والأزمات.

وإذا ما علمنا بأن العالم الذي نعيش فيه الآن يكتنفه الكثير من الغموض والأزمات والمخاطر، التي ليس بمقدور الأفراد وحدهم حلها أوالتعامل معها، لأدركنا حينها لماذا سيزيد اعتماد الأفراد على هذه الوسائل. فهل بمقدور الإنترنت الاضطلاع بهذا الدور؟ في الواقع، يمتلك الإنترنت من المزايا والخصائص، ما يجعلنا ميّالين إلى الاعتقاد بأنه مرشح هو والتليفزيون أكثر من غيرهما في السنوات القادمة للاضطلاع بذلك.

بقي هناك عامل آخر في غاية الأهمية يزيد من توقعنا لاحتمال بروز الإنترنت في المستقبل ليشكل نظاماً اتصالياً فريداً في المجتمعات الرأسمالية، وهوأن جزءاً كبيراً من إدارة هذا النظام يقوم على نفس الأسس والمبادئ التي قامت عليها أنظمة الاتصال الجماهيرية التي سبقته، وهوالربح المادي. فما دام دافع الربح المادي يحظى بقدر كبير من الأهمية في هذه المجتمعات، ومادام الإنترنت يقوم بدور فاعل في ذلك، من خلال الإعلانات والبيانات التي يقدمها لشركات ومؤسسات عملاقة، ومن خلال صناعة الترفيه والتسلية التي تلقى قبولاً واستحساناً بين فئات كبيرة جداً من الناس، فإنه مرشح ليكون نظاماً اتصالياً جديداً يضاف إلى الأنظمة الاتصالية الأخرى.

وأما في المجتمعات العربية، وبخاصة تلك التي تحدّ ثقافتها وتقاليدها الاجتماعية من التفاعل المباشر بين الجنسين، أو تلك التي يعمل نظامها الاجتماعي والثقافي على إغلاق قنوات الاتصال الوجاهي المباشرة وسدها بين الأفراد، فإننا نتوقع أن يزداد إقبال الأفراد فيها على استخدام الإنترنت كوسيلة اتصال " تعويضية" / غير مباشرة. فالاتصال، كما هومعروف، حاجة اجتماعية ونفسية وضرورة حتمية لا يستطيع أحد العيش بدونها، وهذا يعني أن الشباب في هذه المجتمعات سيبقون يبحثون عن سبل للتواصل بينهم على الرغم من انسداد قنوات الاتصال المباشر بينهم، مما يجعل الانترنت، أحد أهم هذه الطرق في تلك المجتمعات وقد لا

يضاهي إقبال الشباب مستقبلاً على الانترت سوى الاتصال عبر التلفون الجوال (Mobile phone) في هذه المجتمعات.

وبالإضافة إلى هذا البعد الثقافي – الاجتماعي هناك بعد اقتصادي آخر يزيد من احتمالية بروز الإنترنت كنظام اتصالي في المجتمع العربي، وهوالبعد المادي؛ إذ بدأت العديد من الشركات والمؤسسات الاعتماد عليه أكثر من غيره في الترويج لمشاريعها الاقتصادية، شأنها في ذلك شأن المجتمعات الصناعية، وإن كانت الصناعات في المجتمعات العربية أقل كثافة وتعقيداً.

وبعد أن عرضنا لمستقبل الإنترنت واحتمالية بروزه كنظام اتصالي متميز وفريد، سنقوم في الصفحات القادمة بعرض لأهم النظريات التي تناولت مسألة تأثيراته التي يتركها على مستخدميه من الشباب.

تأثيرات الإنترنت: منظور سوسيواتصالي

مقدمة

هل يمتلك الانترنت قوة تأثير على مستخدميه؟ في الواقع لم يبلور الباحثون الاجتماعيون نظرية خاصة بذلك. فالغالبية العظمى من المحاولات التي تمت بهذا الشأن كانت قد عالجت هذه التأثيرات ضمن الفهم العام الذي قدمته نظريات وسائل الاتصال الجماهيرية لهذه المسألة. فقد تعاملت هذه المحاولات مع الانترنت باعتباره وسيلة اتصال جماهيرية ينطبق عليها ما ينطبق على وسائل الاتصال الجماهيرية الاخرى.

وفي هذا الصدد، تعتبر دراسة موريس وأوجان (Morris, M, and Ogan, C, 1996) من المحاولات الرائدة التي قامت بتحليل خصائص الانترنت كوسيلة اتصال، ومقارنها بخصائص وسائل الاتصال الجماهيرية. وقد توصلا الى نتيجة مفادها ان الانترنت يتمتع بالخصائص نفسها التي تتمتع بها وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى، وعليه فإنه من الأجدر والأحرى أن ندرس تأثيراته على مستخدميه من الافراد ضمن دراسة النظريات الاجتماعية والاتصالية العامة التي عالجت قضية تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية.

ومع أننا لا نقر كثيرا مثل هذه النتيجة نظرا لتفرد الانترنت بخصائص تميزه عن خصائص الوسائل الجماهيرية الأخرى، كما بينا في الصفحات السابقة، الا اننا مضطرون لقبولها وقبول المحاولات الاخرى المشابهة لها مرحلياً بهذا الخصوص، حتى يطور الباحثون الاجتماعيون نظرية خاصة بالانترنت كوسيلة اتصال من نوع خاص. وعلى ما يبدو، فإن علينا ان ننتظر وقتا لا بأس به قبل ان تتبلور مثل هذه النظرية، لأن البحث في هذا المجال ما يزال في طوره الجنيني، وبخاصة في المجتمع العربي.

وحتى تبرز مثل هذه النظرية وترى النور، فإننا سنبقى ننظر إلى التأثيرات التي يتركها الانترنت على الافراد، ضمن ما قدمته النظريات الاجتماعية المعروفة في أدبيات وسائل الاتصال الجماهيرية من تفسيرات لذلك. لذا سنقوم الآن باستعراض تاريخي لهذه النظريات، على الرغم من الصعوبات المنهجية التي

تكتنف مثل هذه المحاولة. لابد منها، لأنها ستساعدنا على فهم التغيرات والتعديلات التي طرأت على كل نظرية من هذه النظريات من جهة،وعلى تطور الفكر الاجتماعي في هذا الموضوع من جهة اخرى.

ولكن قبل أن نشرع بهذه المحاولة نود التأكيد على أمرين في غاية الأهمية وهما:

1. أن عملية السرد التاريخي التي سنقوم بها لهذه النظريات الكبرى (Grand Theories) قد لا تحظى بقبول بعض الباحثين الاجتماعيين. فما قد تدرجه هذه الدراسة من مداخل فرعية تحت نظرية ما من هذه النظريات قد نجده مدرجاً تحت نظرية أخرى في بعض الأدبيات بهذا الشأن، ذلك لأن المكان المناسب لهذا المدخل الفرعي أوذاك تحت هذه النظرية أوتلك، أمر خلافي بين الباحثين (McQuail; D; 2000) وحتى نتجنب ذلك قدر الإمكان لجأنا إلى الترتيب الذي يحظى بقبول الأكثرية منهم وبخاصة الباحث ملفن دوفلور وساندرا بول روكيش في عملهما المميز" نظريات وسائل الاعلام".(Defleur, M. and Ball Rokeach, S, 1989).

2. وأما الأمر الآخر الذي لابد من توضيحه فهوتعدد الآراء وغزارة النظريات التي تناولت مسألة التأثيرات التي تتركها وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد؛ فهناك من الباحثين من انشغل بدراسة التأثيرات من حيث المدى الذي تتركه على الأفراد :هل هوقصير أم طويل؟ وهناك من انشغل بدراسة هذه التأثيرات من حيث كونها مباشرة أم غير مباشرة، وهناك أيضا من صبّ جهده وأولى اهتمامه بجانب آخر من جوانب التأثير، وهوالجانب المتعلق بنوع التأثير: هل هوتأثير على المستوى العاطفي؟ أم المعرفي؟ أم السلوكي؟.

وهناك مجموعة أخرى من الباحثين انشغلت بجانب آخر من جوانب التأثير وهي الشروط التي يجب توافرها حتى يتم التأثير. وفي هذا الصدد انبرى قسم منهم لدراسة العوامل التي تتصل بالمصدر الاتصالي، وقسم آخر منهم ركز على العوامل المتعلقة بالبيئة الاجتماعية التي يتم فيها مثل هذا التأثير، في حين نجد فئة أخرى منهم انشغلت بعوامل التأثير ذات العلاقة بالرسالة الاتصالية ومحتواها المعرفي،

وفي الوقت نفسه نجد مجموعة منهم تصدت للعوامل المتعلقة بمستقبل الرسالة الاتصالية.

ونظراً لهذا التشعب والتمايز والتعدد في اهتمامات الباحثين في مسألة تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية، فإننا لن نزج بأنفسنا في هذا الأتون الملتهب، بل سنعرض للنظريات الكبرى التي عالجت مسألة التأثيرات ورؤية كل واحدة منها لكل مسألة فرعية من المسائل السابقة[1]

مدخل التأثير القوي المباشر

يعتبر هذا المدخل (Approach)[2] من وجهة النظر التاريخية أقدم المداخل التي حاولت تقديم تفسير لمسألة تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد؛ حيث ساد في مطلع العشرينيات والثلاثينيات من القرن المنصرم اعتقاد بقوة هذه الوسائل ذهب بعضهم إلى تشبيهه بالطلقة السحرية (Magic bullet) ومن هنا جاء اسم المدخل.

ويعتقد دعاة هذا المدخل أن وسائل الاتصال الجماهيرية تتمتع بنفوذ قوي ومباشر وفوري على الأفراد. فلديها القدرة على حملهم على تغيير آرائهم واتجاهاتهم الوجهة التي يرغبها القائم بالاتصال (Defleur. M. and Pall – Rokeach, S, 1989).

ولقد بنى أصحاب هذا المدخل اعتقادهم بقوة وسائل الاتصال الجماهيرية في التأثير على الأفراد، على بعض الافتراضات النفسية والاجتماعية المستمدة من علمي النفس والاجتماع السائدة آنذاك. ففي المجال النفسي ساد الاعتقاد بأن الأفراد إنما تحركهم عواطفهم و"غرائزهم" التي ليس بمقدورهم السيطرة عليها بشكل إرادي، فإذا ما استطاعت وسائل الاتصال حقنهم بمعلومات معينة تخاطب هذه

---

(1) لمزيد من الاطلاع على هذا التشعب في دراسة التأثيرات أنظر على سبيل المثال لا الحصر العمل التالي:
- محمد بن عبدالرحمن الحضيف (1998)، كيف تؤثر وسائل الإعلام؟ دراسة في النظريات والأساليب. الرياض: مكتبة العبيكان.

(2) لا ترقى آراء أصحاب هذا المدخل وتصوراتهم حول تأثيرات وسائل الاتصال على الجمهور في الحقيقة، إلى مستوى نظرية اجتماعية متماسكة تقدم تفسيرا علميا رصينا لهذه التأثيرات، لذا اكتفينا بإطلاق اسم مدخل "Approach" عليها لتميزها عن النظريات الأخرى.

"الغرائز" والمشاعر فإنهم سيتأثرون مباشرة بهذه الحقنة الاتصالية وسيستجيبون لها فوراً.[1]

وأما على المستوى الاجتماعي، فقد ساد اعتقاد أيضاً بأن الأفراد في المجتمعات الجماهيرية – الصناعية هم مخلوقات سلبية ومعزولة عن بعضها البعض نفسياً واجتماعياً، ولا توجد بينهم روابط قوية تجمعهم في هذه المجتمعات. لذا، فهم فريسة سهلة لا يوجد من يحميها أمام ما تمارسه وسائل الاتصال عليهم من تأثيرات بغياب هذه الروابط والعلاقات الاجتماعية. (المصدر السابق).

ومع أننا لسنا هنا بصدد مراجعة نقدية لهذه المنطلقات النفسية والاجتماعية، إلا أنه من المناسب التأكيد بأن هذه المنطلقات فيها من عدم الدقة العلمية والتبسيط وسوء الفهم لطبيعة العلاقة بين الجمهور ووسائل الاتصال ما يجعلنا نسقطها من اعتباراتنا حين نود أن نقدم فهماً دقيقاً لطبيعة هذه العلاقة؛ فالادعاء بالتأثير المباشر والفوري لوسائل الاتصال الجماهيرية على الجمهور (Straitforward and direct)، لم يلق، في الحقيقة، قبولاً لدى الباحثين في ميدان الاتصال الجماهيري في السنوات اللاحقة لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يصمد أمام الانتقادات التي وجهها إليه هؤلاء الباحثون. فهو برأيهم مجرد ادعاء (Assumption) لا يوجد ما يثبته أو يدعمه، وبخاصة مفهومي الغريزة والمجتمع الجماهيري (Mass Society)، تجريبيا وميدانيا من جهة، ولأنه لا يأخذ أيضا بعين الاعتبار البنية النفسية الديناميكية للفرد، ولا الظروف الاجتماعية والثقافية المحيطة به كذلك من جهة أخرى.

نظرية التأثير المحدود

وأما النظرية الثانية التي أعقبت هذا المدخل فهي تلك المسماة بنظرية "التأثير المحدود" أوالتعرض الانتقائي (Selective Exposure). ويستند الفهم الجديد لتأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية على الجمهور إلى مسلمات نفسية واجتماعية مختلفة

---

(1) يطلق بعض الباحثين الاجتماعيين على هذا المدخل اسم الحقنة تحت الجلد "Hypodermic Syringe"، انظر في ذلك:

- Black, J Brayant, J; and Thompson, S. (1998). Introduction to Mass Communication. Boston: McGraw Hill, Chapter Three, PP. 35 - 67.

تماماً عن تلك الافتراضات والمسلمات التي استند إليها الباحثون السابقون، كما يعكس أيضاً تقدماً في أساليب البحث العلمي المتبعة في تلك المرحلة لقياس هذه التأثيرات.

وينضوي تحت هذه النظرية نماذج أومداخل مختلفة أهمها:

أ. **مدخل الفروق الفردية** : يركز أصحاب هذا المدخل على دور عملية التعليم والتعلم كمصدر من مصادر الفروق بين الأفراد في استجاباتهم لوسائل الاتصال الجماهيرية، وعلى دور الأفراد في إنتقاء وسائل الاتصال الجماهيرية التي يودون التعرض لها؛ فالتأثير الذي تحدثه هذه الوسائل عليهم، إنما يخضع لظروف الفرد الذاتية، ولسماته الشخصية.

ب. **مدخل الفئات الاجتماعية (Social Categories)**: تختلف توجهات أصحاب هذا المدخل ومنطلقاتهم عن منطلقات المدخل السابق. فهم وإن كانوا يقرون بوجود فروق فردية بين الأفراد في المجتمع، كما يذهب أصحاب مدخل الفروق الفردية، إلا أنهم يختلفون معهم في نظرتهم إلى استجابات هؤلاء الأفراد لوسائل الاتصال. فالأفراد، كما يرى أصحاب مدخل الفئات الاجتماعية، لا يوجدون كذرات مستقلة أومنفصلة عن بعضها البعض داخل المجتمع، وإنما هم يتعنقدون أو يتجمعون في فئات أوشرائح أوطبقات اجتماعية معينة، ويتميزون بخصائص متشابهة كتشابههم في الدخل، أوالعقيدة، أوالطائفة، أوالعرق، أوالحزب، أوالطبقة، أو القطاع الاجتماعي "الريف وحضر"، أوالعمر أوالمهنة...إلخ. إن هذا التشابه في الخصائص تجعل من كل فئة من هذه الفئات فئة اجتماعية مغايرة للفئات الأخرى في طرق تعاملها واستجاباتها لوسائل الاتصال الجماهيرية. وهكذا، فإن الفئات المتشابهة تستجيب لوسائل الاتصال بطرق متشابهة. (Edelstien, A, etal, 1989).

ج.**مدخل العلاقات الاجتماعية (Social Relations)**: وأما المدخل الآخر الذي ينضوي تحت نظرية التأثير المحدود لوسائل الاتصال الجماهيرية، والذي كان له دور كبير في كشف المزيد عن طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال والجمهور، والذي أثرت نتائج البحوث التي أجراها المدافعون عنه إلى تقدم ملموس وواضح في مسيرة التفكير الاجتماعي بمسألة طبيعة هذه العلاقة، فهو المدخل المعروف باسم مدخل العلاقات الاجتماعية.

ويرى الباحثون هنا أن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع الـذي تعمل فيه المؤسسة الاتصالية (رسمية أم غير رسمية، مغلقة، أم مفتوحة، فـاترة أم حميمية، صراعية أم تعاونية...إلخ) تحدّ وتقلل من التأثيرات المباشـرة والفوريـة لوسائل الاتصال على الأفراد. فالعلاقات غير الرسمية والمفتوحة السائدة في مجتمع ما، قد تعمل على حماية الأفراد، من تأثيرات وسائل الاتصال المباشـرة علـيهم، وتقلل من مخاطرها وانعكاساتها الـسلبية. (Defleur, M, and Pall – Rokeach, S 1989).

وقد توصل الباحثون إلى هذه النتيجة من خلال دارساتهم التي أجروها علـى السلوك الانتخابي في أثناء الحملة الإعلامية لانتخابات الرئاسـة الأمريكيـة فـي الأربعينيات. حيث تبين لهم مدى فاعلية الدور الذي تقوم به العلاقـات الشخـصية والاجتماعية في هذا السلوك في مجمل عملية الاتصال الجمـاهيري خـلال تلـك الحملة، ودور الجماعات المرجعية (Reference Groups) أيضاً في التأثير على هذا السلوك. إذ تعمل هذه الجماعات كعوامل وسيطة تحمي الأفـراد مـن التـأثيرات المباشرة لوسائل الاتصال. (Schramm, W 1975) وهذا يعني أن غالبية الأفراد لا يحصلون على معلومتهم بشكل مباشر من هذه الوسائل، وإنما هناك عوامل وسيطة تتوسط بينهم وبينها. كالأسرة مثلاً، واتحاد النقابات، والجمعيات وقادة الـرأي، ... ألخ.

إن تدفق العملية الاتصالية، إذن، يمر بخطوتين، وليس بخطوة واحدة كما كان يظن في السابق: الخطوة الأولى تبدأ حين تخرج الرسالة من المؤسسة الاتـصالية إلى الجمهور، ولكنها لا تصل إليه مباشرة، بل تمر عبر قادة الرأي، فيتلقاها هؤلاء القادة باعتبارهم عوامل وسيطة بين المؤسسة الاتصالية وبين الأفراد، وأما الخطوة الثانية فتبدأ حين تخرج الرسالة من قادة الرأي هؤلاء إلى بقية أفراد المجتمع.

ونجد تأكيداً لدور قادة الرأي أيضاً في الحد من تأثير قوة وسائل الاتصال على الأفراد لدى أصحاب مدخل آخر يعرف باسم "انتشار المبتكرات ". يذهب أصـحاب هذا المدخل وبخاصة روجرز وشوميكر، (Rogers and Shoemaker) إلـى تأكيـد فرضية تدفق سير العملية الاتصالية على مراحل، وإلىالدور الحاسم الذي يمارسه قادة الرأي في التأثير على الأفراد خلال كل مرحلة مـن هـذه المراحـل. ففـي

نظريتهما المعروفة باسم انتشار المبتكرات (Difussion of Innovation)، ذهبا إلى القول بأن انتقال المعلومات، وبخاصة حول المبتكرات أو الأفكار الجديدة في المجتمع، يمر بأكثر من خطوة، وينساب عبر عدد كبير من الأفراد يسمح لهم بالتدخل في توضيح بعض الجوانب المتعلقة بهذه المبتكرات. إن دور الاتصال، حسب رأيهما، في هذه الحالة يتجسد في إثارة اهتمام الأفراد بهذه المبتكرات الحديثة وتهيئتهم لتقبلها. وفي هذه الحالة فإن الدور الأكبر والفعلي في انتشار المبتكرات إنما يرجع إلى ما يمارسه قادة الرأي من تأثيرات معينة عليهم. (Rogers, E, and Shoemaker, F. 1973).

ومن أشهر المداخل الأخرى التي تندرج تحت نظرية التأثير المحدود، والتي تعتبر إسهامات روادها في تفسير استخدام الأفراد لوسائل الإتصال مهمة في إعادة النظر في مسألة تأثير وسائل الإتصال، فهوالمدخل المعروف باسم الاستخدامات والإشباعات (Uses and Gratifications) [1].

يرى أصحاب هذا المدخل، أن وسائل الاتصال تعتبر مصدراً حيوياً ونافعاً في تزويد الأفراد بما يريدونه من معارف، وفي تلبية ما لديهم من حاجات ومتطلبات. لذا، فهم حين يلجأون إلى هذه الوسائل إنما يكون من أجل تحقيق هذه الحاجات والعمل على إشباعها. (Katz, E. 1959, Rosengren, K. 1974).

وهكذا فإن تعامل الجمهور مع هذه الوسائل بهذه الطريقة يعمل على حمايته من طغيان تأثيرات هذه الوسائل عليه، كما يقول إدلشتاين، أكثر مما تعمله أية عوامل أخرى (Edelstein, etal, 1989) ذلك أن وسائل الاتصال في هذه الحالة ليست هي التي تحدد للأفراد نوع الرسائل أوالمضامين التي يتوجب عليهم مشاهدتها أوالتعرض لها، وإنما الأفراد أنفسهم هم الذين يتحكمون بتلك الرسائل بالطريقة التي يريدونها وبالوسيلة التي يختارونها من أجل إشباع حاجاتهم المختلفة (كالحصول على المعرفة، والترفيه، والمعلومات، والأخبار...إلخ) (Katz, E. 1959; Rubin, A. 1985).

---

(1) يتعامل بعض الباحثين العرب مع هذا المدخل كنظرية مستقلة عن نظرية التأثير المحدود لوسائل الاعلام، ولكننا لانرى ذلك. فهذا المدخل ليس سوى اعادة صياغة محدودة لجوانب معينة من نظرية التأثير المحدود او التأثير التأثير الانتقائي.

وعلى الرغم من أهمية هذا المدخل في استجلائه لجانب مهم من جوانب تعامل الأفراد مع وسائل الاتصال في تلك المرحلة، إلا أنه تعرض لبعض الانتقادات التي دفعت بعض الباحثين إلى إعادة النظر في بعض افتراضاتهم ومسلماتهم حوله، وإجراء بعض التعديلات عليها والتوضيحات على بعضها الآخر في السنوات اللاحقة، حيث لا يزال يتبع هذا المدخل العديد من الباحثين في الدراسات الاتصالية ممن يرون في افتراضاته بعض جوانب الصحة التي تساعدهم في فهم طبيعة العلاقة بين هذه الوسائل والأفراد.

وبالرغم من تعدد المداخل الفرعية التي تنضوي تحت (نظرية التأثير المحدود) فإن جميع الباحثين الذين ينضوون تحت لوائها كانوا قد حاولوا، في الواقع، التأكد من صحة ادعاءات مدخل التأثير القوي والمطلق لوسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد؛ إذ قاموا بإجراء دراسات وبحوث ميدانية عديدة للتأكد من صدق هذا الإدعاء، بدأت من الأربعينيات واستمرت حتى نهاية الخمسينيات تقريباً، لم توصلهم إلى أي دليل يدعم صدق ما ذهب إليه ذلك الادعاء السابق، بل توصلوا إلى نتائج معاكسة تماماً؛ إذ تبين لهم أن تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد ليس فورياً ولا مباشراً من جهة، وليس متجانساً في قوته أيضاً من جهة أخرى؛ بل هوتأثير يختلف باختلاف الفروق النفسية والمزاجية للأفراد الناشئة عن تباين طرق تنشئتهم الاجتماعية وتمايز أساليب اكتسابهم لخبراتهم المتنوعة .(McQuail, D. 2000; Bilton, T, etal. 2002)

وبالإضافة إلى ذلك، فقد أفضت نتائج دراساتهم التي أجروها في هذا المجال، الى التأكيد على انه يجب النظر الى قوة وسائل الاتصال أو ضعفها، سواء أكان ذلك مباشراً أم غير مباشر، مقصوداً أم غير مقصود، من خلال العمليات الاختيارية أو الانتقائية التي يقوم بها الفرد للمحتوى المعرفي الذي يتعرض له في هذه الوسائل؛ اذ تعمل هذه العمليات كعوامل وسيطة في العملية الاتصالية، من شأنها أن تحد من تأثيرات وسائل الاتصال القوية والمباشرة عليه.

وقد اتضح لهم من خلال هذه الدراسات أيضا، أن الأفراد يعرضون أنفسهم بشكل طوعي أو اختياري (Selective Exposure) للوسيلة الاتصالية التي يريدونها، والتي يتوافق محتواها مع ميولهم واهتماماتهم واعتقاداتهم، كما تبين لهم كذلك ان

الأفراد انما يدركون الرسائل الاتصالية التي يتعرضون لها في هذه الرسائل، ويفسرون محتوياتها وفقا لأذواقهم ومصالحهم وتوقعاتهم. هذا إضافة الى انهم يتذكرون بشكل انتقائي ما يحبونه أو يرغبونه، ويتجنبون تذكر أو استرجاع ما لا يحبون أو يرغبون من محتويات هذه الرسائل الاتصالية التي يتعرضون لها.

وهكذا كشفت الدراسات الميدانية التي قام بها هؤلاء الباحثون، أن وسائل الاتصال لا تؤثر تأثيراً مباشراً على الافراد، ولكنها تعمل من خلال ما أسموه بالعمليات الاختيارية اوالعوامل الوسيطة.

وقد استعرض الباحث جوزيف كلابر في الستينيات الدراسات التي اجريت حول تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية على الافراد، وخرج بعدة تعميمات يمكن تلخيصها بما يلي:

"إن وسائل الإتصال ليست عادة السبب الكافي أوالضروري لإحداث التأثير على الجماهير. ولكنها تعمل مع، ومن خلال، بعض العوامل والمؤثرات الوسيطة. وفي الحالات الخاصة التي تعمل فيها وسائل الاتصال على حدوث تغيير، فمرد ذلك هوعدم قيام العوامل الوسيطة بدورها في هذه الحالة، وبذا يصبح تأثير وسائل الإتصال مباشراً، اوان العوامل الوسيطة التي تميل الى تدعيم الاتجاهات الموجودة لدى الفرد وتقويتها لديه، تساعد هي نفسها على إحداث التأثير أو التغيير" (Klapper, J, 1963).

ويجب ألا يفهم من النتيجة التي توصل اليها كلابر، أن وسائل الاتصال الجماهيرية عديمة التأثير على الأفراد في كل الظروف، وإنما يعني انها تمارس عملها وتأثيراتها ضمن نظام العلاقات الاجتماعية القائمة في المجتمع الذي تعمل فيه هذه الوسائل. وفي ظل ظروف ثقافية واجتماعية محددة تعمل هذه الظروف والعلاقات، وبخاصة غير الرسمية، على الحد أو التقليل من تأثيرات هذه الوسائل.

وبالإضافة إلى ذلك، توصلت الدراسات السابقة الى أن تأثيرات وسائل الاتصال ترتبط ايضا باعتبارات فردية، وسمات شخصية، وظروف الفرد الذاتية. فما يتعلمه الأفراد من وسائل الاتصال لا يؤدي بالضرورة الى تغيير اتجاهاتهم، واذا ما أدى إلى ذلك في حالات معينة ومحدودة، فإنه قد لا يؤدي الى تغيير في

سلوكاتهم وتصرفاتهم. فالتأثير، في الواقـع، يخـضع، حـسب وجهـة نظـرهم، لاعتبارات كثيرة أهمها كما قلنا، ظروف الفرد الذاتية وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة في المجتمع؛ إذ تعمل هذه العوامل على حماية الأفراد من تأثيرات وسـائل الاتصال المباشرة والفورية عليهم. (McQuail, D. 2000, Blulmer, J & McQuail, D. 1968, Bilton, T, etal, 2002).

وهكذا لم يعد يُنظر إلى الأفـراد حـسب المـدافعين عـن هـذه النظريـة، بمداخلها/نماذجها المختلفة، على أنهم مجرد تجمّع سلبي وخامـل، (Passive) فـي تعاملهم مع هذه الوسائل، بل هم أفراد فاعلون (Active) في هذا التعامـل، لـديهم حرية اختيار الوسيلة الاتصالية التي يريدون التعامل معها أو مع مضامينها الثقافية والمعرفية (Selective Exposure) ويدركون هذه المضامين بطرق انتقائية/اختيارية (Selective perception)، كما أنهم يتذكرون بطرق اختيارية ما يريدون تذكره من هذه المضامين (Selective recalling). إن هذا التعرض الانتقائي أوالاختياري هـو الذي يحميهم من مخاطر التأثير القوي لهذه الوسائل عليهم، كما كشفت عنه نتـائج دراسات الباحثين في هذا المجال في تلك الفترة من تطور التفكير الاجتماعي فـي مسألة فهم العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيرية وبين الأفراد.

وهكذا، فإن نظرية التأثير المحدود بنماذجها السابقة المختلفة، كانت قد عملت على تقديم صورة مختلفة ومتباينة إلى حد كبير عن تلك التي قدمها أصحاب مدخل التأثير القوي المباشر بشأن طبيعة العلاقة بين الأفراد ووسائل الاتصال الجماهيرية.

ولكن البحث العلمي في مسألة التأثيرات لم يتوقف عند هذا الحد، بل اسـتمر في الكشف عن فهم طبيعة العلاقة بين وسائل الإتصال الجماهيريـة والأفـراد؛ إذ طرأت في السنوات اللاحقة، بعض التغيرات والتعديلات على هذه النظرية تعكس التقدم الذي طرأ على الفكر الاجتماعي في هذه المـسألة. ولقـد تمخـضت هـذه التعديلات عن نظرية ثالثة شكلت اسهاماً مهماً وجديداً في فهم مسألة تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية.

نظرية التأثير المعتدل:

شهدت السنوات اللاحقة (الستينيات والسبعينيات) تطوراً في التفكير الاجتماعي بمسألة تأثيرات وسائل الاتصال على الجمهور، كما أشرنا، أفضى إلى ظهور نظرية جديدة تدعوإلى إعادة النظر في فهم طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيرية وبين الأفراد.

يرى أصحاب النظرية الجديدة أن الفهم السابق لمسألة التأثير، برغم أهميته، يبقى غير دقيق وغير كاف لفهم هذه العلاقة المعقدة، وينقصه العديد من المتغيرات التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند دراسة هذه العلاقة؛ كما انهم يرون أيضا ان تقليل نظرية التأثير المحدود السابقة من شأن تأثير وسائل الاتصال على الأفراد، واهتمامها بالتأثير ذي المدى القصير والمباشر، واستبعادها للتأثيرات ذات المدى البعيد وغير المباشر، وانحصار اهتمامها بتأثير هذه الوسائل على آراء الأفراد واتجاهاتهم فقط، كان قد جعل منها نظرية غير موفقة في تقديم فهم شامل لمسألة التأثير الذي تحدثه وسائل الاتصال على الأفراد. ومن هنا كانت الحاجة، برأيهم، إلى نظرية جديدة لا تبالغ في تصوير قوّة وسائل الاتصال، ولا تقلل من شأن هذه القوّة أو تنفيها. (McQuail, D, 2000).

وتتكون نظرية التأثير المعتدل لوسائل الاتصال الجماهيرية من عدة نماذج فرعية، يشكل كل نموذج/مدخل منها إضافة جديدة الى ما سبقه من نماذج من حيث فهمها لمسألة التأثيرات. ويمكن تلخيص كل مدخل منها كما يلي:

أ. مدخل ترتيب الأوليات – الأجندة (Agenda Setting).

يرى أصحاب هذا المدخل أن وسائل الاتصال بمقدورها توجيه الرأي العام، والتأثير على المدى الطويل في تشكيل اهتماماته حول قضية ما من القضايا الاجتماعية اوالسياسية اوالاقتصادية، وذلك من خلال التركيز عليها في هذه الوسائل حتى تستحوذ على اهتماماته وانتباهه. أي أن الدور الفعلي لهذه الوسائل، كما يرون، يكمن في تحريك اهتمامات الجمهور بقضايا وموضوعات بعينها لتتفق في ترتيبها مع الترتيب الذي تضعه هذه الوسائل لأهمية هذه القضايا والموضوعات؛ فمثلما يحدد أويرتب جدول أعمال أي مؤتمر أولقاء أواجتماع الموضوعات التي

سوف تجري مناقشتها بناء على أهميتها حسب ذلك الجدول، تقوم وسائل الاتصال الجماهيرية بالوظيفة نفسها. أي أنها تفرض على الجمهور جدول أعمالها الذي يحدد لهم الأهم، والمهم، والأقل أهمية، وغير المهم من تلك الموضوعات. (حسن مكاوي وليلى السيد، 1998).

ولقد لخص الباحثان لانج ولانج هذا المدخل والافتراضات القائم عليها كما يلي:" ان وسائل الاتصال هي التي توجه اهتمام الجمهور نحوقضايا بعينها، وهي التي تطرح الموضوعات عليه، وهي التي تقترح ما الذي ينبغي ان يفكر فيه، وما الذي ينبغي ان يعرفه أو يشعر به " (Lang, K; and Lang, G. 1966, P. 126). فعلى سبيل المثال حين تقرر وسيلة اتصالية ما ان قضية ما من القضايا "كالإرهاب" مثلا، هي قضية مهمة، أو أن شخصاً ما هو شخص "إرهابي"، أو أن مطربة ما من المطربات هي مطربة "مهمة" فإنها تعطيها مساحة أو تغطية واسعة وتخصص لها وقتاً كافياً في عروضها وتكرّر ذلك بشكل دائم، حتى تبدو تلك القضية، كما يقول أصحاب هذا المدخل، قضية هامة لدى الجمهور الذي يتعرض لتلك الوسيلة الاتصالية، وتكتسب عندهم أولوية من أولوياتهم.

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت الى هذا المدخل، الا انه أسهم في تعميق الفهم لذلك الدور الذي تمارسه وسائل الاتصال الجماهيرية في التأثير على الافراد، وبخاصة التأثير على المدى البعيد.

ب. مدخل التثقيف أو الغرس الثقافي (Cultivation Approach)

يعتبر هذا المدخل تطبيقاً للافكار الخاصة بعمليات بناء المعاني وتشكيل الحقائق الاجتماعية والتعلم بالملاحظة، والأدوار المنسوبة الى وسائل الاتصال في هذه العمليات؛ حيث ينسب دعاة هذا ا لمدخل الى هذه الوسائل دوراً واضحاً وملموساً في ذلك. (محمد عبد الحميد 1997).

وقد قام الباحثون من التأكد امبريقياً من هذا الادعاء، فقاموا بدراسات ميدانية امتدت لسنوات طويلة، استمرت في الواقع طيلة الستينيات والسبعينيات حول قدرة هذه الوسائل على تشكيل المعاني والمعتقدات والصور الرمزية حول قضية شغلت

المجتمع الامريكي في تلك السنوات، وهي قضية الجريمة والعنف الذي ساد ذلك المجتمع في تلك الفترة. (DeFleur, M, and Pall – Rokeach, S, 1989).

وقد قادتهم دراساتهم الى نتيجة مفادها ان تعرض الفرد المتكرر للتلفزيون ولفترات طويلة ومنتظمة تنمي لديه اعتقاداً بأن العالم الذي يشاهده هو صورة عن العالم الاجتماعي الذي يعيشه (Becker, S; 1987).

وهكذا فإن هذا المدخل يرى ان وسائل الاتصال تؤثر بشكل قوي على ادراك الافراد للعالم الخارجي وتبني لديهم اعتقادات خاصة حول طبيعة هذا العالم، وخاصة اولئك الذين يتعرضون لهذه الوسائل بشكل مكثف ولمدة طويلة من الزمن. وعليه فإن الصور الذهنية التي يحملها هؤلاء الافراد في رؤوسهم ما هي إلا نتيجة لهذا التكرار.

وتؤكد هذه الدراسات ايضاً أن تأثير التلفزيون كوسيلة اتصالية فاعلة ومؤثرة في تكوين هذه الصور الرمزية عن العالم الاجتماعي، إنما هوتأثير يتم على المدى الطويل، أي أنه يحتاج إلى فترة طويلة حتى تظهر آثاره من خلال عملية تراكمية ممتدة زمنياً، كما أنه تأثير غير مباشر على الأفراد، وغير متجانس أيضاً في قوته على الجميع (محمد عبد الحميد، 1997)؛ فتأثيره على الصغار يكون أقوى منه على الكبار، ذلك لأن الصغار لم تتكون لديهم القدرة على التمييز بين الحقيقة والخيال؛ ويكون تأثيره على الصغار في الأسر المفككة أقوى من تأثيره على الاطفال في الاسر المتماسكة.

ج- مدخل الاعتماد على وسائل الاتصال (Dependency Approach)

يتناول هذا المدخل وسائل الاتصال باعتبارها أنظمة اجتماعية (Social Systems) ذات طبيعة تفاعلية مع الأنظمة الأخرى الموجودة في المجتمع (كالنظام الاقتصادي والسياسي). وقد أضاف هذا الفهم لطبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال والأفراد بعداً جديداً ومهماً لم يلتفت إليه الباحثون في السنوات السابقة مطلقاً.

إن النظر إلى وسائل الاتصال بوصفها أنظمة اجتماعية تتداخل مع الأنظمة الأخرى الموجودة في المجتمع، وتحديد طبيعة هذا التداخل والتفاعل بينها، هو الذي

يقرر مدى قوة التأثير الذي تحدثه هذه الوسائل أو ضعفه من جهة، أوتجعل منه تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الأفراد سواء، أكان قصير المدى أم بعيده، من جهة أخرى (McQuail, D, 2000).

ويذهب دوفلور، بوصفه أحد أقطاب هذه النظرية والمدافعين البارزين عنها، إلى القول بأن فهمنا لطبيعة التأثير، ومستواه وقوته ومداه سيستعصي علينا، ما لم نستطع تحديد الاعتماد المتبادل (Interdependent) بين كل من مؤسسة الاتصال الجماهيرية، باعتبارها نظاماً اجتماعياً، وبين النظام السياسي والاقتصادي في المجتمع، وبين الجمهور.

وأما فيما يتصل بعلاقة النظام السياسي بالمؤسسة الإعلامية، فهو، في الواقع، يلجأ إليها لتساعده في نشر سلطته، وفرض هيمنته، والترويج لأفكاره ومبادئه في المجتمع؛ في حين نجد أن النظام الاقتصادي يلجأ إليها لدوافع أخرى تكمن في قدرتها على الترويج لمشاريعه الضخمة والإعلان عنها. ولا توجد مؤسسة أخرى، كما يقول دوفلور، ويؤيده في ذلك الباحث هربرت شيللر، بمقدورها القيام بهذا الدور بفاعلية كالمؤسسة الاتصالية التي لا تستغني هي الأخرى عن دعم هذين النظامين لها وحمايتهما السياسية والمادية لها في ترويجها ونشرها لمنتجها الثقافي والمعرفي (Defleur, M, and Pall – Rokeach 1989,Schiller, H. 1974, 1992).

وأما فيما يتعلق بالاعتماد المتبادل بين المؤسسة الاتصالية والجمهور، فيرى دوفلور أن الجمهور لا يستطيع الاستغناء عن هذه المؤسسة أيضاً، فهي التي تزوده بالمعرفة والمعلومات والأخبار بكافة أشكالها وأنواعها محلياً وخارجياً، وهي التي تعمل على توجيه سلوكه وتفاعله وطريقة تعامله مع المواقف الطارئة من خلال ما تقدمه له من معارف ومعلومات وخبرات، وهي أيضاً التي تعمل على ترفيهه وتسليته ليروّح عن نفسه عناء التعب اليومي في مجتمع رأسمالي لا يرحم.

ويؤكد دوفلور هنا، أنه على الرغم من وجود مؤسسات أخرى في المجتمع تقوم بتحقيق هذه الحاجات والأهداف للفرد (كالأسرة والأصدقاء وبعض الاتحادات والجمعيات التي ينتمي إليها الفرد.... الخ)، إلاّ أن اعتماد الفرد على المؤسسة الاتصالية في المجتمع المعاصر في تحقيق ذلك يفوق أي اعتماد آخر. فهذه

المؤسسة هي التي تسيطر على مصادر المعلومات التي يحتاجها الفرد في حياته اليومية أكثر من غيرها، الأمر الذي يجعل الإعتماد عليها أمراً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه. ونظراً لتباين الافراد واختلافهم في اهدافهم ومصالحهم وحاجاتهم فانهم، كما يقول دوفلور، يختلفون في درجة اعتمادهم على هذه المؤسسة.

ويقدم دوفلور نموذجاً دقيقاً لفهم طبيعة تأثيرات المؤسسة الاتصال الجماهيرية، بوصفها نظاماً اجتماعياً متداخلاً ومترابطاً مع أنظمة أخرى في المجتمع. ويقوم هذا النموذج على فهم دقيق لثلاثة عناصر متداخلة هي:

1- طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع الذي تعمل فيه المؤسسة الاتصالية.

2- طبيعة الأفراد من حيث مدى اعتمادهم على هذه المؤسسة في تزويدهما لهم بالمعرفة والمعلومات الضرورية في حياتهم.

3- طبيعة المعلومات نفسها التي تقدمها المؤسسة الاتصالية للأفراد.

وإذا ما تمكنا من تحديد طبيعة الاعتماد المتبادل بين هذه النظم الثلاثة، استطعنا، كما يقول دوفلور، تحديد نوع التأثير الذي ستحدثه هذه المؤسسة على الأفراد سواء أكان وجدانياً، أم معرفياً أم سلوكياً، واستطعنا كذلك تحديد مستوى قوته أوضعفه وتمكنا أيضاً من تحديد مدى قوة هذا التأثير سواء أكان قصير الأجل أم بعيده. (Delfeur, M, and Pall – Rokeach, S 1989, McQuail, D, 2000).

لقد سيطر هذا المنظور الجديد، والفهم الدقيق في تفسير طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال والجمهور على تفكير العديد من الباحثين، ليس فقط في السبعينيات بل في السنوات التي تلت ذلك، وهي السنوات التي شهدت زخماً هائلاً في بحوث تأثير وسائل الاتصال وبخاصة التلفزيون باعتباره القناة الأكثر جاذبية وجدلاً في حقيقة تأثيراتها على الجمهور.

ولابد من التأكيد هنا، على مدى تأثر البحوث والدراسات الاتصالية في هذه المرحلة من مراحل تطور التفكير الاجتماعي بمسالة طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيرية والجمهور بالجدل المحتدم آنذاك بين الماركسيين وأصحاب الاتجاه التعددي في العلوم الاجتماعية (Pluralists) حول مسألة ملكية وسائل الإنتاج

(Ownership) وطبيعة الضبط (Control) الذي يمارسه مالكو هذه الوسائل على طبيعة محتوى الإنتاج الثقافي والمعرفي لها.

وفي هذا الصدد يرى بعض المنظرين الماركسيين، وفي طليعتهم ميليباند، (Miliband) بأن مالكي المؤسسة الاتصالية (Media Owners) – بصفتها مؤسسة إنتاج معرفي وثقافي – يمارسون قوة هائلة في التأثير على الجمهور من خلال تدخلهم المباشر في تقرير شكل المنتج وطبيعته. (Miliband, R, 1969). في حين يرى بعضهم الآخر، وبخاصة بيتر جولدنج وجراهام ميردوك، أن هؤلاء المالكين لا يتدخلون بشكل مباشر في طبيعة المحتوى المعرفي والثقافي لهذه المؤسسة، وإنما يمارسون تأثيرهم من خلال المديرين الذين يعينونهم لينوبوا عنهم في تنفيذ سياساتهم وتوجهاتهم الأيديولوجية (Golding, P, and Murdock, G, 1991).

وأما ذووالاتجاه التعددي، فلهم وجهة نظر مخالفة لوجهة نظر الماركسيين في هذه المسألة؛ إذ يرون أن تأثير مالكي المؤسسة الاتصالية في تقرير شكل الرسائل الاتصالية المنتجة ومحتواها هوتأثير ضعيف للغاية. فالدور الأكبر والأقوى في صناعة هذا المنتج إنما يعزى للجمهور نفسه وليس لهؤلاء المالكين. إنّ طلبات الجمهور وحاجاته ورغباته (Audience Demands)، هي التي تتحكم بهذا المنتج وبهذه الرسائل الاتصالية، وإن لم تستجب هذه المؤسسة لهذه الحاجات، فإنها، برأيهم، ستتعرض للإفلاس والانهيار. (Whale, J, 1977).

ولا يكتمل التأريخ لهذه المرحلة من مراحل تطور التفكير الاجتماعي بمسألة تأثير وسائل الاتصال على الجمهور دون توضيح لإسهام آخر من الإسهامات الجادة التي تركت بصماتها الواضحة على الدراسات الاتصالية في تلك المرحلة، وهوالإسهام الذي قامت به الباحثات من ذوات الاتجاه المعروف باسم "التوجه النسوي" (Feminist Approach)، وبخاصة ما يتعلق بالدور الذي تلعبه المؤسسة الاتصالية في تنميط النساء (Women Stereotyping).

وفي هذا الصدد ترى هؤلاء الباحثات أن وسائل الاتصال لها قدرة كبيرة على تنميط النساء بطريقة تعزز الصور السلبية السائدة عنهن في المجتمع. كما أن لديها قدرة على تخليق صور جديدة سلبية عنهن في الاتجاه نفسه. (Bilton, T. etal, 2002

(Taylor, L. and Willis, A, 1999). وترى هذه الباحثات أيضاً بأن تعرّض الجمهور المتواصل والمستمر (Long-term exposure) لهذه الصور النمطية السلبية سيعمل على دفعه إلى تشرب المضامين الكامنة وراءها حول النساء. (Signorelli, N, and Morgan, M, 1990)؛ وهذا بالطبع يخدم النظام الاجتماعي القائم في المجتمع، الذي يرى في هذه الصور السلبية تأكيداً لوجهة نظره في النساء (Seidman, S, 1994).

واعتماداً على ما سبق، يمكن القول بأن نظرية التأثير المعتدل لوسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد، بنماذجها المتعددة، كانت قد سيطرت على الفكر الاجتماعي بهذه المسألة طيلة فترة الستينيات والسبعينيات، وتمثل بداية جديدة ونقطة انطلاق مهمة في النظر الى مسالة تأثير هذه الوسائل عليهم. فهي بتأكيدها عليهم. على ضرورة التعامل مع وسائل الاتصال الجماهيرية باعتبارها نظماً اجتماعية ذات طبيعة اعتمادية – تفاعلية مع النظم الاخرى الموجودة في المجتمع، كالنظام الاقتصادي والسياسي، يصعب فهم وظائفها وأدوارها دون تحليل عميق لطبيعة هذه التبادلية، تكون قد مهدت لبروز اتجاه جديد في الدراسات الإتصالية يركز على البعد الإجتماعي والإقتصادي والسياسي في فهم عمل المؤسسة الأتصالية.

ولم يتوقف البحث عن هذا الحد من الفهم لطبيعة التأثيرات التي تحدثها المؤسسة الإعلامية، بل استمر، في السنوات اللاحقة، ولكن بمناهج جديدة واتجاه نظري جديد، عُرف بأسم "الإتجاه الثقافي".

الإتجاه الثقافي في الدراسات الإعلامية:

يُعتبر هذا الإتجاه من أبرز الإتجاهات الحديثة في الدراسات الإعلامية. ويعود الفضل في تطوره وبلورته إلى إتجاه متماسك في الدراسات الإعلامية إلى الجهود التي بذلها فريق مركز الدراسات الثقافية المعاصرة في بيرمنجهام في بيريطانيا. (Centre for Contemporary Cultural Studies) الذي يتزعمه ستيورات هول ودورثي هوبس وأندرو لوي وبول ولس (Hall,S,Hobson, D, and Willis, P. 1980) لقد استفاد هول وزملاؤه في هذا المركز من الموروث السوسيولوجي الذي

قدمته مدرسة فرانكفورت[1] في تحليلها للأنساق الثقافية في المجتمع من جهة، ومن مناهج البحث التي استخدمتها الدراسات البنيوية والسيميولوجية[2] من جهة أخرى؛ حيث ساعدتهم هذه المناهج على استخراج المعاني الضمنية لنتاج المؤسسة الإعلامية.

ويتميز هذا الإتجاه في الدراسات الإعلامية، كما جاء في تبرير ستيورات هول، لتأسيس هذا المركز، بتركيزه على فهم المضامين الثقافية التي تقدمها المؤسسة الإعلامية، وبخاصة الثقافة الجماهيرية[3]، والإطار الإجتماعي الذي يتم فيه إنتاج هذه المضامين واستهلاكها في المجتمع. وفي هذا الصدد يقول هول في دفاعه عن أهمية هذا الإتجاه، وضرورته في الدراسات الإعلامية ما يلي: أنه يعطي الثقافة والعمليات التثقيفية دوراً أساسياً في المجتمع، على عكس كثير من النظريات المادية التي تعطيها دوراً هامشياً ومحدداً. ففي كثير من هذه النظريات المادية يُنظر إلى الثقافة بأنها وعاء يعكس الترتيبات الإقتصادية والمادية في المجتمع. والتعريف المعطى للثقافة هنا يؤكد أن الثقافة متداخلة في كل الأنشطة الإجتماعية، وأن هذه الأنشطة الإجتماعية تعتبر هي بدورها، أحد أبرز أشكال النشاط الإنساني العام. ويعارض الإتجاه النظري هنا النظر إلى الثقافة بمنظور العلاقة بين البنية الفوقية الفكرية، والبنية التحتية المادية والإقتصادية، حيث تُصور الثقافة على أنها جزء من النظام الفكري الذي يتحكم فيه بشكل حتمي النظام الأقتصادي المادي للمجتمع. ويُعرّف هذا الإتجاه الثقافة على أنها تمثل كلاً من الوسائل والقيم التي تتبعها الجماعات والشرائح والطبقات الإجتماعية المختلفة – طبقاً لعلاقاتها وظروفها التاريخية، للمعايشة والتعامل والإستجابه مع واقع حياتها. (Hall,S. 1980).

---

(1) مدرسة فرانكفورت: هي إحدى أهم المدارس الفكرية في علم الإجتماع التي أسسها مجموعة من المفكرين في مدينة فرانكفورت (أدورنو وهوركهيمر وماركوز) في بداية العشرينات، ولكنهم هربوا إلى الولايات المتحدة خوفاً من بطش النازية. ولقد ترك تراثهم الفكري تأثيراً كبيراً على علماء الإجتماع – الماركسي، والثقافي وبخاصة الإتجاه المعروف بالنظرية الثقافية الوسائل الإعلام. أنظر كتاب بوتومور المخصص لهذه المدرسة
- Bottomore, T (1989) The Frankfort School. London: Routledge and Kegan Paul.

(2) السيميولوجية: هي العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلاقات اللغوية في مجال الحياة الإجتماعية الثقافية.

(3) الثقافة الجماهيرية: يشير هذا المصطلح إلى جملة القيم الثقافية التي تروج عبر وسائل الإتصال الجماهيرية بين عدد كبير من الجمهور، والتي درج على تمييزها عن ثقافة النخبة غير المتاحة لهذا الجمهور. وتقترن الثقافة الجماهيرية، في الواقع، بسيكولوجية المستهلك؛ إذ تنشر معايير مبسطة، وقيم نمطية، تنتقص من قيمة الثقافة وتفرغها من مضمونها الحقيقي، وتحيلها إلى مجرد نوع من التسلية الخالصة والإستهلاك المتعي. وبهذه الكيفية تشكل الثقافة الجماهيرية أداة للتأثير الأيديولوجي والنفسي على الجمهور. أنظر في ذلك عمل بوتومور المشار إليه أعلاه.

وهكذا يتضح من هذا الفهم لمعنى الثقافة، أن مؤسسي الأتجـاه الثقـافي فـي الدراسات الإعلامية، إنما يركزون اهتمامهم، بشكل رئيسي، على تحليل المضامين الإعلامية (الرسائل)، بهدف استخراج المعاني الضمنية لهذه الرسائل، وكشف حقيقة انتظام هذه المعاني فيها من جهة، وعلى استجابات الجماعات الإجتماعية على هذه المعاني من جهة أخرى. ويبدو، كما يقول دينس ماكويل، أن هناك أتفاقاً بين معظم المؤيدين لهذا الإتجاه على أن فهم العملية الثقافية يتطلب فهماً لعمل القوى الماديـة التاريخية في المجتمع، وعلى أن فهم القوة المادية يتطلب فهماً لدور الثقافـة فـي المجتمع، (دنيس ماكويل، 1992).

وعلى أية حال، وبرغم الجهود الدؤوبة والمحاولات الرصينة التي قـام بهـا الباحثون في مركز الدراسات الثقافية في جامعة بيرمنغنهام، والجهود الأخرى التي قام بها من سبقهم من الباحثين، إلا أنهم لم يتمكنوا من بلورة نظرية متكاملة وشاملة في فهمها لتأثيرات وسائل الاتصال بمعزل عن النظريات الإجتماعية المعروفة في علم الاجتماع.

وهكذا يمكن الاستنتاج من الاستعراض التاريخي السابق لنظريات الاتـصال عدم التوصل إلى إجابات شافية ونهائية في البت في مسألة التأثير الـذي تحدثـه وسائل الاتصال الجماهيرية، على الرغم من بعض الأفكار والافتراضات والمفاهيم الجديدة التي قدمتها بعض المداخل / النماذج في دراسة هذه المسألة، وهذا يعني أننا سنبقى نعتمد عليها في تفسير تأثيرات الإنترنت حتى تبرز نظرية جديدة فـي هـذا الخصوص. وإلى أن يحين ذلك الوقت فإنه من غير اللائق، أن نفترض أن إحـدى النظريات السابقة هي نظرية "صحيحة" برمتها، أو"كاملة"، فـي حـين أن نظريـة أخرى منها "خاطئة" كلية أوعفى عليها الزمن يجب التخلي عن مسلماتها. فالوقت ما يزال بعيداً، على ما يبدو، قبل أن تبرز نظرية اجتماعية – اتـصالية – حديثـة تنال قبول الباحثين الاجتماعيين في ميدان التواصل الاجتماعي، وتحظى بـدعمهم جميعاً، وتشفي غليلهم في تقديمها إجابات مقنعة وشافية للتساؤل القديم – الحـديث المتعلق بمسألة تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد، وبخاصة الإنترنت، باعتباره الوسيلة الاتصالية الأكثر حداثة بين هذه الوسائل.

الخلاصة

يتفرد الإنترنت كوسيلة اتصال الكترونية بمزايا وخصائص اتصالية يندر أن نجدها في وسيلة أخرى. فهو يدمج بشكل تكاملي بين أكثر من وسيلة من وسائل الاتصال مما يجعل الشباب يقبلون على استخدامه بشكل متزايد ومتسارع، ويعتمدون عليه في حياتهم اليومية بطريقة لافتة للنظر. إن هذه الخصائص مجتمعة تؤهله لأن يكون نظاماً اتصالياً في المستقبل يضاف إلى الأنظمة الاتصالية الراسخة في المجتمع، وربما يتفوق عليها في تقديمه للخدمات التي تشبع احتياجات الشباب والمؤسسات على حد سواء.

وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من الاتصال في المجتمعات المعاصرة، إلا أن الباحثين لم يدرسوا أبعاده وخصائصه الثقافية، ولم يطوروا نظرية اجتماعية خاصة به تساعدهم على فهم المشكلات الإجتماعية التي أوجدها هذا النوع من الإتصالات الإلكترونية، أو عمق التأثيرات النفسية والإجتماعية التي تمخضت عنه؛ بل اكتفوا بالنظريات الإجتماعية المألوفة في أوبيات الدراسات الإتصالية والإجتماعية على اعتبار أن هذا النوع من الإتصال هو جزء لا يتجزأ من الإتصال الجماهيري.

الفصل الثاني

الخصائص النوعية والاجتماعية للشباب

مقدمة

الخصائص النوعية – الأساسية

الخصائص المتعلقة بالعلاقات الأسرية

الخصائص النوعية والاجتماعية للشباب

مقدمة

كنا قد أوضحنا في المقدمة، بأن من أهم الأهداف التي تسعى هذه الدراسة الى تحقيقها والوصول اليها، هو معرفة الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية التي تركها الانترنت، بوصفه وسيلة اتصال الكترونية حديثة في المجتمع، على علاقات الشباب الاجتماعية باسرهم، وتفاعلاتهم الاجتماعية مع معارفهم وأصدقائهم. إضافة إلى محاولتها معرفة الخصائص الثقافية للأنترنت.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف،تم اختيار (472) شابا وشابة بطريقة عشوائية، حسب الأصول العلمية المتبعة في اختيار مثل هذا النوع من العينات في الدراسات الإجتماعية[1]. وسنقوم الأن بعرض تفصيلي للخصائص الأساسية والنوعية للشباب (التعليمية والمهنية والعمرية، إضافة إلى دخولات أسر الشباب الشهرية، وخبرتهم في استخدام الإنترنت وكذلك عدد ساعات استخدامهم اليومي له). كما سنقوم أيضاً بعرض لطبيعة علاقات الشباب الإجتماعية بأسرهم النووية وعائلاتهم (أسرهم الممتدة).

الخصائص النوعية- الأساسية

بلغ العدد الكلي للشباب الذين أجريت عليهم الدراسة كما قلنا، (472) شابةً وشاباً ممن تراوحت أعمارهم ما بين (14) سنة إلى (35) سنة. وبهذا الصدد فإن الجدول المعني بتحديد جنس هؤلاء الشباب يوضح أن عدد الذكور منهم قد بلغ (258) شاباً، وعدد الإناث هو (214) شابة. (انظر الجدول رقم 1).

---

(1) تكوّن مجتمع الدراسة في الحقيقة، من الشباب من كلا الجنسين في مدينة الدوحة، ممن يستخدمون الإنترنت في حياتهم اليومية، وممن تراوحت أعمارهم ما بين (14-35) سنة، وهو السن المتعارف عليه للشباب كما يرى العاملون في الدراسات الديمغرافية، وقد مثلت عينة الدراسة جميع الفئات العمرية والمستويات التعليمية والأوضاع الإجتماعية. وقد تم توزيع استبانه على هؤلاء الشباب، اشتملت على عدة محاور وأبعاد تتعلق بأهداف الدراسة. (أنظر الملاحق).

توزيع أفراد العينة حسب الجنس

الجنس	العدد	النسبة المئوية
الذكور	258	54.7
الإناث	214	45.3
المجموع	472	100

ويلاحظ من هذا التوزيع بأن نسبة تمثيل الإناث في العينة هو (45.3%). وهذه النسبة تعتبر عالية نسبياً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار خصوصية المجتمع القطري وصعوبة الوصول إلى النساء فيه. لذا، فإن الوصول إلى هذه النسبة من الشابات القطريات من مختلف المستويات العمرية والتعليمية والاجتماعية والمهنية أمر يدعو إلى الارتياح حين نأتي لتعميم نتائج هذه الدراسة.

كيف يتوزع هؤلاء الشباب من حيث عمر كل جنس منهم؟ يوضح الجدول (رقم 2) أن أعلى فئة عمرية منهم من حيث تمثيلها في العينة كانت الفئة العمرية الواقع عمر الشباب فيها ما بين (20-23) سنة. حيث بلغ عدد الشباب الذكور في هذه الشريحة العمرية (131) شاباً وشابة، أي ما نسبته (27.8%).

توزيع أفراد العينة حسب الفئات العمرية

الفئة العمرية	العدد	النسبة
14 أقل من 17 سنة	30	%6.4
17- أقل من 20 سنة	77	%16.3
20 - أقل من 23 سنة	131	%27.8
23 - أقل من 26 سنة	72	%15.3
26 - أقل من 29	89	%18.9
29 سنة - 35 سنة	73	%15.5
المجموع	472	%100.0

وأما فيما يتعلق بتوزيع الذكور والإناث في هذه الفئة، فقد بلغ عدد الذكور فيها (76) شاباً، أي ما نسبته (16.1%)، وبلغ عدد الإناث (55) فتاة، أي ما نسبته (11.7%) (انظر جدول رقم 3).

أما الفئة العمرية الثانية التي تلت هذه الفئة من حيث ارتفاع نسبة تمثيلها في العينة فهي تلك الفئة التي تراوحت أعمار الشباب فيها ما بين (26–29) سنة. حيث بلغ عدد الشباب فيها (89) شابةً وشاباً، أي ما نسبته (18.9%). احتلت الإناث منها ما نسبته (9.1%)، واحتل الذكور ما نسبته (9.7%)، أي (43) شابةً مقابل (46) شاباً.

وأما الفئة الثالثة من هؤلاء الشباب من حيث ارتفاع النسبة المئوية لها، فهي الفئة العمرية المحصورة ما بين (17–20) سنة. حيث كان عدد الشباب فيها (77) شابةً وشاباً أي ما نسبته (16.3%). منها (7.4%) إناث، و(8.9%) ذكور. أي أن هناك (77) شابةً وشاباً، (42) منهم كان شاباً ذكراً، و(35) منهم كانت فتاة.

وكما يشير الجدول (رقم 3) نفسه أيضاً إلى وجود (73) شابةً وشاباً تنحصر أعمارهم في الشريحة العمرية (29–35) سنة، أي ما نسبته (15.5%)، منهم (9.1%) كان من الذكور و(6.4) من الإناث. كما كان هناك (72) شابةً وشاباً أي ما نسبته (15.3%) من الشباب وقعت أعمارهم ما بين (23–26) سنة. حيث اشتملت هذه الفئة على ما نسبته (8.3%) من الذكور، مقابل (7%) من الإناث. وأما الشباب ممن يزيد عمرهم عن (14) سنة ويقل عن (17) سنة، فلم يكن منهم في العينة سوى (30) شاباً وشابة، أي ما نسبته (6.4%): (2.5%) من هذه النسبة كانوا ذكوراً، و(3.9%) منها كنّ إناثاً.

توزيع أفراد العينة حسب الجنس في كل فئة عمرية

الجنس / العمر	الذكور		الإناث		المجموع الكلي	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
14 – أقل من 17	12	2.5	18	3.9	30	6.4
17– أقل من 20	42	8.9	35	7.4	77	16.3
20–أقل من 23	76	16.1	55	11.7	131	27.8
23–أقل من 26	39	8.3	33	7	72	15.3
26– أقل من 29	46	9.7	43	9.1	89	18.9
29–35	43	9.1	30	6.4	73	15.5
المجموع	258	54.6	214	45.4	472	%100

وأما فيما يتعلق بخصائص الشباب التعليمية فيعكس الجدول (رقم 4) تبايناً واضحاً في مستوياتهم التعليمية. إذ يتضح منه أن أعلى نسبة مستوى تعليمي وصل إليه الشاب هو المستوى الجامعي – على مستوى الدراسات الدنيا – بكالوريوس؛ حيث كان هناك (239) شاباً وشابة يحملون درجة البكالوريوس أو ما يزالون في هذه المرحلة التعليمية من دراستهم الجامعية، أي ما نسبة (50.6%).

توزيع أفراد العينة حسب المستويات التعليمية

المستوى التعليمي للشباب	العدد	النسبة المئوية
يقرأ ويكتب	7	1.5
المستوى الابتدائي	2	0.4
المستوى الإعدادي	53	11.2
المستوى الثانوي	151	32.0
المستوى الجامعي / بكالوريوس	239	50.6
المستوى التعليمي – دراسات عليا	19	4.0
لم يجب	1	0.2
المجموع	**472**	**%100**

وأما نسبة من هم في المستوى التعليمي فوق الجامعي (الدراسات العليا) فلم يكن هناك سوى (19) شابةً وشاباً. أي ما نسبته (4.0%).

وأما المستوى التعليمي الثاني من حيث ارتفاع نسبة الشباب الممثلين في العينة فهو المستوى التعليمي الثانوي. حيث يشير الجدول إلى وجود ما عدده (151) شاباً وشابة في هذا المستوى، أي ما نسبته (32%). ويجيء بعدهم من حيث الترتيب والتمثيل النسبي أولئك الشباب ممن هم في المستوى الإعدادي من التعليم. حيث بلغت نسبتهم في العينة (11.2%)، أي (53) شاباً وشابة.

وأما فيما يتعلق بالمستويات التعليمية الأخرى لهؤلاء الشباب فيشير الجدول السابق إلى وجود (7) شباب فقط في مستوى من يقرأ ويكتب، أي ما نسبته (1.5%)، وإلى وجود شابين ممن لم يتعدَّ مستواهما التعليمي المرحلة الابتدائية أي ما نسبته (0.4%).

وأما من حيث توزيع هذه المستويات التعليمية من حيث الجنس، فيشير الجدول (رقم 5) إلى وجود ما نسبته (24.6%) من الذكور هم من خلفيات تعليمية جامعية على مستوى الدراسات الدنيا، وإلى وجود ما نسبته (26.1%) منهم من الإناث ممن هنّ في المستوى التعليمي نفسه. أي أن نسبة الإناث في هذا المستوى التعليمي أعلى منها من نسبة زملائهن في المرحلة نفسها.

توزيع أفراد العينة حسب المستويات التعليمية والجنس

الجنس / المستوى التعليمي	الذكور		الإناث		المجموع الكلي	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
يقرأ ويكتب	3	0.6	4	0.8	7	1.5
المستوى الابتدائي	2	0.4	–	–	2	0.4
المستوى الإعدادي	34	7.2	19	4.0	53	11.2
المستوى الثانوي	89	18.9	62	13.2	151	32.1
المستوى الجامعي	116	24.6	123	26.1	239	50.7
مستوى ما فوق الجامعي	13	2.8	6	1.3	19	4
لم يجب	–	–	1	0.2	10	0.2
المجموع	**257**	**54.6**	**214**	**45.4**	**471**	**100**

وأما فيما يتعلق بالمستوى التعليمي الثانوي، فهناك (18.9%) من أفراد العينة هم من الذكور، وهناك (13.2%) منهم من الإناث. وأما على المستوى التعليمي الإعدادي، فقد بلغت نسبة الإناث في هذه المرحلة (4%)، في حين بلغت هذه النسبة عند الذكور (7.2%). وأما نسب المستويات التعليمية الأخرى فهي غير ذات شأن.

ومثلما تباينت مستويات الشباب التعليمية تباينت كذلك أوضاعهم الاجتماعية. إذ شملت العينة الحالات الاجتماعية جميعها: المتزوج، والعازب، والخاطب، والمطلق والأرمل، ولكن بنسب مئوية مختلفة. (انظر الجدول رقم (6).

توزيع أفراد العينة حسب أوضاعهم الاجتماعية

الوضع الاجتماعي	العدد	النسبة المئوية
عازب	263	%55.8
خاطب	41	%8.7
متزوج	150	%31.8
مطلق	13	%2.8
أرمل	4	%0.8
لم يجب	1	0.2
المجموع	472	%100

إذ يوضح هذا الجدول أن فئة العزاب منهم هي أعلى هذه الفئات. حيث اشتملت العينة على (263) شاباً وشابة غير متزوج (عازب/ عزباء)، أي ما نسبته (55.8%)، يوجد منهم (137) شاباً غير متزوج، و(126) شابة غير متزوجة، أي ما نسبته (29.1%) و(26.8%) لكل منهما على التوالي. (أنظر جدول رقم (7).

وأما الفئة الاجتماعية الثانية من الشباب من حيث ارتفاع نسبة تمثيلها في الدراسة فهي فئة المتزوجين. وبهذا الصدد يشير الجدول إلى وجود (150) شاباً وشابة يندرج ضمن هذه الفئة الاجتماعية، أي ما نسبته 31.8، منهم (19.3%) من الذكور، و(12.5%) من الإناث، أي أن هناك (91) شاباً متزوجاً و(59) فتاة متزوجة.

وأما الفئات الأخرى الباقية من هؤلاء الشباب فهناك نسبة منهم ممن لا يزالون في مرحلة الخطوبة. حيث بلغ عددهم (41) شاباً وشابة، أي ما نسبته (8.7%): (4.2%) من هذه النسبة كانت من الذكور و(4.5%) منها كانت من الإناث. وأما من هو مطلق لزوجه منهم فقد كان هناك (7) شباب ذكور و(6) فتيات، أي ما نسبته (1.5%) من الذكور، و(1.3%) من الإناث. وأما الأرامل منهم فلم يكن سوى أرملين وأرملتين، أي ما نسبته (0.8%) فقط. (أنظر (جدول رقم7).

توزيع أفراد العينة حسب أوضاعهم الاجتماعية والجنس

الجنس / الوضع الاجتماعي	الذكور		الإناث		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%
أعزب/ عزباء	137	29.1	126	26.8	263	55.8
خاطب / مخطوبة	20	4.2	21	4.5	41	8.7
متزوج / متزوجة	91	19.3	59	12.5	150	31.8
مطلق / مطلقة	7	1.5	6	1.3	13	2.8
أرمل / أرملة	2	0.4	2	0.4	4	0.8
المجموع	257	54.6	214	45.4	471	%100

وأما فيما يتعلق بطبيعة مهن الشباب فيتضح من الجدول (رقم 8) أن الأكثرية منهم يعملون في القطاع الحكومي (المستشفيات، البنوك، دائرة السير، مؤسسة قطر للاتصالات،و مؤسسة الكهرباء والماء، والتدريس، والوزارات). حيث بلغ عدد من يعمل منهم في هذا القطاع (182) شاباً وشابة، أي ما نسبته (38.6%). وأما الفئة الثانية من حيث كبر حجمها فهي فئة الشباب ممن لا يزالون على مقاعد الدراسة. فهناك ما عدده (135) طالباً وطالبة في هذا الوضع، أي ما نسبته (28.6%)[1].

وأما عدد العاطلين عن العمل من أفراد العينة من هؤلاء الشباب فقد بلغ (60) شابةً وشاباً أي ما نسبته (12.7%). ويتضح من الجدول أيضاً أن هناك (48)

---

(1) بصرف النظر عن طبيعة مهنة أفراد العينة إلا أنهم جميعاً يمثلون مستويات تعليمية مختلفة كما أوضحنا في الجدول رقم (5) السابق.

شاباً وشابة يعملون في القطاع الخاص (مدارس خاصة، قطاع الإنشاءات، شركات)، أي ما نسبته (10.2%). ويوجد كذلك ما نسبته (4.9%) يعملون أعمالاً حرة (التجارة، تجارة السيارات، فنيّو تصليح أدوات كهربائية، عاملون في بيع الأشرطة والأدوات الكهربائية، فنيو تصليح سيارات)، وما نسبته (4.4%) يعملون ويدرسون في الوقت نفسه.

توزيع أفراد العينة حسب توزيع المهن

الأوضاع الاجتماعية	العدد	النسبة المئوية
- موظف في القطاع الخاص	48	10.2
- موظف في القطاع الحكومي	182	38.6
- طالب متفرغ للدراسة	135	28.6
- عاطل عن العمل	60	12.7
- طالب ويعمل	21	4.4
- أعمال حرة	23	4.9
- لم يجب	3	0.6
المجموع	472	%100

وأما فيما يتعلق بتوزيع هذه المهن حسب متغير الجنس فيتضح من جدول (رقم9) أن نسبة الفتيات العاملات في القطاع الحكومي بلغت (15.4%)، مقابل (23.5%) من الذكور يعملون في القطاع نفسه. ويتبين من هذا الجدول أيضاً أن نسبة الطالبات الممثلات في هذه الدراسة (17.7%)، ونسبة الطلاب (11.1%). وأما نسبة غير العاملات من الإناث فقد كانت (7%)، وغير العاملين من الشباب (%5.8).

وأما نسبة من يعملون في القطاع الخاص من الشباب فقد كانت (7.5%)، ونسبة من يعملن من الإناث في القطاع نفسه (2.8%). وأما من يعملون أعمالاً حرّة بين أفراد العينة فلا يوجد سوى (4) فتيات فقط، أي (0.9%) في حين يوجد (19) شاباً يعمل في هذه الأعمال، أي (4.1%).

توزيع أفراد العينة حسب الوضع المهني والجنس

الجنس / الوضع المهني	الذكور		الإناث		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%
1. موظف في القطاع الخاص	35	7.5	13	2.8	48	10.2
2. موظف في القطاع الحكومي	110	23.5	72	15.4	182	38.8
3. طالب	52	11.1	83	17.7	135	28.8
4. عاطل من العمل	27	5.8	33	7.0	60	12.8
5. طالب/ عامل معاً	14	3	7	1.5	21	4.5
6. أعمال حرّة	19	4.1	4	0.9	23	4.9
المجموع	257	54.8	212	45.2	469	100

وأما فيما يتصل بخصائص الشباب المادية فيشير الجدول رقم (10)، إلى تقارب في مداخيل أسرهم الشهرية، وبخاصة تلك التي تزيد عن (5000) ريال قطري. فمثلاً هناك ما نسبته (19.5%) من هذه الأسر يتراوح دخلها الشهري ما بين (12.500 – 15.000) ريال، وهذه أعلى نسبة دخل من بين جميع الدخولات. وأما ثاني أعلى نسبة دخل شهرية لهذه الأسر فكانت (18.4%). وهذه النسبة هي لتلك الأسر التي يصل دخلها الشهري إلى ما قيمته (7500 – 10.000) ريال. في الوقت نفسه، هناك ما نسبته (17.4%) من هذه الأسر تتراوح مداخيلها الشهرية ما بين (10.000 – 12.500) ريال شهرياً.

وأما من قلت مداخيل أسرهم الشهرية عن (7500) ريال فقد كانت نسبتهم (16.1%). حيث أجابت هذه النسبة من الشباب أن مداخيل أسرها الشهرية ينحصر ما بين (5000 – 7500) ريالاً. وأما من قلّت مداخيل أسرهم عن ذلك فقد بلغت نسبتهم (15.9%). حيث تراوحت المداخيل الشهرية لهذه النسبة من الأسر ما بين (2500 – 5000) ريال.

ويتضح من الجدول أيضاً أن هناك ما نسبته (7.2%) من دخل أسر هؤلاء الشهرية يفوق بقية النسب السابقة. إذ يزيد هذا الدخل عن (15000) ريال. وهكذا

يتضح أن أعلى دخولات شهرية لهذه الأسر هـي الـدخولات المحصـورة، كمـا أوضحنا، ما بين (12.500 – 15000) ريال بالشهر.

توزيع دخولات أسر الشباب الشهرية

الدخولات الشهري	التكرار	النسبة المئوية
2500 – أقل من 5000	75	15.9
5000 – أقل من 7500	76	16.1
7500 – أقل من 10.000	87	18.4
10.000 – أقل من 12.500	82	17.4
12.500 – أقل من 15.000	92	19.5
150000 – فأكثر	34	7.2
لم يجب	26	5.5
المجموع	472	%100

وأما فيما يتعلق بعدد ساعات استخدام الشباب للإنترنت في اليـوم، فيكشـف الجدول رقم (11) المعني بذلك، إلى أن أعلى عدد هو (4) ساعات يوميـاً. حيـث أجاب ما نسبته (38.6%) من الشباب أنهم يستخدمون الإنترنت مـا بـين (2–4) ساعات يومياً. وأما نسبة من يزيد استخدامهم عن هذه المدة فقد كانـت (15.7%). حيث أجابت هذه النسبة من الشباب أن استخدامها اليومي للإنترنت ينحصر ما بين (4–6) ساعات.

وأما نسبة الشباب الذين يزيد استعمالهم للإنترنت عن (6) ساعات يومياً فقـد بلغت (9.5%)، أي ما عدده (45) شابةً وشاباً. وأما نسبة من قل استخدامه اليومي لهذه الوسيلة الاتصالية عن ساعتين فقد كانت (30.5%).

توزيع عدد ساعات استخدام الشباب اليومي للإنترنت

عدد الساعات	العدد	النسبة المئوية
أقل من ساعتين	14.4	30.5
2 – أقل من 4 ساعات	182	38.6
4 – أقل من 6 ساعات	74	15.7
6 – فما فوق	45	9.5
لم يجب على السؤال	27	5.7
المجموع	472	%100

وأما فيما يتصل بعدد سنوات خبرة الشباب في استخدام الإنترنت فيشير الجدول المعني بذلك، جدول رقم (12)، إلى خبرة لا بأس بها في هذا المجال. حيث كشف الجدول عن وجود ما نسبته (34.9%)، أي ما عدده (165) شابةً وشاباً، يستخدمون الإنترنت منذ سنتين إلى أربع سنوات وإلى جود ما نسبته (34.6%) ممن تزيد خبرتهم في هذا الاستعمال عن سنتين؛ وإلى وجود ما نسبته (17.4%) منهم لديهم خبرة تصل إلى (6) سنوات. وأما نسبة من تزيد خبرته في استخدام الإنترنت عن الخبرات السابقة فقد كانت (10.2%). إذ أجاب هؤلاء الشباب أن لديهم خبرة تزيد عن (6) سنوات في هذا الاستخدام وتقل عن ثماني سنوات.

وأما من تزيد خبرتهم عن الخبرات السابقة جميعها من حيث الاستخدام فقد كانت نسبة ضئيلة جداً لم تتجاوز (0.6%) كما يشير الجدول. كما كان هناك بالطبع، ما نسبته (2.3%) من الشباب لم يجب عن هذا السؤال.

توزيع عدد سنوات الخبرة في استخدام الإنترنت

عدد سنوات الخبرة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من سنتين	163	34.6
2 – أقل من 4 سنوات	165	34.9
4 – أقل من 6 سنوات	82	17.4
6 – أقل من 8 سنوات	48	10.2
8 سنوات فأكثر	03	0.6
لم يجب على السؤال	11	2.3
المجموع	472	%100

الخصائص المتعلقة بالعلاقات الأسرية

وبعد أن فرغنا من تحديد الخصائص النوعية للشباب من حيث الجنس والعمر، والمستوى الاجتماعي والمهني والتعليمي والمادي، ومن حيث عدد ساعات استخداماتهم اليومية للإنترنت، وعدد سنوات خبرتهم في ذلك، ننتقل الآن إلى توضيح الخصائص المتعلقة بطبيعة علاقاتهم الاجتماعية والتفاعلية مع أسرهم وعائلاتهم، لنرى ما إذا كان لهذه العلاقات دور في حمايتهم من التأثيرات المحتملة للإنترنت. أي أننا نريد أن نتيقن من صدقية ما ذهبت إليه الدراسات التي عرضنا لها في الجزء النظري من هذه الدراسة، وبخاصة نظرية العلاقات الاجتماعية، من تأكيد على دور العوامل الوسيطة (Mediating Factors) من تخفيف حدة تأثيرات وسائل الاتصال المباشر والفورية على الشباب.

ففيما يتعلق بطبيعة علاقات الشباب بأسرهم النووية، فتعكس إجاباتهم عن السؤال المتعلق بذلك، مدى القوّة التي تمتاز بها هذه العلاقات. فحين سئلوا عن وصف هذه العلاقات من حيث الاحترام والتقدير المتبادل بينهم وبين أسرهم أجاب (%71.4) منهم بأنها علاقات "قوية" ومتينة، في حين وصفها ما نسبته منهم

(23.7%) بأنها "متوسطة"، أي غير قوية وغير ضعيفة[1]. وأما نسبة من اعتبرها "ضعيفة" فلم تزد عن (4.2%)، في حين لم يجب سوى شخصين بأن علاقتهما مع أسرتهما مقطوعة". انظر الجدول (رقم 13).

علاقات الشباب داخل النسق الأسري

السؤال: كيف تعتبر علاقتك بأسرتك من حيث التقدير والاحترام؟		
العلاقة	**العدد**	**النسبة المئوية**
– قوية ومتينة	337	71.4
– متوسطة	112	23.7
– ضعيفة وفاترة	20	4.2
– مقطوعة	2	0.4
لا رأي	1	0.2
المجموع	472	%100

لم تكن العلاقات الاجتماعية "القوية"، في الواقع، مقصورة على أسر الشباب النووية فقط؛ بل امتدت لتشمل علاقاتهم بعائلاتهم وأقاربهم أيضاً[2]. وبدا ذلك جلياً

---

(1) يتسم التفاعل داخل الأسرة القطرية بالعمق والشدّة بشكل عام. وهذا ما توصل إليه الباحث علي ليلة وزملاؤه في عملهم المميز التالي عن الشباب القطري:
- علي ليلة ومحمود الكردي وعبد العزيز كمال وأسماء العطية (1991)، الشباب القطري: إهتماماته وقضاياه، مركز الوثائق والدراسات الأنائية، جامعة قطر.
وانظر كذلك: العملين التاليين:
- فاروق اسماعيل وعلي ليلة (1993)، الخارطة الاجتماعية لمدينة الدوحة: دراسة سوسيو أنثروبولوجية. مركز الوثائق والدراسات الإنسانية. جامعة قطر، وانظر أيضاً:
- اعتماد علاّم وآخرون (1995)، التحولات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطر. مركز الوثائق والدراسات الإنسانية جامعة قطر.

(2) تندر الدراسات الاجتماعية للباحثين القطريين في تحليل طبيعة التفاعل العائلي في المجتمع القطري. ومع ذلك لا بأس من العودة هنا إلى الدراسة التالية التي يمكن اعتبارها الأقرب من غيرها في فهمها إلى هذا الموضوع على الرغم من قدمها النسبي.
جهينة العيسى (1978). المجتمع القطري: دراسة تحليليّة لملامح التغير الاجتماعي المعاصر، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية. جامعة قطر، وانظر كذلك العمل الأكثر حداثة وهو عمل فاروق إسماعيل وعلي ليلة المشار إليه سابقاً.

من خلال إجاباتهم عن السؤال الموجه إليهم لمعرفة طبيعة تفاعلهم الاجتماعي مع هذه العائلات، ومدى عمق هذا التفاعل بينهم. فقد وصفه أكثر من نصف أفراد العينة بأنه "قوي". أي أن هناك ما نسبته (52.3%) من هؤلاء الشباب يقيم علاقات تفاعلية عميقة ومنسجمة مع أفراد عائلاتهم وأقاربهم (أسرهم الممتدّة والمشتركة).

وأما من وصف منهم هذا التفاعل بأنه "متوسط" و"عادي" فقد بلغت نسبتهم المئوية (34.3%). وأما نسبة من وصف هذا التفاعل "بالضعف" أو "الانقطاع" فقد كانت نسباً متدنية. إذ لم يجب سوى (8.7%) منهم بأن التفاعل بينه وبين أقاربه "ضعيف"، ولم يجب أيضاً سوى (3.2%) فقط بأن علاقاته معهم أقاربه "مقطوعة"، أي أنه لا يوجد بينه وبينهم أي تفاعل. انظر الجدول (رقم 14).

علاقات الشباب بأسرهم الممتدة (العائلة)

السؤال: كيف تصف علاقتك بأسرتك الكبيرة من حيث التفاعل والانسجام والتعاون؟		
العلاقة	العدد	النسبة المئوية
- قوية	247	52.3
- متوسطة	162	34.3
- ضعيفة	41	8.7
- مقطوعة	15	3.2
لا رأي	2	0.4
لم يجب	5	1.1
المجموع	742	%100

وعلى الرغم مما تميز به تفاعل الشباب من قوّة واحترام متبادل مع أفراد أسرهم الممتدة (الأقارب)، كما أوضحنا للتو، إلا أن قوة هذا التفاعل بدأ يعتريه شيء من الوهن أفصح عن نفسه في تراجع عدد الزيارات التي ألف الشباب القيام بها لأقاربهم قبل تعودهم على الأنترنت.

وفي هذا الصدد، تشير نتائج الجدول (رقم 15) إلى تدن في عدد الزيارات التي يقوم بها الشباب لأقاربهم بشكل متواصل ومستمر. حيث لم يجب منهم سوى ما نسبته (38.8%) بأنهم يزورنهم بشكل "دائم ومستمر". وأما النسبة الأكبر منهم فقد أجابت بأن زياراتها لهم هي زيارات "متقطعة" إذ بلغت هذه النسبة (51.5%). ومع ذلك فهذه الزيارات على الرغم من تراجعها وعدم استمراريتها إلا أنها غير "مقطوعة" إلا عند نسبة ضئيلة منهم لم تتعد (4.9%) فقط.

زيارات الشباب لعائلاتهم وأقاربهم

هل تزور أقاربك وأفراد أسرتك بشكل:		
وصف العلاقة	التكرار	النسبة المئوية
دائم ومستمر	183	38.8
متقطع	243	51.5
لا أزورهم / مقطوعة	23	4.9
لا أدري	19	4.0
لم يجب على السؤال	4	0.8
المجموع	472	%100

وفي الحقيقة، فإن الزيارات التي يقوم بها الشباب لأقاربهم وأفراد أسرهم الممتدة ما هي إلا مظهر من مظاهر التفاعل والتواصل الاجتماعي[1]. صحيح أن هناك تراجعاً في هذا التواصل على المستوى الكمي، ومع ذلك يبقى احترام الشباب لأقاربهم قوياً وتفاعلهم معهم متيناً إذا ما تمت الزيارات بينهم.

ومن المتغيرات الأجتماعية الأخرى التي حرصنا على معرفتها أيضا، هي طبيعة أساليب معاملة الأسرة لأبنائها، والأزواج لزوجاتهم. وفي هذا الخصوص يشير الجدول رقم (16) إلى تباين في طرق تعامل الأسرة مع أبنائها من الشباب

(1) تستخدم الدراسة مصطلحي التفاعل الاجتماعي والتواصل الاجتماعي (Social Interaction) بنفس المعنى ليشيرا إلى قوة العلاقة ومتانتها وحميميتها واستمراريتها بين الأطراف المتصلة في العملية الاتصالية، ولتميزهما عن مصطلح الاتصال (Communication) الذي لا يتصف بهذه الصفات.

غير المتزوج الذي يسكن معها، وإلى اختلاف أيضاً في معاملة الزوج لزوجه .وقد أفصح هذا التباين والاختلاف عن نفسه في إجابات الشباب العازب والشباب المتزوج عن السؤال التالي الذي يطلب منهم وصف معاملة أسرهم وأزواجهم لهم:

كيف تصف طريقة معاملة والديك لك إذا كنت عازباً، أو معاملة زوجك لك إذا كنت متزوجاً؟

أساليب تعامل الأسرة مع أبنائها والأزواج مع زوجاتهم

أساليب تعامل الآباء مع أبنائهم والأزواج مع زوجاتهم؟		
المعاملة:	العدد	النسبة المئوية
- صارمة وشديدة	45	9.5
- عادية	153	32.4
- متذبذبة / متقلبة	56	11.9
- ليّنة / متساهله	62	13.1
- ديمقراطية قائمة على الحوار وتفهم وجهة نظر الآخر	152	32.2
لا رأي	4	0.8
المجموع	482	%100

يتبين من اجابات الشباب عن هذا السؤال أن الحوار والتفاهم - كشكل من أشكال الأساليب الديمقراطية - هو الأكثر شيوعاً بيهم وبين أسرهم و زوجاتهم أيضاً. فهناك (32.2%) من الشباب العازب والمتزوج وصف هذه المعاملة "بالديمقراطية"، القائمة على تفهّم وجهات نظر الآخر، وهناك ما نسبته (32.4%) منهم وصفها بأنها معاملة "عادية"، أي ليست صارمة ولا لينة ولا متذبذبة، بل أقرب ما تكون إلى الأسلوب الديمقراطي (انظر جدول رقم 16).

وأما من تعامله أسرته / زوجه باللين والتساهل فقد كانت نسبتهم (13.1%)، ونسبة من تعامله أسرته / زوجه بشكل صارم وشديد فقد كانت (9.5%). وأما حالة

الشباب الذين لا يوجد أسلوب محدد وواضح تتخذه أسرهم / أزواجهم في التعامل معهم – أي متقلب – فقد كانت (11.9%).

وهكذا نخلص من هذا الجدول السابق، والجداول الأخرى السابقة إلى استنتاج مفاده أنّ الشباب يتمتع بشكل عام، بجو أسري وعائلي مريح تغلب عليه "وسطية – عادية" العلاقات الأسرية، إضافة إلى ديمقراطيتها، وابتعادها عن العنف والصرامة والقسوة[1].وهذا ما بينته إجاباتهم عن أسئلة أخرى تتعلق بكشف المزيد عن جوانب هذه العلاقات الاجتماعية، كمشاركتهم في النقاشات الأسرية. إذ تعتبر مشاركة الشباب في الحوارات والنقاشات الأسرية مظهراً آخر من المظاهر التي تعكس طبيعة العلاقات داخل الأسرة. لهذا لم نكتف بإجاباتهم عن الأسئلة السابقة لمعرفة طبيعة هذه العلاقات. بل قمنا توجيه سؤالين آخرين في هذا المجال من شأنهما كشف المزيد عن طبيعة هذه العلاقة وهما:

هل تشارك في النقاشات والحوارات التي تتم داخل الأسرة؟ وهل يحظى الرأي الذي تبديه في هذه النقاشات والحوارات بتقدير أسرتك واحترامها؟

يتبين من إجابات الشباب عن هذين السؤالين أن أكثر من نصف أفراد العينة يشارك بشكل "دائم" في هذه النقاشات والحوارات التي تدور داخل الأسرة: (52.3%).

(1) من أجل المزيد من الاطلاع على طبيعة هذه العلاقات أنظر عمل فاروق إسماعيل وعلي ليلة السابق الذكر، وبخاصة الفصل الحادي عشر (ص ص 451–539).

مشاركة الشباب في الحوارات داخل الأسرة

	دائماً		أحياناً		نادراً		أبداً		لا رأي		لم يجب	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
1- هل تشارك في النقاشات داخل الأسرة حول المسائل التي تخص الأسرة؟	247	52.3	155	32.8	37	7.8	27	5.7	4	0.8	2	0.4
2- هل تشعر بأن رأيك الذي تبديه في هذه النقاشات يحظى بتقدير وقبول أسرتك.	187	39.6	196	41.5	44	9.3	40	8.5	4	0.8	1	0.2

وتبين أيضاً أن (39.6%) من هؤلاء الشباب تأخذ أسرهم "دائماً بآرائهم التي يبدونها في هذه الحوارات، أنظر جدول (رقم 17)، إذ يوضح الجدول أن نسبة من لا يشارك من الشباب في الحوارات الأسرية هي نسبة متدنية جداً: (5.7%)، كما أن نسبة الشباب الذين تهمل أسرهم آراءهم ولا تأخذ بها هي نسبة متد نية أيضاً لم تزد عن (8.5%).

وهكذا يتبين من الجداول السابقة أن الشباب، ذكوراً وإناثاً، يشاركون بشكل متفاوت، في المناقشات الأسرية ويبدون آراءهم فيها أيضاً. كما يتبيّن أن الكثير من هذه الآراء يؤخذ بها في حالات كثيرة. وهذا بالطبع مظهر آخر من مظاهر سيادة الجو الديمقراطي داخل الأسرة، ومظهر من مظاهر احترام الأسرة لأبنائها وتقديرها لآرائهم ووجهات نظرهم واحترام الأزواج لآراء بعضهم البعض.

وبعد أن أوضحنا في الصفحات السابقة خصائص الشباب من جميع الجوانب النوعية والأجتماعية، ننتقل إلى الجزء الثاني من الدراسة وهو الجزء المتعلق بتحليل النتائج التي توصلت اليها الدراسة بخصوص طبيعة التأثيرات النفسية والاجتماعية التي تركها الإنترنت على الشباب، سواء الايجابية أم السلبية، في ضوء الخصائص والمتغيرات السابقة، والمشكلات التي أوجدها لديهم، والخصائص الجديدة للثقافة التي أوجدها منهم.

الفصل الثالث

تأثيرات الإنترنت على بنية الاتصال

الشخصي والجماهيري

مقدمة

خصائص الاتصال الشخصي

تأثيرات الإنترنت على الاتصال الشخصي

حميمية العواطف الإلكترونية

العواطف الإلكترونية والزواج

الانترنت واللقاءات الوجاهية المباشرة

تأثيرات الأنترنت على الاتصال الجماهيري

الخلاصة

الإنترنت والاتصال الشخصي والجماهيري

مقدمة

يعد الاتصال الشخصي (Interpersonal Communication) أكثر أشكال الاتصال شيوعاً وانتشاراً بين الأفراد في المجتمع، وأكثرها ملاءمة من حيث توفيره الفرصة أمام الأطراف المتصلة، للتعرف الفوري والمباشر على مدى تأثير رسائلهم الاتصالية على بعضهم البعض. فإذا ما شعر أحد هذه الأطراف، أن رسالته لا يفهمها الآخر أو لا تصله بالطريقة التي يريدها، فإنه يعمل على تعديلها أو تغييرها أو توجيهها بطريقة جديدة، لتصبح أكثر وضوحاً وأبلغ تأثيراً في تحقيقها لأهدافها المرجوّة.

ومن هذا المنطلق ينظر علماء الاتصال إلى هذا الشكل من أشكال الاتصال على أنه أفضل من وسائل الأتصال الأخرى، كالجماهيرية مثلا، في تحقيق المرسل لأهدافه وغاياته المرجوّة من العملية الاتصالية، وبخاصة تلك الأهداف المتعلقة بالإقناع، سواء أكانت هذه العملية ذات طابع تسويقي أم ترويجي لفكرة أو سلعة أو مبدأ من المبادئ الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الصحية أو التربوية او الاعلامية. فماذا يعني هذا النوع من الاتصال؟ وما هي أهميته وخصائصه؟ وما الدور الذي لعبه الإنترنت في التأثير عليه.

خصائص الاتصال الشخصي

يشير الاتصال الشخصي إلى أي شكل من أشكال الاتصال المباشر الذي يتم بين الأفراد وجهاً لوجه (Face to Face Communication)، ويتيح لهم استخدام حواسهم الخمس في اتصالهم مع بعضهم البعض.

ويتميز الاتصال الشخصي الوجاهي بخصائص عدّة تجعله اتصالاً مؤثراً وقوياً وفاعلاً في عملية التفاعل الاجتماعي اليومي بين الأفراد، وبخاصة حينما يتعلق الأمر بعملية الإقناع التي تعتبر إحدى أهم أهداف الاتصال الإنساني. إذ يسمح هذا النوع من الاتصال بتبادل الأدوار وتقاسمها بين أطراف العملية الاتصالية بشكل تفاعلي ودائري (Reciprocal Interaction)، مما يتيح لكل طرف منها فرصة لتقييم

مدى فاعلية اتصاله مع الآخر ومدى تحقيقه لأهدافه، الامر الذي لا يتيحه لهم الاتصال الجماهيري (Devito, J, 1989, Brydon, S, and Scott, M, 2000).

ويترتب على هذا التفاعل التبادلي خاصية أخرى من خصائص الاتصال الشخصي وهي المرونة. حيث تمكن هذه المرونة كل طرف من الأطراف المتصلة من تعديل رسائلها أو تغييرها أو عرضها بطريقة أخرى في ضوء ما تتلقاه من تغذية مرتدة (Feedback) من الطرف الآخر إزاء هذه الرسائل. وهذه الخاصية أيضاً لا يتيحها الأتصال الجماهيري لمستخدميه بالمرونة نفسها التي يتيحها لهم الأتصال الشخصي. وهكذا تعمل المرونة والتغذية المرتدة التي يتميز بها الموقف الاتصالي في هذا النوع من الاتصال، على مساعدة الفرد وتمكينه من تحقيق أهدافه. (Brydon, S, and Scott, 2000, Hybels, S, and Weaver, R, 2001).

وبالإضافة إلى هذا، هناك خاصية أخرى للاتصال الشخصي المباشر قلّ أن نجدها عند غيره من أنواع الاتصال الأخرى وهي الثقة والحميمية التي تتولد بين الأطراف المتصلة أثناء تفاعلها وجهاً لوجه. إذ يولّد الأتصال الوجاهي المباشر بين الأفراد الذين يتفاعلون يومياً بشكل مستمر في أعمالهم وحياتهم اليومية، شعوراً بالحميمية يندر أن تتولد، عن أي نوع آخر من أنواع الاتصال (Hybels, S, and Weaver, R, 2001). ومع أن طبيعة هذا النوع من الإتصال لا ينفي نشوء صراعات أو خلافات أو تعارض في وجهات النظر بين الأطراف المتصلة، ومع ذلك تبقى الحميمية صفة من صفاته الأساسية إذا ما قارناه مع غيره من أنواع الاتصالات الأخرى.

وهكذا، فإن الخصائص السابقة للاتصال الشخصي الوجاهي تجعل منه أكثر أنواع الاتصال قدرة على تكوين علاقات اجتماعية وصداقات شخصية بين الأفراد في المجتمع، تتسم بالحميمية والصدق، والاستمرارية والديمومة إلى حد بعيد.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو إلى أي حد يستطيع الاتصال بين الأفراد عبر الانترنت أن يوفر لهم الخصائص الأتصالية التي يوفرها لهم الأتصال الشخصي الذي يتم بين الأفراد وجهاً لوجه، وبخاصة تلك الشعوربالدفء والحميمية؟

لقد كشفت نتائج العديد من الدراسات في هذا الصدد أنه من الممكن استخدام الانترنت كوسيلة اتصال مباشرة بين الأفراد، دون أن يتزامن وجودهم في مكان واحد بحيث يرى كل منهم الآخر. ومع ذلك فإن المشاعر التي يكونها الأفراد من خلاله لا تعدو أن تكون "مشاعر إلكترونية"، لا تتسم بالحميمية التي تتسم بها المشاعر المكونة عبر الاتصال الوجاهي المباشر (Rice, R, and love, G, 1987). وفي هذا الصدد أيضا، يشير باحثون آخرون، وبخاصة سبرول وكزلر، إلى إن هذه النتيجة يجب أن لا يُنظر اليها بانها نتيجة مطلقة. فهناك العديد من العوامل والمتغيرات الاجتماعية و النفسية والثقافية التي يجب اخذها بعين الاعتبار عندما نتعامل مع المشاعر والأحاسيس التي يوفرها الانترنت لمستخدميه. وعليه فاننا ما نزال، كما يقولون، بحاجة الى إجراء المزيد من الدراسات الامبريقية (Empirical Studies) على هذا الجانب من جوانب استخدامات الانترنت، وعلى هذا البعد المشاعري تحديداً (Sproull, L, and Kiesler, S, 1991). وهذا ما حاولت الدراسة الحالية القيام به؛ إذ خصصنا هذا الفصل للتأكد من معرفة طبيعة مشاعر الشباب وعواطفهم نحو من تعرفوا اليهم من خلال الانترنت ومقارنتها بمشاعرهم نحو من تعرفوا إليه وجهاً لوجه.

وفي الحقيقة، يسعى هذا الفصل إلى تحقيق هدفين متداخلين: الهدف الأول يتعلق بمعرفة المدى الذي أثر به اتصال الشباب عبر الانترنت على اتصالاتهم الشخصية الوجاهية مع اصدقائهم واسرهم، وتحديد مدى ما اتسمت به هذه الأتصالات من دفء وحميمية. وأما الهدف الثاني فيكمن في معرفة قوة التأثيرات التي تركها الأنترنت على وسائل الاتصال الجماهيرية الموجودة في المجتمع. فإلى أي حد تراجع تعاملهم مع هذه الوسائل بسبب الإنترنت؟ وأي هذه الوسائل تأثر أكثر من غيره من هذه الوسيلة الجديدة التي دخلت إلى مجتمعهم؟

ومن اجل تحقيق هذين الهدفين قمنا بتوجيه عدة أسئلة إلى الشباب. تتعلق المجموعة الأولى منها بتحقيق الهدف الأول؛ حيث وجهنا اليهم بعض الأسئلة التي تدور حول مقدار الوقت الذي يقضونه في استعمال الأنترنت مقارنة بمقدار الوقت الذي يقضونه مع أصدقائهم وأسرهم وجها لوجه، كما قمنا ايضا بتوجيه بعض الاسئلة بهدف التعرف على مدى عمق مشاعرهم وأحاسيسهم نحو من تعرفوا إليهم

عبر الإنترنت (مشاعرهم الإلكترونية)، ليقارنوها بمشاعرهم نحو علاقـــاتهم التـــي كونوها عن طريق الاتصال المباشر والوجاهي فيما إذا كانت تتسم بالعمق نفسه أم لا.

وتتعلق المجموعة الثانية من الأسئلة بمعرفة مدى تأثير الانترنت على وسائل الاتصال الجماهيرية التي يستخدمها الشباب في مجتمعهم، كـــالتلفزيون والـــسينما والراديو والصحف والكتب والمجلات. وبالإجابة عن هذه التساؤلات، نكـــون قـــد توصلنا إلى معرفة مدة التأثير الذي أحدثه الإتصال الإلكتروني على بنية الإتـــصال في المجتمع بشقيه المباشر والجماهيري. فلنبدأ بتحليل إجاباتهم على ذلك.

تأثيرات الإنترنت على الاتصال الشخصي

***السؤال:* الوقت الذي تقضيه في التحادث مع أصدقائك ومعارفك عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي تقضيه في التحادث معهم وجهاً لوجه:**

تظهر إجابات الشباب على هذا السؤال أن محادثاتهم مع أصدقائهم ومعـــارفهم عبر الإنترنت لم تكن على حساب الوقت الذي يقضونه معهم وجهاً لوجـــه؛ فعـــدد الشباب الذين يقضون وقتهم مع أصحابهم وجهاً لوجه ويتفاعلون معهم مباشرةً أكثر من عدد الشباب الذين يقضون وقتهم في التحادث معهم عبـــر الإنترنـــت؛ إذ بلـــغ عددهم (268)، (مجموع غير الموافقين، وغير الموافقين أبـــداً) أي مـــا نسـبته (56.9%)، مقارنة بالعدد الآخر من الشباب الذين يقضون وقتهم في التحادث عبر الإنترنت مع أصدقائهم وهو (203) شاباً وشابة (الموافقون والموافقون جداً) أي ما نسبته (43%). وهذه نسبة عالية تقريباً وذات دلالة اجتماعية تشـــير الـــى تـــأثر الاتصال الشخصي بالاتصال عبر الانترنت، أي أن الاتصال عبر الانترنت بـــدأ يشكل نمطاً اتصالياً جديداً في المجتمع القطري.

الوقت الذي تقضيه في المحادثة مع الأصدقاء عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي تقضية معهم وجها لوجه										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	35	7.4	85	18.0	95	20.2	43	9.1	258	54.8
الإناث	36	7.6	47	10.0	65	13.8	65	13.8	213	45.2
المجموع الكلي	71	15.0	132	28	160	34	108	22.9	471	100

المتغيرات النوعية:

أوضحت الدراسة أن كلا الجنسين من الشباب، يقضي وقتاً لا بأس بـــه فـــي التحادث مع أصدقائه ومعارفه عبر الإنترنت. صحيح أنه وقت أقل من الوقت الذي

يقضونه وجهاً لوجه معهم، إلا أنه وقت يجب أن لا يستهان به. فنسبة الذكور الذين يقضون وقتاً في التحادث مع أصدقائهم عبر الإنترنت بلغت (25.4%)؛ في حين بلغت نسبة الإناث (17.6%).

ما هي أعمار الشباب الذين يقضون وقتاً في التحادث عبر الإنترنت مع معارفهم أكثر مما يقضونه وجهاً لوجه معهم؟ وما هي أوضاعهم الاجتماعية والتعليمية؟ تشير الجداول[1] في هذا الصدد إلى أن الشباب في الفئة العمرية المحصورة ما بين (20–23) سنة هم أكثر الشباب الذين يقضون وقتاً في التحادث عبر الإنترنت، ثم الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين (17–20) حيث كانت النسبة المئوية لكل فئة عمرية منهما على التوالي: (13%) و(7.8%). وأما الفئات العمرية الأخرى فقد تقاربت نسب الشباب فيها، ممن يقضون وقتهم بالتحادث عبر الانترنت؛ حيث بلغت (5.3%) للفئات العمرية التي انحصر عمر الشباب فيها بين (29–32)، وبلغت (6.8%) للفئات الشبابية التي انحصر عمر الشباب فيها بين (23–26). وأما الشباب الذين انحصرت أعمارهم ما بين (16–29) فقد بلغت نسبتهم (6.4%).

وأما فيما يتصل بالمستويات التعليمية لهؤلاء الشباب، فقد اتضح أن الشباب الجامعي والشباب ممن هم في المستوى التعليمي الثانوي هم أكثر المستويات التعليمية الذين يقضون وقتاً في التحادث مع معارفهم عبر الإنترنت. إذ بلغت النسب المئوية لكل مستوى تعليمي منهما كما يلي: (17.9%) للمستوى الثانوي، و(17.3%) للمستوى الجامعي. ويشير الجدول أيضاً إلى أن فئتي العزاب والمتزوجين هم أكثر الفئات الاجتماعية التي تأثرت علاقاتها الوجاهية – المباشرة مع أصدقائها بسبب انشغالها عنهم بالإنترنت. حيث أجاب ما نسبته (27%) من الشباب العازب أنهم يقضون وقتاً في التحادث مع معارفهم عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي يقضونه معهم وجهاً لوجه. وأجاب ما نسبته (10.4%) من المتزوجين الإجابة نفسها.

---

(1) نظراً لضخامة عدد الجداول المتعلقة بالمتغيرات النوعية والاجتماعية، فإنه لن يكن بالمستطاع إدراجها في متن الدراسة ولا في نهايتها ضمن الملاحق، لذا سنكتفي من الآن فصاعداً بذكر النسب المئوية لهذه المتغيرات فقط.

متغيرات العلاقة الأسرية

ما تأثير العلاقة الزوجية التي تربط بين الزوجين من حيث القوّة والضعف على لجوء أحدهما إلى التحادث مع معارفه عبر الإنترنت؟ بمعنى آخر هل يجد الزوج الذي تربطه علاقة ضعيفة مع زوجه في التحادث عبر الإنترنت مع أحد المعارف فرصة لتعويض ما يحتاجه أو يفتقر إليه من هذا الطرف؟ لقد تم وضع سؤال يحاول معرفة ذلك، وكانت النتيجة، كما عكستها إجابات المتزوجين من أفراد العينة هي "نعم"؛ إذ اتضح أن من تربطه بزوجه علاقة قوية لا يلجأ كثيراً إلى التحادث عبر الإنترنت؛ حيث كانت النسبة المئوية هنا لهؤلاء الأزواج (48.7%). وهذا يعني أن الأزواج السعداء في حياتهم الأسرية لا يلجأون إلى الإنترنت، لأنهم ليسوا بحاجة إلى ذلك بحكم علاقتهم الزوجية القوية.

***السؤال:* تقضي وقتاً في التحادث مع معارفك وأصدقائك عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي تجلس فيه مع أسرتك.**

مثلما ترك الإنترنت تأثيراً على اتصال الشباب الوجاهي المباشر مع معارفهم وأصدقائهم، كما أوضحنا للتو، ترك أيضاً تأثيراً على اتصالهم المباشر مع أفراد أسرهم كما يبين الجدول (رقم 19). إذ تبين أن هناك ما نسبته (44.4%) منهم يقضون وقتاً في التحادث مع معارفهم عبر الإنترنت، وهذا الوقت هو على حساب تواصلهم وتفاعلهم مع أسرهم. في حين بلغت نسبة من يقضي منهم وقتاً مع أسرته (55.7%).

تقضي وقتاً في التحادث مع معارفك وأصدقائك عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي تجلس فيه مع أسرتك.											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	49	10.4	83	17.6	87	18.5	39	8.3	258	54.8
الإناث	22	4.7	55	11.7	71	15.1	65	13.8	213	45.2
المجموع الكلي	**71**	**15.1**	**138**	**29.3**	**158**	**33.6**	**104**	**22.1**	**471**	**100**

صحيح أن نسبة الشباب الذين يجلسون مع أسرهم ويتحادثون معهـا بـشكل وجاهي ومباشر أعلى من نسبة الشباب الذين لا يقضون مثل هذا الوقت معها، ومع ذلك تبقى نسبة هذا النوع الأخير لافتة للنظر، وهي نسبة مشابهة لنـسبة الـشباب السابقة الذين يقضون وقتاً في التحادث مع معارفهم وأصدقائهم عبر هذه الوسـيلة؛ حيث كانت هذه النسبة، كما بينا، (43%). وهذا الإرتفاع إنما هو، مؤشـر علـى بداية تشكل نمط جديد من أنماط الاتصال في هذا المجتمع بين فئاتـه الاجتماعيـة المختلفة وبخاصة الشباب العازب والمتزوج، بمختلف مستوياته التعليمية وبخاصـة المستويين الجامعي والثانوي، كما تبين الجداول المعنية بذلك.

المتغيرات النوعية

بلغت نسبة الشباب ممن تراوحت أعمارهم ما بين (20–23) ممن اسـتخدموا الإنترنت في تواصلهم مع معارفهم على حـساب تواصـلهم مـع أفـراد أسـرهم (13.6%)، وبلغت هذه النسبة أيضاً (7.9%) للشباب الذين تنحصر أعمارهم مـا بين (17–20). وأما مستويات هؤلاء الشباب التعليمية فهناك ما نـسبته (19.3%) في المستوى التعليمي الجامعي، وهناك ما نسبته (16.2%) في المستوى التعليمـي الثانوي. وأما نسب أوضاعهم الاجتماعية، فهناك ما نسبته (25.5%) منهم ما يزال عازباً، و(12.4%) متزوجاً.

متغيرات العلاقة الأسرية

وأما فيما يتعلق بمتغير قوّة العلاقة الأسرية وانعكاساتها على مقـدار الوقـت الذي قضاه الشباب في التحادث مع معارفهم عبر الإنترنت فقد تبيّن أن هنـاك مـا نسبته (27.3%) منهم صرف وقته بهذه الطريقة؛ ومع ذلك تبقى نسبة الشباب ممن قضى وقتاً في التحدث مع أسرهم والتفاعل معها وجهاً لوجه أكثـر مـن النـسبة السابقة؛ إذ بلغت نسبتهم هنا (45%).

حميمية العواطف الإلكترونية

***السؤال:* تشعر بأن العلاقات والصداقات التي كونتها مع الآخرين من كلا الجنسين من خلال الإنترنت هي علاقات أكثر صدقاً وحميمية من تلك العلاقات التي كونتها عن طريق اتصالك الوجاهي المباشر؟**

في محاولتنا فهم طبيعة التأثيرات التي تركها الاتصال عبر الإنترنت على الاتصال الوجاهي المباشر، لم نتوقف عند حدود إجابات الشباب على الأسئلة السابقة؛ بل طرحنا عليهم مزيداً من الأسئلة لاستجلاء جوانب أخرى من جوانب هذه التأثيرات. إذ قمنا بتوجيه السؤال المشار إليه أعلاه لنتبين مدى صدق مشاعرهم وعمقها نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، مقارنة بصدق هذه المشاعر وعمقها نحو من تعرفوا إليهم بشكل شخصي ومباشر. بمعنى آخر، هل تتسم العلاقات العاطفية المشكلة عبر الإنترنت والتي يُطلق عليها (المشاعر الالكترونية) (Electronic Emotion) بنفس القدر من الصدق والحميمية الذي تتصف به المشاعر المكونة من خلال الاتصال الوجاهي المباشر؟

إن معرفة ذلك هو أمر ضروري في هذه الدراسة حتى يكون بإمكاننا إصدار حكمٍ مسنودٍ امبريقياً، حول طبيعة التأثير الذي تركه العلاقات الالكترونية على العلاقات الحية المباشرة. وفي هذا الصدد، يوضح الجدول (رقم 20) المعني بهذا، أن عواطف الشباب الالكترونية لم ترقَ إلى مستوى عمق مشاعرهم نحو اصدقائهم ممن تعرفوا إليهم بشكل وجاهي ومباشر (المشاعر الانسانية الحية)

تشعر بأن العلاقات والصداقات التي كونتها مع الآخرين من كلا الجنسين من خلال الإنترنت هي أكثر صدقاً وحميمية من تلك العلاقات التي كونتها عن طريق اتصالك الوجاهي المباشر.

درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	62	13.2	56	11.9	77	16.3	63	13.4	258	54.8
الإناث	20	4.2	32	6.8	73	15.5	88	18.7	213	45.2
المجموع الكلي	82	17.4	88	18.7	150	31.8	151	32.1	471	100

فقد أجاب هنا ما نسبته (63.9%) من هؤلاء الشباب (غير الموافقين، وغير الموافقين أبداً) بأنهم لا يشعرون نحو معارفهم وأصدقائهم الذين تعرّفوا إليهم عبر الإنترنت بالعمق نفسه نحو من تعرفوا إليهم وجهاً لوجه في الحياة اليومية. ومع ذلك فهناك نسبة أخرى لها وجهة نظر مختلفة؛ إذ أجاب ما نسبته (36.1%) من هؤلاء الشباب (الموافقون والموافقون جداً) بأنهم يشعرون بحميمية وصدق نحو معارفهم الذين تعرفوا إليهم عبر الانترنت، لا تقل عن صدق وحميمة من تعرّفوا إليهم بشكل شخصي ومباشر. وهذه نسبة لا يجوز تجاهلها؛ فقد تتزايد مع الزمن لأن تجربة الإنترنت ما زالت في بداياتها الأولى في هذا المجتمع، ولأن لها ما يدعمها في دراسات أخرى كدراسة رايس ولف ((Rice, R, and love, G. (1987) حيث تبين لهما في دراستهما حول هذا الموضوع، وجود مشاعر من نوع خاص بين الشباب الذين تعرفوا إلى بعضهم من خلال هذه الوسيلة الإتصالية.

المتغيرات النوعية

وأما فيما يتصل بجنس هؤلاء الشباب فيوضح الجدول أن نسبة الفتيات اللواتي لم يشعرن بصدق في علاقاتهن مع معارفهن اللواتي تعرفن إليهن عبر الإنترنت كانت أعلى من مثيلتها عند الذكور؛ إذ بلغت نسبتهن إلى نسبة الذكور: (34.2%) مقابل (29.7%). وهذا يعني أن الإناث كنّ أكثر حذراً وأقل انفتاحاً في تكوين علاقات اجتماعية وعاطفية عبر الإنترنت من زملائهن الذكور. وهذا ما إتضح في إجابات الذكور الذين يشعرون بحميمية نحو معارفهم الذين تعرفوا إليهم عبر هذه الوسيلة الاتصالية؛ إذ عبّر (25.1%) منهم عن قوّة هذا الشعور مقابل (11%) فقط عند الإناث.

وحين حاولنا معرفة أعمار هؤلاء الشباب تبين أن أعلى نسبة عمرية منهم هي نسبة الشباب الذين تراوحت أعمارهم ما بين (20-23)، ثم تلتها نسبة أولئك الشباب ممن هم في المرحلة العمرية الأعلى وهي: (26-29). وقد كانت نسبة كل فئة عمرية منهما على التوالي: (11.3%) و(6.4%).

وهذه الفئات العمرية بعضها متزوج، والبعض الآخر منها ما يزال عازباً. فنسبة الشباب العازب منهم ممن شعر بعمق علاقاته المكونة عبر الإنترنت هي

(20.8%) ونسبة المتزوج منهم هي (10.9%)؛ وأما نسبة العزاب ممن لم يشعروا بهذا الشعور فقد كانت (35.1%)، ونسبة المتزوجين ممن لا يشعرون بالشعور نفسه فقد كانت هي الأخرى (20.8%). وقد بلغت نسبة من هم في المستوى التعليمي الجامعي ممن شعروا بصدق في علاقاتهم مع الآخرين عبر الإنترنت (16.8%)، وهي أعلى النسب بين المستويات التعليمية جميعها، ثم جاء بعدهم أولئك الشباب ممن هم في المستوى التعليمي الثانوي؛ حيث بلغت النسبة هنا (13.6%). وهذا بالطبع، بسبب ارتفاع نسبة تمثيل هذين المستويين التعليميين في العينة الكلية في الدراسة.

متغيرات العلاقة الأسرية

هل لمتغير علاقة الشباب بأسرهم من دور في هذا الشعور؟ وهل لمتغير تفاعلهم داخل هذه الأسر دور كذلك؟ وهل للآراء التي يبدونها حول بعض ما يطرح داخل الأسرة دور أيضاً في تكوين مثل هذه المشاعر؟ إن إجابات الشباب على هذه الأسئلة، إنما تكشف في الحقيقة، عن طبيعة الاتصال والتفاعل داخل الأسرة القطرية من جهة، وانعكاسات ذلك على استخداماتهم للإنترنت من أجل تكوين علاقات حميمية من خلاله يعوضون بها ما يفتقرون إليه داخلها من جهة أخرى.

وفي هذا الصدد اتضح أن الشباب الذين تمتعوا بعلاقة قوية مع الوالدين، مبنية على الاحترام والتقدير المتبادل، قلما شعروا بعمق ودفء في علاقاتهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت؛ إذ لم يجب منهم سوى ما نسبته (23.6%) بذلك؛ ولكن غالبيتهم، أي ما نسبته (47.8%) فقد شعروا بأن علاقاتهم الاجتماعية نحو من تعرفوا إليهم وجهاً لوجه تتسم بعمق أكبر وحميمية أكثر. وتفسير هذه النتيجة، هو أن طبيعة العلاقة القوية بين الشباب والأسرة داخل البيت امتدت لتطال علاقاتهم الاجتماعية التي كوّنوها مع الآخرين وجهاً لوجه. فهم ليسوا بحاجة إلى البحث عن علاقات بديلة لعلاقاتهم بأسرهم، فالعلاقة الأسرية القوية بينهم وبين أهاليهم تشبع لديهم كل ما يحتاجونه.

واتضح كذلك أن الشباب الذين كانوا يشاركون أسرهم في نقاشاتها بشكل "دائم"، لم يشعروا بعمق في علاقاتهم الالكترونية كعمق شعورهم نحو معارفهم

الذين عرفوهم وجهاً لوجه؛ إذ أجاب ما نسبته (33.7%) ممن كانوا يشاركون "دائماً" في الحوارات الأسرية بأنهم لم يشعروا بحميمية هذه العلاقات، في حين أجاب ما نسبته (18.7%) ممن كانوا يناقشون ويتفاعلون بشكل "دائم" مع أسرهم بأنهم شعروا بصدق نحو هذا النوع من العلاقات التي كوّنوها عبر الإنترنت.

والأمر الآخر اللافت للانتباه هنا هو إجابات الشباب على السؤال المتعلق بشعورهم نحو تقييم أسرهم للآراء التي يبدونها في الحوارات والنقاشات الأسرية؛ فقد اتضح أن الشباب الذين كان يأخذ أهلهم بآرائهم "أحياناً" في هذه النقاشات لم يشعروا بعمق عواطفهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، بل كانت مشاعرهم نحو أصدقائهم ممن تعرفوا إليهم بشكل مباشر وحي أكثر دفئاً ومتانة؛ إذ كانت النسبة هي (30.2%) للنوع الاول من العلاقات، في حين كانت النسبة للنوع الثاني من العلاقات هي (11.4%). وأما من كان يشارك منهم أسرته في نقاشاتها وحواراتها، وكانت أسرته تحترم هذا النقاش والحوار "دائماً"، فقد كانت نسبة من شعر بعمق علاقاته وصدقها مع الذين تعرف إليهم عبر الإنترنت في هذه الحالة قليلة نسبياً مقارنة بأولئك الذين لم يشعروا بمثل ذلك. إذ كانت النسبة (15.1%) مقابل (24.7%).

العواطف الإلكترونية والزواج

السؤال: **تشعر بأن العلاقة التي تربطك بمعارفك الذين تعرفت إليهم عبر الإنترنت أقوى من تلك التي تربطك بمعارفك الذين تعرفت إليهم بشكل مباشر، إلى الحد الذي يجعلك تفكر بالزواج من إحدى هذه المعارف لو كنت عازباً:**

لم تفض مشاعر الشباب الالكترونية نحو من تعرفوا إليهم عبر الانترنت إلى تفكير غالبيتهم بالزواج من إحدى هذه المعارف. صحيح أن استعمالاتهم للإنترنت كانت قد عملت على توسيع دوائر علاقاتهم الاجتماعية والعاطفية، وكانت قد زودتهم بشبكة جديدة من الصداقات والعلاقات التي كان من المتعذر عليهم تكوينها عبر وسائل الاتصال المباشرة – الوجاهية، ومع ذلك لم تشكل هذه العلاقات الالكترونية تحدياً جذياً لنمط الزواج المتبع في المجتمع القطري، إذ رفضت الغالبية الساحقة منهم (70.5%) الزواج بتلك الطريقة. ومع ذلك فقد عبر ما نسبته منهم (28.8%) عن قبوله الزواج من إحدى معارفه التي تم التعرف إليها عبر الإنترنت. (انظر الجدول 21).

تشعر بأن العلاقة التي تربطك بمعارفك الذين تعرفت إليهم عبر الإنترنت أقوى من تلك التي تربطك بمعارفك الذين تعرفت إليهم بشكل مباشر إلى الحد الذي يجعلك تفكر بالزواج من إحدى هذه المعارف لو كنت عازباً:										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	34	7.2	48	10.2	91	19.3	85	18.0	258	54.8
الإناث	18	3.8	36	7.6	56	11.9	103	21.9	213	45.2
المجموع الكلي	52	11.0	84	17.8	147	31.2	188	39.3	471	100

وأما تفسير دلالات ارتفاع نسبة الشباب ممن رفض الزواج بتلك الطريقة فيكمن في تلك الحميمية والدفء الذي يولّده التفاعل الاجتماعي الوجاهي والاتصال الشخصي المباشر بين الأفراد، والذي تحدثنا عنه في بداية هذا الفصل.

ومن العوامل الأخرى التي يمكن إضافتها في تفسير ذلك هو أن الزواج في المجتمع القطري ما يزال يخضع لضبط أسري واجتماعي كبيرين يصعب تجاوزهما، فأي طريقة أو أسلوب في الزواج لا يحظى بمباركة الأسرة والمجتمع وموافقتها أو رضاها يعتبر زواجاً خارجاً عن العرف الاجتماعي والاسري.

فمن المعروف من وجهة نظر المهتمين بديناميات الجماعة أنه كلما قلّ عدد الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، زاد الضغط الاجتماعي عليه من أجل امتثاله (Conformity) لقواعدها وتقاليدها وقيمها. وكلما كبر عدد هذه الجماعة وقلّ التجانس الاجتماعي والثقافي بين أفرادها قلّ امتثالهم لأوامرها وضوابطها الاجتماعية. ومن هذا المنطلق يشكل المجتمع القطري بتركيبته الاجتماعية المعروفة، وصغر حجم سكانه، وتجانس أفراده إلى حد كبير، مثالاً طيباً في تفسير ما نراه من إحجام الشباب عن الزواج بواسطة الإنترنت. ومع كل هذا، فإن هناك مؤشرات لبداية خروج الشباب عن هذه الضوابط والقيود والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها في الزواج في المجتمع، بدأت بها فئة قليلة العدد بلغت، كما أشرنا، (28.8%).

ومن الملاحظ أن نسبة الشباب الذكور ممن خرج عن الضوابط الاجتماعية وفكر بالزواج من علاقاته التي شكلها عبر الإنترنت كانت أكثر من نسبة الإناث؛ حيث بلغت نسبة الشباب الذكور (17.4%) مقابل (11.4%) من الإناث. وهذا يعني ان الشباب هم أكثر "تمرداً" على ضوابط الزواج وتقاليده من الاناث لأسباب تكمن في طبيعة البنية الإجتماعية والثقافية للمجتمع القطري.

المتغيرات النوعية

لم تكن العلاقات القوية التي جمعت الشباب بأصدقائهم ومعارفهم الذين تعرّفوا إليهم عن طريق الاتصال الشخصي والتفاعل المباشر مقابل علاقاتهم المكونة عبر الإنترنت، مقصورة على جنس بعينه من الشباب دون الآخر؛ بل وسمت علاقات كل جنس منهم كما اتضح في إجاباتهم على السؤال السابق. فقد رفض ما نسبته (37.7%) من الشباب الذكور ورفضت (33.8%) من الإناث معادلة مشاعرهم وعواطفهم نحو أصدقائهم الذين تعرفوا إليهم مباشرة، بمشاعرهم نحو أصدقائهم

الذين تعرفوا إليهم عبر الإنترنت. وأما نسبة الشباب الذين شعروا بأن علاقاتهم بمعارفهم المكونة عبر الإنترنت كانت أقوى من علاقاتهم بأصدقائهم الذين تعرفوا إليهم بشكل وجاهي مباشر، فقد كانت نسبتهم: (28.8%) كما قلنا، ومع ذلك يجب أن نأخذ هذه النسبة على محمل الجد في مجتمع محافظ كالمجتمع القطري.

وأما فيما يتعلق بأعمار الشباب الذين وصفوا علاقاتهم بمعارفهم وأصدقائهم الذين عرفوهم بشكل مباشر بأنها أقوى من علاقاتهم بمعارفهم ممن تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، فقد اتضح أن الفئة العمرية (20–23) من هذه الأعمار هي التي شعرت بعمق هذه العلاقة أكثر من غيرها، تلتها فئة الشباب ممن وقعت أعمارهم ما بين (26–29)، ثم الشباب ممن تراوحت أعمارهم ما بين (23–26) سنة؛ حيث كانت النسب المئوية لكل فئة عمرية من هذه الأعمار كما يلي على التوالي: (18.7%)، و(14.5%) ثم (11.6%). وأما الشباب الذين انحصرت أعمارهم ما بين (29–32) سنة فقد بلغت نسبة من لم يشعر منهم بقوة نحو علاقاته عبر الإنترنت، تعادل قوة مشاعره نحو علاقاته الوجاهية (11%). وقد شعر الشعور نفسه ما نسبته (10.9%) من الشباب الذين وقعت أعمارهم ما بين (17–20) سنة.

وفي الحقيقة، فإن أكثرية هؤلاء الشباب هم من فئات تعليمية جامعية، ومستويات اجتماعية عزباء، كما اتضح من الجداول المعنية بتحديد ذلك. إذ بلغت نسبة الجامعيين وفوق الجامعيين منهم (43.4%)؛ ونسبة العزاب منهم (38.3%)، في حين بلغت نسبة المتزوجين (30.1%).

متغيرات العلاقة الأسرية

يشير متغير علاقة الشباب بأسرهم الى أنه كلما كانت هذه العلاقة قوية ومبنية على الاحترام والتقدير قلت مشاعر الشباب وعواطفهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الانترنت؛ إذ أجاب (55.2%) ممن ربطتهم مثل هذه العلاقة، بأنهم لم يشعروا بقوة في مشاعرهم نحو هذه العلاقات؛ واتضح أيضاً من الجداول المعنية بذلك، أنه كلما قلت قوة العلاقة بين الشباب وأسرهم من حيث الاحترام والتعامل والتقدير زادت قوة مشاعرهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت.

الإنترنت واللقاءات الوجاهية المباشرة

لم نكتفِ، في الواقع، بإجابات الشباب السابقة لمعرفة مدى تأثير الإنترنت على مفهومهم للزواج بل قمنا بالإضافة إلى ذلك بتوجيه سؤال آخر بقصد معرفة مدى تأثيره على العلاقات الإجتماعية بشكل عام. أي هل دفعت العلاقات المشكلة عبر الإنترنت إلى لقاءات وجاهية – مباشرة بين الشباب؟

***السؤال:* سمحت لك العلاقات العاطفية القوية التي كونتها عبر التحادث مع الجنس الآخر من خلال الإنترنت بالالتقاء به وجهاً لوجه:**

يرى بعض الباحثين، وبخاصة كروات وزملاؤه، إن العلاقات التي تتشكل بين الجنسين من خلال الإنترنت قد تقود في كثير من الحالات إلى لقاءات مباشرة بينهم. (Kraut, R. etal 1998) فما هو الحال بين الشباب في المجتمع القطري؟ هل قادتهم مشاعرهم الالكترونية إلى لقاءات مباشرة ووجاهية على الرغم من منع المجتمع لمثل هذا النوع من اللقاءات أو العلاقات الإجتماعية؟

تشير إجابات الشباب من كلا الجنسين على هذا التساؤل، إلى أن المشاعر الالكترونية لم تقد إلى لقاءات مباشرة، في الواقع، إلاّ عند ما نسبته (38.6%) من هؤلاء الشباب، كما أشار جدول رقم (22) المعني بذلك. أي أن العلاقات العاطفية التي كونها الشباب مع الجنس الآخر من خلال الإنترنت، بقيت إلى حد كبير محصورة في هذا الإطار، ولم تتعداه إلى لقاءات مباشرة – حية بينهم، إلا لدى تلك النسبة السابقة. فمثلاً حين سئل الشباب فيما إذا كانت علاقتهم التي كونوها مع الجنس الآخر من خلال الإنترنت سمحت لهم باللقاء وجهاً لوجه، لم يجب سوى (182) شاباً وشابة، بالإيجاب، أي ما نسبته (38.6%) كما قلنا. وأما نسبة من لم يلتق بهذا الآخر وجهاً لوجه، علماً بأنه تجمعه به/ بها علاقة عاطفية قوية من خلال الإنترنت، فقد كانت (61.3%)، أي ما عدده (289) شاباً وشابة. (انظر جدول رقم 22). وقد يعزى ذلك، جزئياً إلى الضبط الاجتماعي الذي تمارسه الأسرة والمجتمع على أبنائها كما أشرنا.

ويجب التنويه مرة أخرى إلى أن النسبة السابقة الشباب من كلا الجنسين ممن سمحت لهم مشاعرهم و علاقاتهم المكونة عبر الإنترنت، (38.6%)، هي نسبة تدل مرة أخرى على "تمرّد" الشباب و"تحديه" للضوابط الاجتماعية المفروضة عليهم من قبل الأسرة والمجتمع على حد سواء. وإذا ما أخذنا هذه النسبة، والنسبة السابقة للشباب ممن لا يمانع من الزواج ممن تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، وهي (28.8%)، لأدركنا عندها أن الاتصال عبر الإنترنت في المجتمع القطري بدأ يشكل نمطاً جديداً من الاتصالات لم يكن مألوفاً أو معروفاً في هذا المجتمع.

سمحت لك العلاقات العاطفية القوية التي كونتها مع الجنس الآخر عبر التحادث من خلال الإنترنت باللقاء به وجهاً لوجه											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	59	12.5	73	15.5	67	14.2	59	12.5	258	54.8
الإناث	15	3.2	35	7.4	48	10.2	115	24.4	213	45.2
المجموع الكلي	74	15.7	108	22.9	115	24.4	174	36.9	471	100

المتغيرات النوعية

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فقد أجابت ما نسبته (10.6%) من الإناث بأنهن التقين وجهاً لوجه بمن تعرّفن إليهم عبر الإنترنت؛ وأما النسبة العالية منهن وهي (34.6%) فلم يقمن بتلك المحاوله بالرغم من العلاقة العاطفية القوية التي جمعتهن مع الجنس الآخر؛ حيث اكتفين بالتحادث فقط، كما اتضح في إجاباتهن على هذا السؤال، ولم يترجمن ذلك إلى لقاءات مباشرة، ربما لأنهن يدركن ما قد يترتب على ذلك اللقاء من مشكلات أسرية واجتماعية هنّ في غنى عنها، وعن مواجهتها، لأنهن يدركن خسارتهن في تلك "المعركة" غير المتكافئة من حيث القوّة التي يتمتعن بها داخل المجتمع، فبناء القوّة (Power Structure) لا يميل لصالحهن في هذا المجتمع.

وأما فيما يتعلق بالذكور من هؤلاء الشباب فقد تبين أن نسبة من سمحت لهم مشاعرهم الالكترونية باللقاء وجهاً لوجه فقد بلغت (28%). وأما نسبة من لم يلتقِ مع هذا "الآخر" ويجتمع به على الرغم من قوّة العلاقة فقد بلغت (26.7%).

وأما فيما يتعلق بأوضاع هؤلاء الشباب الاجتماعية، فإن ما نسبته (21.5%) من العزاب كانت مشاعرهم الالكترونية قد سمحت لهم باللقاء مع الجنس الآخر الذين تعرفوا إليهم من خلال هذه الوسيلة، وأما النسبة الأكبر من هذه الفئة الاجتماعية وهي (34.2%) فلم تقدهم مشاعرهم إلى مثل هذا النوع من اللقاءات.

وأما المتزوجون من الشباب فإن (10.7%) منهم فقط، كانت قد دفعتهم مشاعرهم الالكترونية إلى اللقاء وجهاً لوجه مع من تعرفوا اليهم عن طريق الأنترنت، في حين لم تدفع هذه المشاعر ما نسبته (21%) منهم إلى ذلك. وأما فئة الخاطبين منهم، فقد كانت نسبة من قادتهم مشاعرهم إلى لقاءات مباشرة مع الآخر (4.3%). وبينت الجداول أيضاً أن الشباب الجامعي كانوا أكثر الشباب رفضاً لفكرة اللقاء وجهاً لوجه مع من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت؛ إذ أجاب ما نسبته (32.8%) بأن علاقاتهم العاطفية مع الجنس الآخر لم تفض إلى لقاءات مباشرة، في حين أجاب (17.7%) عكس ذلك؛ وأما من هم في مرحلة التعليم الثانوي فقد التقى ما نسبته (13.2%) منهم مع الجنس الآخر، ولم يلتق منهم مع هذا الآخر ما نسبته (18.7%).

تأثيرات الأنترنت على الأتصال الجماهيري

تركت استخدامات الشباب للانترنت تأثيرات متفاوتة الشدة على مدى تعرضهم لوسائل الأتصال الجماهيرية المألوفة في مجتمعهم، كما أوضح الجدول المعني بتحديد شدة هذه التأثيرات؛ حيث اتضح هذا التفاوت عند اجابتهم عن السؤال الذي وجهناه اليهم لمعرفة شدّة هذا التباين أو ضعفه عليهم. وأما السؤال فهو:

السؤال: كيف تصف تعاملك مع وسائل الإتصال الجماهيرية التالية بعد أن بدأت تستخدم الإنترنت؟ تزيد؟ لم تتأثر؟ تتراجع؟ أم لا تدري؟ وأما الإجابات فقد كانت كما يلي:

1 - الأنترنت والتلفزيون

تراجعت مشاهدة الشباب للتلفزيون بسبب استخداماتهم للأنترنت بشكل ملحوظ؛ اذ أجاب ما نسبته منهم (49.2%) بأنهم لم يعودوا يشاهدون التلفزيون كما كانوا يفعلون قبل تعودهم على الأنترنت. وأما نسبة من لم تتأثر مشاهدتهم لهذه الوسيلة الاتصالية، فقد كانت (39%)، في حين لم يجب سوى ما نسبته (6.1%) بان مثل هذه المشاهدة كانت قد زادت (أنظر الجداول أسفله).

كيف تصف تعاملك مع وسائل الإتصال الجماهيرية التالية بعد أن بدأت تستخدم الإنترنت؟										
	زادت		لم يتأثر		تراجعت		لا أدري		لم يجب	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
مشاهدة التلفاز	29	6.1	184	39.0	232	49.2	27	5.7	-	-
قراءة الكتب والمجلات	33	7.0	183	38.8	209	44.3	47	10.0	-	-
الذهاب إلى دور السينما	43	9.1	109	23.1	212	44.9	107	22.7	1	0.2
سماع الراديو	62	13.1	123	26.1	240	50.8	45	9.5	2	0.4
قراءة الصحف	75	15.9	121	25.6	238	50.4	38	8.1	-	-

2 – الأنترنت والاستماع للراديو

حين وجهنا السؤال السابق نفسه إلى الشباب لمعرفة مدى تأثير الأنترنت على إستماعهم للراديو، اتضح وجود تباين في القوة التي تركها فيهم في هذا الشأن؛ اذ أجاب منهم ما نسبته (50.8%) بأن استماعهم للاذاعة كان قد تراجع. وأ ما نسبة من لم يتأثر استماعه فقد كانت (26.1%). وأما نسبة من زاد استماعهم للاذاعة بعد تعودهم على الأنترنت فلم تزد عن (13.1%).

3– الإنترنت والذهاب إلى دور السينما

وأما وسيلة الاتصال الجماهيرية الأخرى التي تأثرت بسبب استعمال الشباب للأنترنت فهي السينما. فقد هزّ الأنترنت مكانة مثل هذه الوسيلة بين الشباب. وقد بدا هذا واضحا في اجاباتهم؛ حيث أجاب منهم ما نسبته (44.9%) بأنه لم يعد يذهب الى صالات السينما كما كان يفعل من قبل تعوده على الأنترنت.صحيح أن هناك نسبة عالية نسبيا لم يؤثر استعمالها للأنترنت على ترددها على دور السينما (23.1%)، ومع ذلك يبقى تأثير الأنترنت على هذه المؤسسة الاتصالية الجماهيرية واضحا. وأما نسبة من زاد ترددهم إلى دور السينما، فلم تزد عن (9.1%).

4 – الأنترنت والصحف

يشير الجدول السابق بهذا الخصوص الى أن الصحف لم تعد تحظى باهتمام كاف من حيث قراءة الشباب لها بسبب انشغالهم بالأنترنت. وهذا التراجع في الأعتماد على المؤسسة الصحفية كمصدر من مصادر المعرفة الأساسية لدى الشباب في المجتمع أمر لافت للنظر. فنسبة الشباب الذين أثر الأنترنت على مطالعتهم للصحف بلغت (50.4%). وهذا مؤشر واضح على مدى التأثير الذي أحدثه الأنترنت في مؤسسة الأتصال الصحفي في المجتمع. وأما نسبة من لم تتأثر قراءتهم للصحف بسبب الإنترنت فقد كان (25.6%)، في حين كانت نسبة من زادت قراءتهم للصحف بعد تعودهم على الإنترنت هي (15.9%).

5 – الأنترنت وقراءة الكتب والمجلات

يتسق التأثير الذي أدخله الأنترنت على مؤسسات الأتصال الجماهيرية السابقة، مع ذلك الذي أحدثه في مؤسسة أخرى من مؤسسات هذا النوع من الإتصال

ألا وهي مؤسسة النشر والتأليف؛ حيث بدا واضحا مدى التراجع في قراءة الشباب لما يصدر من كتب ومجلات عن دور النشر والتأليف. فقد أثر الأنترنت على قراءة ما نسبته (44.3%) من الشباب؛ حيث أجابت هذه النسبة منهم أنها لم يعد لديها الوقت الكافي لقراءة الكتب والمجلات، فوقتها مستغرق في الأنترنت. وأما نسبة من لم تتأثر قراءتهم ومطالعتهم للكتب والمجلات فقد كانت (38.8%)، ونسبة من زادت مطالعتهم (7.0%).

وهكذا تفاوت التأثير الذي أحدثه الإنترنت في مؤسسة الإتصال الجماهيرية المستخدمة في المجتمع القطري؛ حيث بلغ أقصى درجاته في حالة الراديو (50.8%)، ثم الصحافة (50.4%) ثم التلفزيون (49.2%)، ثم السينما (44.9%)، وأخيراً الكتب والمجلات (44.3%).

الخلاصة

على الرغم من قوة دور الاتصال الشخصي المباشر وفاعليته في تكوين المشاعر والعلاقات الاجتماعية بين الشباب من كلا الجنسين، وعلى الرغم من صدق هذه المشاعر وحميميتها، إلا أن هذه القوة والحميمية بدأ يعتريها شيء من التحدي قادم اليها من وسيلة أخرى – تقوم بالدور نفسه وهي الإنترنت؛ إذ بدأ الاتصال بواسطة هذه الوسيلة الوليدة ينافس الاتصال الشخصي في تكوين العلاقات الاجتماعية.

ومع أن هذه المنافسة بينهما غير متكافئة لغاية الآن من حيث قوة كل منهما في تكوين المعارف والصداقات والعلاقات الاجتماعية، ومع ذلك تنبئ الأرقام في الجداول، أن هذه المنافسة لا يجب الاستهانة بها. فقد لا تبقى على حالها؛ بل ربما تتحرك هذه الأرقام في المستقبل باتجاه الإنترنت، بحكم انسداد قنوات الاتصال المباشر بين الجنسين في هذا المجتمع.

وإذا كانت المنافسة بين الاتصال الوجاهي المباشر، والاتصال عبر الإنترنت في تكوين المشاعر والعلاقات قابلة للتحرك والتغيير في السنوات القادمة، إلا أنها قد لا تتغير بالسرعة نفسها فيما يتعلق بمسألة حميمية هذه المشاعر وصدقها. فالإنترنت في هذا المجال، كما أوضحت الجداول لا يشكل تحدياً جدياً، ولا منافساً كفؤاً للاتصال الوجاهي المباشر؛ على الأقل لغاية هذه المرحلة التاريخية من انتشاره في المجتمع.

وأما المجال الأخر الذي أحدث فيه الأنترنت تغيرا واضحا فهو نسق الأتصال الجماهيري. فقد ظهر هذا التأثير بشكل جلي في تراجع أعداد الشباب ممن كانوا يعتمدون على مؤسسة الأتصال الجماهيرية، بوسائلها المختلفة، لاستقاء معارفهم ومعلوماتهم منها، حول ما يجري من أحداث داخل مجتمعهم وخارجه. وأما أكثر هذه الوسائل تأثراً فقد كانت الراديو، ثم الصحف، ثم التلفاز، ثم السينما، وأما أقل هذه الوسائل تأثراً فقد كانت مطالعة الشباب للكتب والمجلات.

الفصل الرابع

الإنترنت و التفاعل الاجتماعي

مقدمة

مفهوم التفاعل الاجتماعي ومستوياته

الانترنت والتفاعل الأسري

الانترنت والعلاقات القرابية

الانترنت والتفاعل "عن بعد"

الخلاصة

الإنترنت والتفاعل الاجتماعي

مقدمة

يحتل التفاعل الاجتماعي (Social Interaction) بوصفه سلوكاً ظاهراً يمارسه الأفراد في موقف اجتماعي معين مكانةً بارزةً في الاتصال الوجاهي المباشر الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق. فهو لب العملية الاتصالية الوجاهية وجوهرها؛ به يستقيم الاتصال الوجاهي، وبدونه ينعدم؛ وهو الذي يحيل عملية الاتصال إلى عملية تواصل اجتماعي تتسم بالحيوية والديناميكية والانفتاح على الآخر، والديمومة، والاستمرارية. ومن هذا المنطلق، يولي علماء النفس الاجتماعي المعنيين بدراسته أهمية قصوى به إلى الحد الذي جعلوه أساس العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وعصب العملية الاتصالية وجوهرها. (Johnson, A, 1996).

مفهوم التفاعل الاجتماعي ومستوياته

يشير التفاعل الاجتماعي إلى تلك العمليات الإدراكية والمشاعرية والسلوكية التي تتم بين الأطراف المتصلة، بحيث تتبادل هذه الأطراف رسائل كثيرة فيما بينها في موقف اجتماعي محدد زمانياً ومكانياً، ويكون سلوك كل طرف منها منبهاً لسلوك الطرف الآخر.

وتتبادل أطراف هذه العملية الرسائل الاتصالية فيما بينها إما عن طريق اللغة اللفظية (اتصال لفظي) وإما عن طريق اللغة غير اللفظية / اتصال غير لفظي (مثل تعبيرات الوجه والإيماءات وحركات الجسد والوقفة..إلخ) من أجل تحقيق هدف أو أهداف معينة. ويتخذ هذا التبادل في الرسائل أشكالاً ومظاهر مختلفة (كالتعاون أو الصراع أو التنافس أو التكيف أو الملاءمة)، تعكس ثقافة الفرد وتجربته الشخصية واتجاهاته وقيمه، كما تعكس في الوقت نفسه ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه هذه الأطراف المتصلة، وطبيعة الموقف الذي يضم اطراف العملية التفاعلية.

وينطوي التفاعل الاجتماعي على مستويات مختلفة من حيث التأثير المتبادل بين الأطراف المتفاعلة وهي: (فؤاد السيد وسعد عبد الرحمن، 1999):

1- مستوى العلاقات اللاتبادلية: في هذا النوع من العلاقات لا يتزامن وجود الأفراد معاً في موقف اتصالي محدد الزمان والمكان، وهذا يعني ان الفرد (أ)، على سبيل المثال، لا يتزامن وجوده مع وجود الفرد (ب) فلا يؤثر فيه ولا يتأثر به في هذه الحالة؛ وكذلك الحال بالنسبة للفرد (ب). إن عدم تزامن هذين الفردين معاً لا يفضي إلى وجود تفاعل اجتماعي حقيقي بينهما، ومع ذلك قد توجد لدى أحدهما معلومات وبيانات عن الآخر. فإذا ما طلب من أحدهما أن يحكم على سلوك الآخر بناءً على هذه البيانات، فإن أحكامه عليه ستتأثر بهذه المعلومات. ومثال ذلك هو ما يصدر عن بعض الأفراد من أحكام على أشخاص من خلال ما يعرض عليهم من صور لهم في مواقف اجتماعية دون أن يكونوا ماثلين أمامهم.

2- مستوى العلاقات ذات الاتجاه الواحد: في هذا المستوى من مستويات العلاقات الاجتماعية التفاعلية لا يتزامن وجود الفردين في موقف اجتماعي يضمهما معاً. ومع ذلك يتأثر أحدهما بسلوك الآخر كما في حالة تأثر أحد الأفراد بقارئ القرآن في التلفزيون أو بأغنية ما لأحد المغنيين الذين يحبهم.

3- مستوى العلاقات شبه التبادلية. يتزامن في هذا المستوى من العلاقات الاجتماعية وجود الفردين معاً، مما ينجم عنه تفاعل بينهما، ولكنه تفاعل نمطي يتم وفق خطة مرسومة أو مكتوبة مثل ما يتم في حالة التمثيل المسرحي حيث يقوم الممثل بتأدية أدواره على المسرح، ويتفاعل معها وذلك وفقاً لنصٍّ مكتوب له.

4- مستوى العلاقات المتوازية : في هذا المستوى من العلاقات التفاعلية بين الافراد نجد في الحقيقة طرفي عملية التفاعل يتواجدان معاً في موقف واحد، ويتحادث كل منهما مع الآخر، ولكن دون أن يستمع أو يصغي أحدهما بشكل مركز لما يقوله الآخر، كما هو الحال في حديث بعض الامهات عن نجاح أحد ابنائها وتفوقه في تحصيله الدراسي؛ حيث تستأثر هذه الام بالحديث عن إبنها دون انقطاع ودون أن تترك الفرصة لزميلتها المستمعة لإبداء رأيها، او حتى تكترث لتعليقاتها وملاحظاتها على ما تسمعه منها حول ابنها.

5- مستوى العلاقات المتبادلة غير المتناسقة: في هذا النوع من العلاقات يتواجد أطراف العملية الاتصالية التفاعلية في موقف واحد يجمعهما معاً، وذلك كما

يحدث في حالات المقابلات بين الأشخاص؛ حيث يتزامن هنا وجود أطراف المقابلة في موقف معين؛ ففي هذه الحالة، تعتمد استجابات الشخص الذي تتم مقابلته على أسئلة المقابل. صحيح ان هناك علاقات تبادلية بينهما في هذه الحالة ولكنها غير متناسقة وتكاد تكون احادية الطرف.

6- مستوى العلاقات المتبادلة: وهنا تصل علاقات التفاعل الاجتماعي إلى صورتها الاجتماعية الصحيحة؛ حيث يتزامن في هذا المستوى من مستويات العلاقات التبادلية وجود طرفي / أطراف العملية الاتصالية التفاعلية معاً في موقف اجتماعي يسمح لهم بتبادل التأثير فيما بينهم، أي أن كل طرف يتأثر منهم بالآخر ويؤثر به في الوقت نفسه، كالتفاعل الذي يتم داخل الاسرة حول موضوع ما من الموضوعات التي تهمهم جميعاً دون أن يستأثر احدهم بالحديث ودون ان يستبد برأيه او يفرضه عليهم، بل يستمع اليهم ويستمعون إليه في جو تفاعلي.

ويقسم علماء النفس الاجتماعي هذا المستوى التبادلي من العلاقات إلى ثلاثة أنواع حسب عدد المشاركين فيه وهي:

أ. العلاقات المتبادلة بين فردين يتزامن وجودهما في موقف واحد بحيث يؤثر كل منهما بالآخر ويتأثر به، كما في حالة التفاعل الوجاهي بين الزوج وزوجته أو الإبن وأبيه أو الطبيب والمريض... إلخ.

ب. العلاقات المتبادلة بين فرد وجماعة: وفيه يختلف دور الفرد في التأثير في الجماعة وفي تأثره بها، وذلك تبعاً لكونه عضوٌ فيها أو غير عضو. أي هل ينتمي الفرد إلى هذه الجماعة؟ وهل يعتبرها جماعة مرجعية له (Reference group)؟ أم هل هو مجرد عضو فيها فقط (Group member)؟ إن تأثير الفرد في هذه الجماعة وتأثره بها إنما يعزى هنا إلى نوع الجماعة التي ينتمي إليها.

ج. العلاقات المتبادلة بين جماعتين: وهنا يكون لحجم الجماعة (صغير، ام متوسط، ام كبير) دور في مدى التفاعل وشدته بين أفرادها. فكلما قل عدد افراد جماعة ما زاد التفاعل بينهم وزاد تمثلهم لقيمها وعاداتها، وكلما زاد عدد أفراد جماعة ما وقل التجانس الثقافي بين أفرادها قل امتثالهم لقواعدها و انصياعهم لقيمها وثقافتها.

ومع أن هذا الفصل، في الواقع، غير معني بشكل تفصيلي بتحليل لطبيعة عملية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات الصغيرة أو الكبيرة، ولا بتوضيح الوسائط اللغوية وغير اللغوية المستخدمة في هذه العملية، ولا النظريات المفسّرة لها أيضاً. إنه معني بشكل رئيسي بتوضيح قوة التأثيرات التي تركتها اتصالات الشباب عبر الانترنت على مستويين من مستويات تفاعلاتهم الاجتماعية التبادلية وهما: مستوى الاسرة النووية (Nuclear Family)، ومستوى الاسرة الممتدة / العائلة (Extended Family).

فما مدى تأثير استعمالات الشباب للإنترنت على هذين المستويين من مستويات العلاقات الاجتماعية التبادلية؟ لقد حاولنا معرفة مثل هذه التأثيرات، في الحقيقة، من خلال تحديد ما طرأ على مظاهر التفاعل الاجتماعي التبادلي في هذه الوحدات الاجتماعية (الأسرة والعائلة) من تغيّر تمثّل في الجلسات والحوارات الأسرية، وعدد الزيارات العائلية، والمساهمة في النشاطات والمناسبات الأسرية والعائلية، وتراسل الشباب مع أقاربهم وأفراد أسرهم البعيدين عنهم بواسطة البريد الإلكتروني (E-mail)، لإبقاء خيوط التفاعل والتواصل مفتوحة وقائمة بينهم. وسنقوم برصد إجابات الشباب على كل سؤال من الأسئلة.

السؤال: أشعر بأن تفاعلي وجلوسي ومحادثتي مع أفراد أسرتي بدأ يقل عمّا كان عليه قبل استخدامي للإنترنت.

تشير إجابات الشباب على هذا السؤال إلى وجود خلخلة أحدثها الانترنت في تفاعلهم اليومي الذي اعتادوا عليه منذ فترة طويلة في حياتهم؛ إذ اتضح أن أكثر من نصف أفراد العينة، أي ما نسبته (54%) كانوا قد شعروا بأن تفاعلهم المعتاد مع أسرهم لم يعد كما كان عليه قبل أن يستخدموا الإنترنت؛ إذ لم يعودوا يجلسون مع هذه الأسر ويتبادلون أطراف الحديث معها في الشؤون الأسرية الخاصة والعامة كما كانوا يفعلون من قبل؛ لقد أبعدهم الإنترنت عن ذلك.

المتغيرات النوعية:

لقد أجاب ما نسبته (27.6%) من الذكور، وأجابت ما نسبته (26.4%) من الإناث بأنهم لم يعودوا يجلسون جلسات أسرية كالمعتاد ويناقشون مع أسرهم في موضوعات عامة كما كان عليه الحال قبل أن يتعلموا استخدام الإنترنت (انظر الجدول رقم 23).

أشعر بأن تفاعلي وجلوسي ومحادثتي مع أفراد أسرتي بدأ يقل عمّا كان عليه قبل استخدامي للإنترنت.

درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		لم يجب		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	34	7.2	96	20.4	98	20.8	30	6.4	–	–	258	54.8
الإناث	38	8.1	86	18.3	55	11.7	34	7.2	–	–	213	45.2
المجموع الكلي	72	15.3	182	38.7	153	32.5	64	13.6	–	–	471	100

ولكن اللافت للنظر هنا أن نسبة الشباب الذكور الذين لم يؤثر استعمالهم للإنترنت على علاقاتهم الأسرية وهي (27.2%)، كانت أعلى من نسبة الإناث؛

حيث كانت نسبة الإناث في هذه الحالة هي (18.9%). ولعل سبب ذلك هو أن الفتيات لا يشاركن عادةً في الحوارات الأسرية داخل المنزل بالقدر الذي يشارك فيه الذكور. فارتفاع نسبة إجابات الشباب على هذا السؤال بهذه الطريقة هنا وتدني نسبة إجابات الإناث على السؤال نفسه إنما يعكس المكانة الاجتماعية لكل منهما داخل الأسرة. فمكانة المرأة كما جاءت في إجابتهن على هذا السؤال تعكس وضعها المتدني نسبياً داخل الأسرة؛ فهي في الأصل لا تشارك في النقاشات والحوارات بالقدر الذي يشارك فيه الذكور. لذا لم تشعر بتغير في تفاعلها وجلوسها وحواراتها الأسرية.

وأما فيما يتعلق بتوزيع المستويات التعليمية والأوضاع الاجتماعية والفئات العمرية، للشباب ممن أجاب على هذا السؤال فقد تبين أن أكثر فئة عمرية كان الانترنت قد أثر على تفاعلها مع أسرها، كانت فئة الشباب الذين تراوحت أعمارهم ما بين (20–23) سنة، ثم الشباب ما بين (26–29) سنة؛ حيث بلغت النسبة المئوية لكل فئة عمرية منهما على التوالي (11.1%) ثم (9.5%).

وكما تبين أيضاً، فإن الشباب الجامعي ثم الشباب في المرحلة الثانوية، هما أكثر الفئات الشبابية التي أضر استخدامها للإنترنت بعلاقاتها وتفاعلاتها الأسرية. فهناك ما نسبته (25.3%) من الشباب الجامعي أجابوا بأن علاقاتهم مع أسرتهم لم تعد كما كانت عليه قبل استخدامهم للإنترنت.

وأما فيما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية لهؤلاء الشباب، فإن العزاب منهم، ثم المتزوجين هم أكثر الفئات الشبابية التي قل تفاعلها وتواصلها مع أسرها بسبب استخدامهم للإنترنت؛ حيث بلغت نسبة الشباب العازب في هذه الحالة (32.4%)، ونسبة الشباب المتزوج (15.5%).

متغيرات العلاقة الأسرية:

تشير إجابات الشباب في هذا الصدد إلى أن الإنترنت كان قد ترك تأثيرات متفاوتة الشدة على الشباب؛ إذ تبين أن هذا التأثير كان قوياً بشكل لافت للنظر على أولئك الشباب الذين لا يوجد بينهم وبين أسرهم احترام متبادل، وكان ضعيفاً على من تربطهم بأسرهم علاقة مبنية على الاحترام والتقدير.

ويشير الجدول في هذا الخصوص، إلى أن (35.3%) من الشباب الذين يعتبرون علاقاتهم بأسرهم مبنية على الاحترام والتقدير المتبادل شعروا بأن استخدامهم للإنترنت قلّل من فرص جلوسهم وتفاعلهم وتبادلهم أطراف الحديث مع هذه الأسر، وشعر ما نسبته (2.4%) ممن وصفوا علاقتهم بأسرهم من حيث الاحترام والتقدير بأنها ضعيفة بتأثير الإنترنت عليهم. وهذه نتيجة متوقعة، فالعلاقة هنا بين الشباب وأسرهم ضعيفة، أي أن التفاعل بينهم غير موجود في الأصل، لذا لم يشعروا بأي تأثير للانترنت عليهم.

وهكذا يتضح من هذه الإجابات أنه كلما كانت العلاقة بين الشاب وأسرته "قوية" شعر بخلخلة قوية للإنترنت على نظامه التفاعلي والاتصالي المعتاد، وكلما كانت العلاقة ضعيفة بين الشاب وأسرته قل شعوره بذلك لأن التفاعل بينه وبينها "مقطوع" أو "ضعيف" في الأصل سواء استخدم الإنترنت أو لم يستخدمه.

ونجد تأكيداً لهذه النتيجة في إجابات الشباب على سؤال آخر يتعلق بمعرفة تأثير الإنترنت على الذين تعاملهم أسرهم معاملة "ديمقراطية" أو "صارمة"؛ إذ عكس الجدول في هذا الصدد نتائج لافتة للنظر. فالشاب الذي تعامله أسرته معاملة قوامها الديمقراطية والتفاهم والانفتاح على الآخر شعر أكثر من غيره بأن الإنترنت كان قد عمل على التقليل من جلوسه ومحادثته مع أسرته.

وأما الشاب الذي تعامله أسرته "بقسوة وصرامة"، فشعوره بتأثير الإنترنت عليه كان شعوراً ضعيفاً، لأن هذا الشاب في الحقيقة يتجنب الجلوس مع والديه خوفاً من زجرهم وتأنيبهم له؛ لذلك فهو لا يجلس كثيراً مع والديه، بل يؤثر الجلوس وحده داخل المنزل؛ لذا لم يشعر بأن استعماله للإنترنت عمل على تقليل فرص جلوسه مع أسرته وتبادل أطراف الحديث معها؛ إذ أجاب ما نسبته (5%) فقط من هؤلاء الشباب بأن استخدامهم للإنترنت قلل من تفاعلهم وجلوسهم مع أفراد أسرهم؛ في حين أجاب ما نسبته (13.5%) من هؤلاء الشباب الذي تعامله أسرته معاملة ديمقراطية و(18.4%) ممن تعامله أسرته بطريقة "عادية - متوسطة بأنهم شعروا بأن استعمالهم للإنترنت بشكل متزايد حرمهم من فرص الجلوس والتفاعل والاتصال مع أسرهم.

وفي هذا الصدد نجد تأكيداً آخر على هذه النتيجة في إجابات الشباب على سؤال آخر يتعلق بمشاركتهم في المناقشات والحوارات داخل أسرهم من جهة، ومدى شعورهم بأهمية آرائهم التي يبدونها في هذه الحوارات من جهة أخرى؛ إذ تبين أن الشباب الذين يناقشون أسرهم في الشؤون الأسرية والعامة بشكل "دائم" شعروا بتأثير الإنترنت عليهم أكثر من زملائهم الذين لا يشاركون في هذه النقاشات والحوارات؛ حيث كانت النسبة (26.2%) مقابل (3.6%). وأما الذين يشاركون أهلهم بشكل "متقطع – أحياناً" في هذه النقاشات والحوارات، فقد كانت أعلى بكثير من نسبة أولئك الذين يشاركون بشكل "نادر" يكاد يصل حد الانقطاع عن هذه المناقشات، إذ بلغت النسبة هنا (19%) مقابل (5.2%).

وأما فيما يتعلق بإجابات الشباب على السؤال الثاني المتعلق بتوضيح تكرارات من شعر منهم بوزن واحترام لرأيه في هذه النقاشات، ومن لم يشعر بذلك، فقد أجاب ما نسبته (21.2%) بأنهم كانوا "دائماً" يشعرون بأن لآرائهم وزناً في هذه النقاشات، وأجاب ما نسبته (20.6%) بأنهم شعروا بأن أسرهم تأخذ "أحياناً" بآرائهم. في حين لم يجب سوى (5.7%) منهم بأن أسرهم لا تأخذ بآرائهم ولا تقيم لها وزناً إلا "نادراً". وأجاب ما نسبته (5.5%) منهم بأن أسرهم لا تأخذ "أبداً" بهذه الآراء. وهذا يعني أنه كلما شعر الشاب بأن رأيه لا يؤخذ به قلت فرص تفاعله وجلوسه داخل الأسرة، إذ لا مبرر لهذا الجلوس حسب ما يشعر او يعتقد. والعكس صحيح؛ كلما كان لرأي الشاب وزناً داخل الأسرة شعر بأن الإنترنت باعد بينه وبين أسرته.

الاتصال عبر الانترنت وانعكاساته على العلاقات القرابية

السؤال: أشعر بأن زياراتي لأقاربي بدأت تقل عما كانت عليه في السابق بسبب انشغالي عنهم بالإنترنت:

يشير الجدول (رقم 24) المعني بمعرفة تأثير الإنترنت على زيارات الشباب لأقاربهم، إلى تراجع في عدد هذه الزيارات. فقد شغلهم هذا الاستعمال، على ما يبدو، عن مثل هذه الزيارات التي كانوا قد اعتادوا عليها قبل تعلمهم على الإنترنت؛ حيث لم يعد لدى ما نسبته منهم (44.7%) الوقت الكافي لممارسة هذه العادة الاجتماعية المألوفة في مجتمعهم.

ومع ذلك فإن النسبة الأكبر من هؤلاء الشباب لم يشغلهم تعلمهم للإنترنت عن القيام بواجبهم الاجتماعي المتمثل بزيارات الأقارب؛ حيث بلغت نسبتهم (55.4%). صحيح أن هذه النسبة مرتفعة، إلا أن النسبة السابقة (44.7%) هي الأخرى مرتفعة نسبياً، وتعتبر مؤشراً على قدرة الانترنت على خلخلة تفاعل الشباب الاجتماعي مع وأقاربهم المتمثل بالزيارات العائلية والأسرية.

أشعر بأن زياراتي لأقاربي بدأت تقل عما كانت عليه في السابق بسبب انشغالي عنهم بالإنترنت										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	38	8.1	80	17	105	22.3	35	7.4	258	54.8
الإناث	30	6.4	62	13.2	75	15.9	46	9.8	213	45.2
المجموع الكلي	68	14.5	142	30.2	180	38.2	81	17.2	471	100

المتغيرات النوعية:

وبالعودة إلى الجدول أعلاه المعني بتحديد جنس الشباب الذين تراجعت زياراتهم لأقاربهم أكثر من غيرهم بسبب انشغالهم عنهم باستخدام الإنترنت، فقد

أجاب ما نسبته (25.1%) من الذكور أن هذا الانشغال قد سبب لهم تراجعاً في زياراتهم لأقاربهم، وأجابت ما نسبته (19.6%) من الإناث الإجابة نفسها.

وأما النسبة العالية منهم فلم تتراجع زياراتهم لأقاربهم؛ حيث أجاب (29.7%) من الذكور بأن انشغالهم بالإنترنت لم يؤثر على ما اعتادوا عليه من القيام بزيارات لأقاربهم؛ وأما نسبة من أجاب الإجابة ذاتها من الإناث فقد كانت (25.7%).

وأما فيما يتعلق بأعمار هؤلاء الشباب فإن الجدول المعني بذلك يوضح أن الذين تراوحت أعمارهم ما بين (20–23) سنة هم أكثر الفئات الشبابية التي قلت زياراتها لأقاربها. حيث كانت نسبتهم (12.9%)، ثم تراجعت كذلك زيارات الفئة العمرية من الشباب الذين تراوحت اعمارهم ما بين (26–29) سنة، حيث شعر بهذا الشعور ما نسبته (8.3%). وأما الفئة الثالثة من الشباب التي تأثرت زياراتها لأقاربها بسبب انشغالها بالإنترنت فهي الفئة العمرية المحصور عمر الشباب فيها ما بين (29–32) سنة، حيث شعرت ما نسبته (7%) من هذه الفئة بأن زياراتها لأقاربها اعتراها بعض التقصير والتراجع.

وعلى ما يبدو من نتائج الجداول المتعلقة برصد متغيرات المستوى التعليمي، فإن الشباب الجامعي والشباب ممن هم في المستوى التعليمي الثانوي كانوا أكثر الشباب الذين أثر الإنترنت على زياراتهم لأقاربهم؛ حيث بلغت نسبة من شعر منهم بهذا الشعور ممن هم في المستوى التعليمي الجامعي (20.3%)، وبلغت نسبة الشباب ممن هم في المستوى التعليمي الثانوي (16.6%).

متغيرات العلاقة الأسرية:

لقد تم وضع سؤالين هنا لمعرفة مدى انعكاس استعمال الشباب للإنترنت وانشغالهم به على الزيارات التي يقوموا بها لأقاربهم. ففيما يتعلق بالسؤال الأول وهو: **كيف تصف علاقتك بأقاربك من حيث قوة التفاعل أو ضعفه بينك وبينهم قبل استخدامك للإنترنت؟** اتضح أن الشباب الذين كانت تربطهم علاقات تفاعلية قوية بأقاربهم لم يؤثر استعمالهم للإنترنت على زياراتهم لهم؛ إذ أجاب ما نسبته (33.1%) منهم بأن هذا الاستعمال لم يشغلهم عن القيام بهذه الزيارات.

وأما من وصف تفاعله بأقاربه بأنه "متوسط" القوة فقد تعادلت نسبة من لم يؤثر انشغالهم بالإنترنت مع نسبة من شعر بذلك؛ حيث كانت هذه النسبة (17.2%) مقابل (17.3%).

وأما فيما يتعلق بالسؤال الثاني وهو: **هل كنت تقوم بزيارات لأقاربك قبل استخدامك للإنترنت بشكل "دائم" أو "متقطع" أو لا تقوم بزيارتهم؟** فقد بلغت نسبة من كان يزورهم بشكل "دائم" ومع ذلك لم يشغله الإنترنت عن هذه الزيارات (24.9%).

وأما من كانت زياراتهم لأقاربهم "متقطعة"، فإن نسبة من لم يؤثر الإنترنت على زياراتهم فقد بلغت (28.1%)، ونسبة من تأثرت في هذه الحالة (23.5%). وتفسير ذلك أن من كانت زياراتهم لأقاربهم "متقطعة" في الأصل لم يشعروا بأي تغير، وهذا ما يفسر ارتفاع هذه النسبة هنا.

ويمكن أن نخلص هنا إلى نتيجة مفادها أن انشغال الشباب بالإنترنت لم يؤد إلى خلخلة جوهرية وعميقة في طبيعة الزيارات التي يقومون بها لأقاربهم. ومع ذلك لابد أن ننتبه إلى التغيير الملموس الذي تركه الإنترنت في هذا الاتجاه، كما رأينا ذلك في الارتفاع النسبي لنسب الشباب الذين بدأت زياراتهم لأقاربهم بالتراجع على الرغم من القوة النسبية التي كانت تتحلى بها، قبل تعودهم على استخدام الإنترنت. كما أوضح الجدولات (14 و 15) من الفصل الثالث.

السؤال: أشعر بأن نشاطاتي ومساهماتي في المناسبات الأسرية والعائلية والاجتماعية بدأت تتراجع منذ بدأت أستخدم الانترنت:

لم تكن زيارات الشباب لأقاربهم هي وحدها التي تأثرت بسبب انشغالهم بالانترنت، بل نشاطاتهم، ومساهماتهم في المناسبات العائلية أيضاً كحضور حفلات الزواج، والعزاء، والعودة من الحج، وميلاد طفل جديد للاسرة والنجاح في الثانوية العامة او الجامعة... إلخ).

إذ يوضح الجدول (رقم 25) المعني بتحديد هذا التراجع بأن هناك ما نسبته (43.9%) من الشباب من كلا الجنسين شعروا بأن مساهماتهم ونشاطاتهم في المناسبات الأسرية والعائلية قد بدأت بالتراجع منذ بدوأ باستخدام الإنترنت.

وتتسق هذه النتيجة مع نتائج الجدول رقم (15) المشار إليه في الفصل الثالث، حيث أجاب ما نسبته (51.5%) من هؤلاء الشباب أن زياراتهم لأقاربهم وأفراد أسرتهم باتت "متقطعة"، ولم تعد كما كانت عليه قبل هذا الاستعمال.

أشعر بأن مساهماتي ونشاطاتي في المناسبات الأسرية والعائلية بدأت تتراجع منذ بدأت استخدم الإنترنت										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	58	12.3	62	13.2	93	19.7	45	9.6	258	54.8
الإناث	27	5.7	60	12.7	76	16.1	50	10.6	213	45.2
المجموع الكلي	85	18	122	25.9	169	35.8	95	20.2	471	100

المتغيرات النوعية

وحين حاولنا معرفة أي من الجنسين تراجعت مساهماته ونشاطاته الأسرية أكثر من غيره بسبب انشغاله بالإنترنت، تبين أن تراجع نشاطات الشباب الذكور كان أكثر من تراجع نشاطات الإناث؛ إذ شعر ما نسبته (25.5%) من الشباب الذكور بهذا التراجع، مقابل شعور ما نسبته (18.4%) من الإناث. وأما نسبة الذكور ممن لم يشغلهم انهماكهم في الإنترنت عن مساهماتهم ونشاطاتهم العائلية والأسرية فقد كانت (29.3%)، ونسبة مثيلتها عند الإناث فقد كانت (26.7%).

وأما فيما يتعلق بأعمار الشباب الذين أثر استخدام الإنترنت على مساهماتهم ونشاطاتهم في المناسبات الاجتماعية والأسرية، فقد بين الجدول المخصص لذلك، أن الشباب الذين وقعت اعمارهم في الفئة العمرية المحصورة بين (20–23) سنة هم أكثر الشباب الذين تراجعت مساهماتهم ونشاطاتهم في هذه المناسبات؛ إذ أجاب ما نسبته (13.6%) منهم بأن مساهماتهم الأسرية والاجتماعية بدأت تتراجع منذ بدأوا يستعملون الإنترنت، وكذلك أجاب ما نسبته (7.2%) من الشباب في الفئة العمرية المحصورة ما بين (26–29) سنة. وأما الشباب الواقع عمرهم في الفئة

العمرية المحصورة بين (23-26) سنة فقد أجاب منهم ما نسبته (7.9%) بأن الإنترنت بدأ يشغلهم عن زياراتهم لأقاربهم.

وأما النسب المئوية للفئات العمرية السابقة التي لم يؤثر انشغالها بالإنترنت على مساهماتها الأسرية والعائلية والاجتماعية فهي الفئات المحصورة ما بين (20-23) و(26-29) و(17-20) سنة، حيث كانت النسب المئوية لكل فئة عمرية هي كما يلي على التوالي: (14.2%) و(11.7%) و(10%).

وأما فيما يتعلق بالوضع الاجتماعي لهؤلاء الشباب فقد اتضح أن الشباب العازب هم أكثر الفئات الشبابية التي أثر الإنترنت على مدى مساهماتها في المناسبات العائلية؛ حيث كانت نسبتها المئوية هي (25.6%)، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالفئة الاجتماعية المتزوجة من أفراد العينة، فهي ثاني أعلى الفئات التي لم يؤثر استخدامها للإنترنت على نشاطاتها في المناسبات العائلية؛ حيث أجاب ما نسبته (17.9%) منهم أن نشاطاتهم العائلية لم تهتز بسبب انشغالها بالإنترنت.

متغيرات العلاقة الأسرية:

تشير الجداول إلى أن النسبة الأعلى من إجابات الشباب ممن كانت تربطهم علاقات "قوية" مع عائلاتهم وأسرهم قبل تعودهم على الإنترنت تميل لصالح أولئك الذين لم يشغلهم الإنترنت عن المساهمة في النشاطات الأسرية والعائلية والاجتماعية؛ حيث أجاب ما نسبته (34.1%) من هؤلاء الشباب أن مساهماتهم ومشاركاتهم لأقاربهم وأصدقائهم ومعارفهم في أفراحهم وأتراحهم ومناسباتهم الاجتماعية المتعددة لم يعتريها تغيير يُذكر بسبب استعمالاتهم للإنترنت.

وأما من كانت تربطهم بأقاربهم علاقات "متوسطة" القوة قبل استخدامهم للإنترنت فقد كانت نسبة من لم يؤثر هذا الاستخدام على نشاطاتهم ومساهماتهم في المناسبات العائلية هي (16.3%)، في حين أجاب (18.5%) من هؤلاء الشباب بأن مساهماتهم الأسرية بدأت بالتراجع.

ومما يؤكد النتيجة المتعلقة بعدم تأثير الإنترنت بشكل جوهري على علاقات الشباب الذين تربطهم علاقة قوية مع أسرهم هو إجاباتهم عن السؤال التالي المتعلق

بمعرفة تأثيرات الإنترنت على هذه العلاقات وهو: **كيف كانت زياراتك لأقاربك قبل تعودك على الإنترنت؟** وهنا أجاب ما نسبته (23.1%) ممن كانوا يزورون أقاربهم بشكل دائم قبل تعودهم على الإنترنت، بأن مساهماتهم العائلية لم تتأثر بعد استخدامهم للإنترنت. وأما من تأثرت مساهماتهم بسبب الإنترنت فقد كانت نسبتهم (16.1%)؛ في حين أن النسبة الأكبر ممن لم تتأثر مساهماتها العائلية بعد استخدامها للإنترنت هي فئة الشباب الذين كانت زياراتهم لأقاربهم "متقطعة"؛ حيث أجاب ما نسبته (29.1%) منهم بأنهم لم يشعروا بهذا التغيّر في المساهمات؛ وأما من شعر به منهم فقد كانت نسبتهم (22.7%).

الاتصال عبر الإنترنت والتفاعل "عن بعد" مع أفراد الأسرة

السؤال: منذ تعلمت استخدام البريد الإلكتروني والتحادث عبر الإنترنت بدأت أشعر بأنني قريب من أفراد أسرتي وأقاربي البعيدين عني في الخارج.

تجسد الدور الفاعل للانترنت في حياة الشباب الاجتماعية بشكل واضح في إجاباتهم على السؤال المتعلق بمدى مساهمته في ربطهم بأقاربهم وأفراد أسرهم البعيدين عنهم؛ إذ عمل الإنترنت على اختزال المسافة الجغرافية وتقليصها بينهم. فقد أجاب (316) شاباً وشابة، أي ما نسبته (67.1%) منهم بأنهم شعروا بأن الإنترنت ساعدهم في الاتصال بأقاربهم وأفراد أسرتهم البعيدين عنهم مما حسّسهم بالقرب النفسي منهم على الرغم من البعد المكاني الذي يفصلهم عنهم. وأما نسبة من لم يحس بهذا الإحساس فلم تزد عن (33%)، أي (155) شاباً وشابة فقط. (انظر الجدول رقم 26).

منذ تعلمت استخدام البريد الإلكتروني والتحادث عبر الإنترنت بدأت أشعر بأنني قريب من أفراد أسرتي وأقاربي البعيدين عني في الخارج.										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	92	19.5	98	20.8	46	9.8	22	4.7	258	54.8
الإناث	61	13.0	65	13.8	47	10.0	40	8.5	213	45.2
المجموع الكلي	153	32.5	163	34.6	93	19.8	62	13.2	471	100

المتغيرات النوعية:

استفاد كلا الجنسين من الشباب من هذه الوسيلة الاتصالية في تقليص المسافات بينهم وبين أسرهم ومعارفهم، وإن كانت هذه الفائدة أوضح بين الشباب الذكور منها بين الشابات الإناث؛ حيث أجاب (40.3%) من الذكور بأنهم شعروا بالقرب النفسي والجغرافي بينهم وبين البعدين عنهم من أفراد أسرهم من خلال تحادثهم معهم عبر الإنترنت، في حين شعرت ما نسبته (26.8%) فقط من الإناث بهذا الشعور. وأما نسبة من لم يشعروا بهذا الشعور ولم يستمتعوا بهذه الفائدة من الإناث فقد كانت (18.5%)، مقابل ما نسبته (14.5%) من الذكور.

وأما فيما يتعلق بأعمار هؤلاء الشباب، فإن النسبة الأكبر منهم ممن استثمروا الإنترنت للتواصل مع أقاربهم وأفراد أسرهم البعيدين عنهم فقد تبين أنهم من الفئة الشبابية التي تراوحت أعمارها بين (20–23) سنة، حيث كانت نسبة هؤلاء الشباب (20.2%). ومع ذلك، فإن الشباب في المستويات العمرية الأخرى كانوا قد استفادوا أيضاً من هذه الوسيلة الاتصالية في كسر حاجز الزمان والمكان؛ إذ أوضح الجدول، أن هؤلاء دون استثناء، قد أجابوا بأن الإنترنت أشعرهم بالقرب النفسي والعاطفي مع أقاربهم وذويهم كما لو كانوا معهم. وقد كانت النسب المئوية لمن شعر بهذا الشعور متقاربة جداً، مما يدل على أن فائدة الإنترنت في هذا المجال كانت عامة لدى الشباب جميعهم.

وكذلك الأمر فيما يتعلق بمستويات هؤلاء الشباب التعليمية. فباستثناء من لا يقرأ ولا يكتب منهم، وباستثناء من هو ذو مستوى تعليمي ابتدائي، فإن الشباب الآخرين من المستويات التعليمية الأخرى جميعهم، قد استفادوا من هذه الوسيلة الاتصالية وبخاصة أولئك الذين هم في المستويين الجامعي (34.5%) والثانوي (22.1%).

وأما فيما يتعلق بأوضاع هؤلاء الشباب الاجتماعية، فيبدو من الجدول، أن نسبة العزاب ممن استفادوا من هذه الخدمة الاتصالية كانت الأعلى من بين جميع النسب الأخرى، إذ بلغت هنا (39.6%)، تلتها فئة المتزوجين؛ حيث كانت نسبتهم (19.1%). وأما نسبة من لا يزال في مرحلة الخطوبة فقد كانت (6%).

متغيرات العلاقة الأسرية:

وعلى ما يبدو من جداول المتغيرات الأسرية فإن الشباب الأكثر تواصلاً مع ذويهم وأهاليهم والأكثر استعمالاً للإنترنت من أجل التحادث معهم هم الذين يشعرون أصلاً بقوة العلاقة العاطفية مع أسرهم، وتجمعهم معها علاقات قائمة على الاحترام والتفاعل الإيجابي؛ حيث كانت نسبة هؤلاء الشباب (45.7%). وكذلك نسبة من تربطهم بأهلهم علاقات "متوسطة" القوة من حيث الاحترام والتقدير والتفاهم؛ إذ أجاب منهم ما نسبته (17.6%). وهاتان النسبتان توضحان مدى انعكاس قوة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة على تفاعل أبنائها؛ حتى لو كانوا بعدين عن بعضهم. وهذا ما أوضحته دراسة أندرسون ورفاقه في هذا الصدد (Anderson, R, etal, 1995).

الخلاصة

أحدث الاتصال عبر الإنترنت تغيّراً ملموساً في طبيعة التفاعل الأسري والعائلي تبدّى في تراجع في مقدار الوقت الذي يقضيه الشباب في الجلوس والتحادث مع أسرهم، من جهة، وفي تراجع عدد الزيارات التي ألفوا القيام بها لأقاربهم قبل تعودهم على استخدام الإنترنت من جهة أخرى. كما ظهر هذا التغيير أيضاً في تراجع مساهمات الشباب ونشاطاتهم ومشاركاتهم في المناسبات الأسرية والعائلية.

ومع ذلك، فإنه في الوقت الذي وجدنا الإنترنت باعد بين الشباب وأسرهم وأقاربهم القريبين منهم والذين يعيشون معهم في نفس المجتمع، نجده يعمل في الوقت نفسه على تقريب البعدين. فقد استطاع الإنترنت أن يختزل المسافات الجغرافية ليقارب بين الشباب وأفراد أسرهم وعائلاتهم الذين يعيشون خارج الوطن عن طريق التراسل عبر البريد الإلكتروني. وبذا يكون الانترنت قد عمل على تفاعل الشباب" عند بعد" مع بعضهم البعض.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات الاجتماعية التي تناولت تأثيرات الانترنت على العلاقات الاجتماعية. فقد توصل الباحثون في هذا الصدد الى وجود تراجع ملحوظ في علاقات الشباب الاجتماعية في المجتمع الامريكي من حيث انخراطهم في الحياة المدنية (Civic Engagement)، وفي مساهماتهم ومشاركاتهم في الحياة الاجتماعية (Social Participation)، وفي زياراتهم لاقاربهم. (Stoll, C, 1995, Putnam, R, 2000, Kraut, etal, 1998).

واما فيما يتعلق بتأثير الانترنت على تقريب المسافات الجغرافية بين الافراد، فقد توصلت الدراسة الحالية الى النتيجة نفسها التي توصلت اليها الدراسات السابقة. اذ اتضح من هذه الدراسات مدى الدور الايجابي الذي يقوم به الانترنت في تقليص المسافات بين الافراد، وتحطيم الجغرافيا مما ينعكس إيجابياً على تدعيم الإحساس العاطفي والمشاعري بينهم.

الفصل الخامس

الاتصال عبر الإنترنت: الأبعاد النفسية

مقدمة

الإنترنت والثقة بالنفس

الإنترنت وحل المشكلات النفسية

الإنترنت وعملية الإفصاح عن الذات

الخلاصة

الاتصال عبر الإنترنت: الأبعاد النفسية

مقدمة

يعتبر الدور الذي يقوم به الإنترنت في عملية بناء الفرد لذاته[1] وتشكيلها (Self - Formation) في المجتمعات الحديثة، التي زاد الاعتماد فيها على استخدام الإنترنت بشكل غير مسبوق، من أكثر الموضوعات التي تثير حيرة الباحثين الاجتماعيين والنفسيين وإرباكهم. فهم وإن كانوا متيقّنين وواثقين من أن المعرفة التي يكتسبها الفرد من الإنترنت في هذه المجتمعات تحدث تغييراً جوهرياً في بنائه لذاته، وتثري خبرته في الحياة الاجتماعية، وتزيد من ثقته بنفسه أمام الآخرين، إلا أنهم لم يتوصلوا بشكل دقيق بعد إلى الطريقة التي يعمل بها الإنترنت في عملية هذا التشكيل والبناء. وفي الحقيقة، لقد أتاح الإنترنت للفرد في مجتمعات الحداثة وما بعدها، فرصةً لم تكن متاحة أمامهم من قبل بهذا الشكل للقيام بعملية بنائه لذاته وتشكّيلها، وبخاصة في ظل تراجع المؤسسات الاجتماعية الأخرى عن القيام بهذا الدور. (Slevin, J, 2000).

ومن أكثر القضايا الإشكالية في هذا الخصوص، قضية ارتباط بناء الذات من خلال الإنترنت، بالرضا عن النفس وزيادة الثقة بها. فكيف يعمل الإنترنت على تعزيز ثقة الفرد بنفسه؟ وكيف يعمل على إشباع رضاه عنها؟ أسئلة لا يملك الباحثون إلى الآن إجابات محددة عليها سوى تلك الإجابات المألوفة لديهم عن كيفية تحقيق وسائل الإعلام، بشكل عام، لهذه العملية باعتبار الإنترنت إحدى هذه الوسائل.

وفي هذا الصدد يرى هؤلاء الباحثون أن الشعور الذاتي بالرضا هو حالة وجدانية من المتعة والراحة يحصل عليها الفرد جراء تعرضه لوسيلة اتصال جماهيرية ما، يحاول المحافظة عليها لأطول وقت ممكن حتى بعد انتهاء الموقف

---

(1) تستخدم هذه الدراسة مفهوم الذات (Self) بالمعنى الذي يقصده علماء النفس الاجتماعي ، وبخاصة التفاعليون الرمزيون، فهي برأيهم: "تصور الشخص لنفسه ككل أو كوحدة". وهذا التصور للذات هو محصلة لتجارب الفرد وخبراته مع الآخرين، ولطريقة تصرّفهم نحوه، وللانطباعات التي يدركها من نظرتهم إليه. انظر في ذلك:

Franzoi, S, (2000) Social Psychology. Boston: McGraw Hill. Second edition.

الذي ولّدها. ولأن الرضا عن الذات، حالة تبعث على الإرتياح والمتعة، فإن الفـرد يميل دائماً نحو تنشيطها بأي منبه له علاقة بهـا. (Kim, M an Hunter, J, 1993). ولهذا، فإن أية معلومة أو معرفة يحصل عليها الفرد من وسـائل الاتـصال ويـتم إدراكها على أنها تفيده في تقديم ذاته للآخرين بأنه شـخص لـه اعتبـاره، فإنـه سيعتبرها معرفة قيمة، تعمل على بعث رضاه عن نفسه، وتزيد مـن ثقتـه بهـا. (المصدر السابق).

وعلى أية حال، ربما لا يتم اكتساب حالة الرضا عن الـنفس المتولّـدة مـن استعمال الفرد للإنترنت بهذه الطريقة أو بهذه السهولة، ومع ذلك فنحن مضطرون لقبول هذا التفسير حين نتعامل مع دور المعلومات التي يحصل عليها الفـرد مـن الإنترنت في انبثاق حالة من الرضا لديه عن ذاته، باعتبار الانترنت وسيلة اتصال جماهيرية، حتى تتبيّن لنا الأمور بصورة أوضح في السنوات القادمة.

إن هذا الفصل معنيُّ بشكل رئيسي بمعرفة دور المعلومات التي يحصل عليها الشباب من الانترنت في حياتهم، وذلك من خلال إجاباتهم على الأسئلة التالية:

- ما مدى انعكاس المعلومات والمعارف التي اكتسبها الشباب من الانترنت على ثقتهم بأنفسهم أمام أسرهم وعائلاتهم وأمام الاخرين؟
- هل عملت هذه المعلومات على خلق حالة من الرضا لـدى الـشباب عـن أنفسهم.
- هل وجد الشباب في الانترنت فرصة للتنفـيس عـن مـشكلاتهم النفـسية والعاطفية التي تؤلمهم؟

الإنترنت والثقة بالنفس

السؤال: أكسبتني المعلومات والمعارف التي كونتها واستفدتها من الإنترنت شعوراً خاصاً بأهميتي وزادت من ثقتي بنفسي أمام الآخرين:

إذا كانت فوائد استخدامات الشباب للإنترنت قد تجلت في تقليص المسافات الجغرافية بينهم وبين معارفهم وأفراد أسرهم، كما أوضحنا في الفصل السابق، فإنها قد أفصحت عن نفسها أيضاً بفائدة أخرى في مجال آخر مختلف عن المجالين السابقين، وهو إحساس الشباب بذواتهم وزيادة ثقتهم بأنفسهم؛ إذ أكسبتهم المعرفة التي جنوها من الإنترنت، والمعلومات التي حصلوا عليها جراء استخدامهم لهذه الوسيلة الاتصالية، شعوراً خاصاً بأهميتهم، وزادت من ثقتهم بأنفسهم أمام الآخرين الذين يتفاعلون معهم، سواء كانوا أصدقاءهم أو أسرهم أو أقاربهم. وهذا الإحساس النفسي كان عاماً لدى ما نسبته (71.1%) محن الشباب من كلا الجنسين، أي بين (335) شاباً وشابة. (انظر الجدول رقم 27).

أكسبتني المعلومات والمعارف التي كونتها واستفدتها من الإنترنت شعوراً خاصاً بأهميتي وزادت من ثقتي بنفسي أمام الآخرين.											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	94	20.0	100	21.2	51	10.8	13	2.8	258	54.8
الإناث	51	10.8	90	19.1	47	10.0	25	5.3	213	45.2
المجموع الكلي	145	30.8	190	40.3	98	20.8	38	8.1	471	100

المتغيرات الاجتماعية

لم يقتصر شعور الشباب بثقتهم بأنفسهم ورضاهم عنها، على الذكور وحدهم، بل كان سائداً بين الفتيات أيضاً ممن يستعملن هذه الوسيلة الاتصالية في تثقيف أنفسهن والبحث عن المعرفة التي من شأنها صقل تجربتهن التي ولّدت لديهن

هذا النوع من الشعور والإحساس. فقد أجاب ما نسبته(41.2%) من الذكور، و(29.9%) من الإناث بأن المعلومات التي استمدوها من الإنترنت أكسبتهم شعوراً خاصاً بأهميتهم، وزادتهم ثقة بأنفسهم أمام أسرهم ومعارفهم. وأما نسبة من لم تشعر بهذا الشعور من الإناث فلم تزد عن (15.3%)، ونسبة من لم يحس بهذا الإحساس من الشباب الذكور فلم تزد هي الأخرى عن (13.6%).

ولقد استفاد الشباب جميعهم من تلك المعلومات والمعارف التي حصلوا عليها من خلال الإنترنت في تدعيم ثقتهم بأنفسهم أمام الآخرين. وإذا ما نظرنا إلى الجدول الذي يرصد إجاباتهم عن هذا السؤال لتبين لنا مدى هذه الفائدة التي شعر بها هؤلاء الشباب من جميع الفئات العمرية. صحيح أن أعلى فئة عمرية استفادت منهم في استثمار هذه المعارف في تدعيم ثقتها بنفسها هي الفئة العمرية التي تراوحت أعمار الشباب فيها ما بين (20–23)، حيث كانت نسبتهم (21.2%)، ومع ذلك فإن الفائدة الرئيسية التي استفادتها الفئات الأخرى تبقى فائدة لافتة للنظر كما توضح إجاباتهم. فهناك ما نسبته (13.6%) من الشباب الذين تراوحت أعمارهم ما بين (26–29) سنة، وهناك ما نسبته (11%) من الشباب الذين انحصرت أعمارهم ما بين (26–32)، كان الإنترنت قد عمل على دعم ثقتهم بأنفسهم أمام الآخرين بسبب المعرفة والمعلومات التي اكتسبوها من هذه الوسيلة الاتصالية.

وكذلك فعلت هذه المعلومات المكتسبة من الانترنت الفعل نفسه لما نسبته (10.9%) لمن وقع عمره منهم ما بين (23–26) سنة، وقامت بفعل الشيء نفسه أيضاً لما نسبته (10.9%) ممن تراوحت أعمارهم بين (17–20) سنة. وأما من قلت أعمارهم عن (17) سنة فإن نسبة من استفاد منهم من هذه المعلومات في تعزيز ثقته بأنفسهم فقد كانت (3.9%).

وهكذا يتضح أن الإنترنت كوسيلة اتصال في المجتمع يمكن استثمارها والاستفادة منها ليس فقط في الحصول على معلومات ومعارف تغني البعد المعرفي في حياة هؤلاء الشباب فحسب، بل في تعزيز الجانب النفسي من حياتهم أيضاً. فهذه المعلومات والمعارف التي يزودهم بها الإنترنت تجعلهم يشعرون برضا وارتياح أمام الآخرين إذا ما سنحت لهم الفرصة لإبداء وجهات نظرهم في قضية ثقافية أو معرفية ذات صلة بهذه المعلومات والمعارف. وفي الحقيقة، فإن الإنترنت

إذا ما استطاع القيام بهذا الدور في حياة الشباب، فإنه سيصبح وسيطاً (Agent) فاعلاً من وسائط التنشئة الاجتماعية.

وأما فيما يتصل بالأوضاع الاجتماعية لهؤلاء الشباب فغالبيتهم لا يزال في مرحلتي العزوبية (42.5%)، والزواجية (21.2%)، وأما فيما يتعلق بمستواهم التعليمي فغالبيتهم أيضاً هم في المستوى التعليمي الجامعي (38.3)، ثم المستوى التعليمي الثانوي حيث كانت النسبة هنا (21.7%).

متغيرات العلاقة الأسرية

يشير جدول متغير العلاقة الاجتماعية المعني بإجابات الشباب عن السؤال الذي طلب منهم أن يصفوا أسلوب معاملة أهاليهم لهم من حيث الشدة والديمقراطية وكذلك الأساليب الأخرى في المعاملة (التقلب، واللين، والمعاملة الصارمة) إلى أن الشباب كلهم استفادوا من المعارف والمعلومات التي زودهم بها الإنترنت في تدعيم ثقتهم بأنفسهم أمام أسرهم وأمام الآخرين أيضاً.

ففيما يتعلق بالشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة تتسم بالديمقراطية، فقد أجاب ما نسبته (24%) منهم بأن المعلومات التي اكتسبوها من الإنترنت جعلتهم يشعرون بنوع من الرضا والارتياح والأهمية أمامها وأمام الآخرين أيضاً.

وربما يعود السبب في ارتفاع هذه النسبة مقارنة بالنسب الأخرى، هو أن الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية تقوم على احترام رأيهم، يتحمّسون لإبداء رأيهم المستند إلى المعلومات التي اكتسبوها من الإنترنت، لأنهم يشعرون بأنها لن تخذلهم أو تسخر منهم حتى لو كانت هذه الآراء غير صائبة، وذلك خلافاً للشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة تتسم بالقسوة والصرامة؛ إذ قد لا تسعفهم المعلومات التي اكتسبوها من الإنترنت في هذا الموقف، وهذا ما عكسته إجاباتهم؛ إذ لم يشعر منهم سوى ما نسبته (6.5%) بهذا الشعور أمام أسرهم المتسلطة، ولم تسعف هذه المعلومات منهم أيضاً سوى ما نسبته (7.9%) ممن تعاملهم أسرتهم معاملة تتسم باللين والتسيّب. وأما نسبة الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة "عادية" فقد كانت فائدة المعلومات لديهم في تدعيم ثقتهم بأنفسهم عالية تقارب في ارتفاعها

نسبة الشباب الذين نشأوا في جو أسري ديمقراطي. حيث بلغت نـــسبتهم (23.1%) وهذه النسب في الواقع تبين أن من ينشأ من الشباب في جو ديمقراطي أو قريب منه (عادي)، فإن هذا الجو سيساعدهم على إبداء آرائهم في القضايا والمسائل الأسرية المستندة إلى ما استفادوه من معلومات من الإنترنت. وفي هذه الحالـــة فـــإن هـــذه المعلومات التي حصلوا عليها من الإنترنت، إضافة إلى الجو الأسري المريح سيولد لديهم إحساساً بالرضا والارتياح والثقة بالنفس أمام الآخرين، خلافاً لبقية الـــشباب ممن تربى في أجواء أسرية مختلفة عن هذا الجو، فتلك الأجواء غير مساعدة لهـــم في تدعيم ثقتهم بأنفسهم في الأصل.

الإنترنت وحل المشكلات النفسية

***السؤال:* أجد في الإنترنت وسيلة مناسبة للتنفيس عما في داخلي من همـوم ومشاكل وإحباطات أسرية ومجتمعية:**

لم تقتصر فوائد الإنترنت في المجال النفسي – الثقافي على تدعيم ثقة الشباب بأنفسهم ورضاهم عنها فحسب، بل امتدت لتطال جانباً نفسياً آخر وهو لجوؤهم إلى هذه الوسيلة الاتصالية من أجل التنفيس عما في صدورهم من مشاعر ضيق وتوتر وإحباطات أسرية ومجتمعية. فالشباب الذين يعانون من مشاكل أسرية ومجتمعية، ولا يستطيعون التحدث مع أسرهم حولها (كما اتضح في السؤال السابق) وجدوا في الإنترنت ملاذاً في التخفيف عن معاناتهم النفسية من هذه المشكلات، وفي هذا الصدد شكل استخدام الإنترنت فرصة كبيرة للتنفيس عما في صدور ما نسبته (57.1%) منهم من إحباطات ومشكلات سببتها لهم أسرهم أو مجتمعهم كما يبيّن الجدول (رقم 28).

وفي الواقع، فإن إجابات الشباب عن هذا السؤال بهذه النسبة العالية نوعاً ما، إنما تدل على أن الدور الذي يقوم به الإنترنت في التنفيس عن المشكلات النفسية لا يقل حيوية عن الدور الذي يقوم به الاتصال الوجاهي بهذا المجال حين يقوم أحد الأفراد بالبوح عن مكنونات صدره التي تؤرقه أمام صديق له علّه يشعر بالراحة النفسية جراء هذا البوح أو الإفصاح (Self-disclosure).

أجد في الإنترنت وسيلة مناسبة للتنفيس عما في داخلي من هموم ومشاكل وإحباطات أسرية ومجتمعية.										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	76	16.1	85	18.0	64	13.6	33	7.0	258	54.8
الإناث	40	8.5	68	14.4	64	13.6	41	8.7	213	45.2
المجموع الكلي	116	24.6	153	32.5	128	27.2	74	15.7	471	100

المتغيرات الاجتماعية

وحين حاولنا معرفة أي الجنسين من الشباب يلجأ أكثر من غيره إلى الإنترنت كوسيلة للتنفيس عما في صدورهم من مشكلات وإحباطات، وجدنا، كما يشير الجدول، أن نسبة الشباب الذكور في هذا الصدد كانت أكثر من نسبة الإناث؛ حيث استخدمه ما نسبته (34.1%) منهم لهذه الغاية، واستخدمته ما نسبته (22.9%) من الإناث للغاية نفسها.

وأما فيما يتعلق بأعمار هؤلاء الشباب فإنها لم تختلف عن أعمار زملائهم في الجداول السابقة من حيث تمركزها حول الفئة العمرية (20–23) كأعلى نسبة شبابية تستخدم الإنترنت للتنفيس عما يخالج صدورها من مشكلات وإحباطات؛ حيث كانت النسبة المئوية لهذه الفئة العمرية من الشباب (15.3%)، تلتها بعد ذلك الفئة العمرية الشبابية التي تراوحت أعمار الشباب فيها ما بين (26–29)؛ حيث أجاب (10.9) منهم أن الإنترنت أتاح لهم هذه الفرصة، ثم الفئة العمرية (17–20)؛ حيث كانت نسبتها(10.2%)، ثم فئة الشباب ممن تراوحت أعمارهم ما بين (23–26) سنة، إذ أجاب ما نسبته (9.6%) من هذه الفئة بأنهم يستخدمون الإنترنت كوسيلة من وسائل التنفيس والتفريغ عما في صدورهم من إحباطات ومشكلات نفسية.

ومثلما لم تختلف فئات الأعمار التي احتلت المقام الأول هنا عن فئات الأعمار التي احتلت المقام نفسه في إجاباتها على الأسئلة السابقة، كما تبين في الجداول السابقة، لم تختلف كذلك المستويات التعليمية والاجتماعية عن المستويات السابقة من حيث ارتفاع نسب الشباب فيها. حيث كان الشباب من الخلفيات التعليمية الجامعية ثم الثانوية هم أكثر الفئات الشبابية استعمالاً للإنترنت من أجل هذا الهدف؛ إذ بلغت نسبة كل منهما على التوالي: (27.5%) و(19.1%). وكذلك أجاب من الشباب العازب ما نسبته (32.1%)؛ وأجاب من الشباب المتزوج ما نسبته (18.5%) بأن الإنترنت ساعدهم في التخلص من مشكلاتهم النفسية والاجتماعية التي يشعرون بها جراء بعض الضغوطات الأسرية والمجتمعية.

متغيرات العلاقة الأسرية

حين سألنا الشباب ليحددوا لنا أسلوب معاملة أسرهم لهم فيما إذا كان أسلوباً ديمقراطياً أو صارماً أو ليّناً أو عادياً، لنرى مدى انعكاسه على لجوئهم إلى استخدام الإنترنت كوسيلة اتصال تنفيسية، أجاب منهم (18.9%) ممن تعاملهم أسرهم بطريقة "عادية"، بأنهم يستخدمون الإنترنت من أجل هذه الغاية، كما أجاب ما نسبته (15.4%) منهم، ممن تعاملهم أسرهم معاملة تتسم بـــ "الديمقراطية" الإجابة نفسها.

وفي الواقع، فإن استخدام الشباب للإنترنت كوسيلة اتصال للتخلص من مشكلاتهم النفسية وهمومهم الاجتماعية قد أراحهم مما جعلهم ينظرون إلى الحياة نظرة متفائلة. ومن هذا المنطلق يكون الإنترنت قد ساهم في حلول المشكلات النفسية والاجتماعية بطريقة أو بأخرى، وهذا ما عكسته إجاباتهم عن سؤال آخر يتعلق بهذا الجانب النفسي من حياتهم وهو:

***السؤال:* ساعدني الإنترنت على حل بعض مشكلاتي النفسية مما جعلني أنظر للحياة نظرة متفائلة وسعيدة:**

لم يقتصر دور الإنترنت على مجرد مساعدة الشباب في حلول مشكلاتهم النفسية والاجتماعية، كما اتضح في إجاباتهم على السؤال السابق، بل ساعدهم في ما هو أكثر من ذلك، ألا وهو إعادة نظرتهم إلى الحياة بطريقة متفائلة. فهذا الدور "العلاجي" للإنترنت يصب في نهاية الأمر في راحتهم النفسية، وفي تدعيم ثقتهم بأنفسهم التي زعزعتها تلك المشكلات المجتمعية، وهذا ما أوضحته إجاباتهم عن السؤال أعلاه.

فحين طلبنا منهم أن يحددوا ما إذا كانوا قد استفادوا من الإنترنت، كوسيلة من الوسائل الاتصالية التي ساعدتهم في حلول مشكلاتهم النفسية من خلال المواقع المتاحة لهذه الغاية في هذه الوسيلة، وفيما إذا كان ذلك الحل قد ساعدهم على إعادة نظرتهم إلى الحياة بطريقة أكثر تفاؤلا من السابق، أجاب أكثر من نصف أفراد العينة بالإيجاب (51.1%) كما يبين الجدول (رقم 29)، وهذه النسبة المرتفعة نسبياً، إضافة إلى النسبة المشابهة لها في الجدول السابق تعكس، في الحقيقة مسألتين متداخلتين هما: وجود مشكلات نفسية واجتماعية بدرجة عالية نسبياً داخل

الأسرة والمجتمع من جهة، وإمكانية استعمال الإنترنت كوسيلة اتصالية للتخلص من هذه المشكلات من جهة أخرى.

ساعدني الإنترنت على حل بعض مشكلاتي النفسية مما جعلني أنظر للحياة نظرة متفائلة وسعيدة											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي		
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	58	12.3	85	18.0	81	17.2	34	7.2	258	54.8
الإناث	26	5.5	72	15.3	68	14.4	47	10.0	213	45.2
المجموع الكلي	**84**	**17.8**	**157**	**33.3**	**149**	**31.6**	**81**	**17.2**	**471**	**100**

المتغيرات الاجتماعية

ويوضح الجدول المتعلق بتحديد تكرارات إجابات الشباب من كلا الجنسين على هذا السؤال بأن عدد الشباب الذين ساعدهم الإنترنت في التخلص من مشكلاتهم النفسية، بحيث بدأوا ينظرون إلى الحياة نظرة أكثر تفاؤلاً ورضاً، أعلى من عدد الإناث في هذا الشأن، فهناك ما عدده (143) شاباً من الذكور أي منا نسبته (30.3%) وهناك ما عدده (98) فتاة أي ما نسبته (20.8%) أصبحوا ينظرون إلى الحياة نظرة متفائلة بعد أن مكنهم الإنترنت من التخلص من مشكلاتهم المختلفة، بواسطة الخدمات النفسية المتاحة على المواقع المعنية بهذا الجانب النفسي في هذه الشبكة العالمية.

ولقد استفاد من هذه الخدمات النفسية الشباب بمختلف فئاتهم العمرية، وبخاصة أولئك الذين وقعت أعمارهم ما بين (20–23)، و(26–29) سنة. حيث كانت النسب المئوية هنا: (15.1%) و(9.8%)، كما استفاد أيضاً من هذه الخدمات الشباب ممن هم في المستوى التعليمي الجامعي:(25.1%)، وكذلك الشباب ممن هو في المرحلة الثانوية (18.5)، وهؤلاء الشباب، كما يوضح الجدول هم من فئتي الشباب العازب (20.0%) والشباب المتزوج (14.9%).

متغيرات العلاقة الأسرية

وأما فيما يتعلق بمتغير العلاقة مع الأسرة فيبين الجدول أن الشباب ممن تربطهم علاقة قوية مع أسرهم قائمة على الاحترام والتقدير قلّما يلجأون إلى الإنترنت من أجل مساعدتهم في حل مشاكلهم النفسية. فالاسرة يمكنها أن تقوم بهذا الدور؛ إذ كانت نسبة هؤلاء الشباب (37.8%)، ومع ذلك هناك نسبة لا بأس بها ممن تربطهم بأسرهم علاقة قوية، كانوا قد لجأوا إلى الإنترنت للتخلص من مشكلاتهم النفسية؛ إذ كانت هذه النسبة: (33.5%)، فهذه النسبة قد تجد في إجابات المتخصصين بعداً جديداً في حل مشكلاتهم لم تلتفت إليه أسرهم.

وقد اتضحت علاقة الأسرة بأبنائها وانعكاساتها على استخداماتهم للإنترنت حين حاولنا استجلاء هذه العلاقة من زاوية أخرى، وهي أسلوب معاملتها لهم من حيث الشدة والديمقراطية. إذ اتضح، أن الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية لا يلجأون إلى هذه الوسيلة الاتصالية للتخلص من هذه المشكلات إلا بنسبة قليلة، وفي هذا الصدد بلغت نسبة هؤلاء الشباب (16.1%). فالجو الأسري القائم على التفاهم مع الأبناء، يسمح لهم بمناقشة مشكلاتهم النفسية مع أسرهم، لذا لا يجدون أنفسهم بحاجة إلى اللجوء إلى وسائل أخرى كالإنترنت لتساعدهم على حل هذه المشكلات. ومع الإقرار بذلك فإن من لجأ إلى الاستعانة بالإنترنت في حل مشكلاتهم النفسية ممن عاملتهم أسرهم بـــ"ديمقراطية" أيضاً فقد كانت نسبة قريبة جداً من النسبة السابقة بلغت (15.5%). وربما يعود السبب في هذا إلى أن هذا العدد من الشباب، كما قلنا، يجد في الإنترنت رؤيةً جديدةً في تناول مشكلاتهم من قبل المتخصصين النفسيين لم تلتفت إليها أسرهم، وبالتالي تكون الفائدة في هذه الحالة أكثر مما لو اكتفوا بحلول أسرهم فقط. وبمعنى آخر، إن الشباب الذين يعيشون في جو ديمقراطي قائم على الاحترام والود المتبادل لا يلجأون إلى الإنترنت إلا من أجل الحصول على المزيد من المعرفة المتعلقة بمشكلاتهم، وليس لعدم ثقتهم بحلول أسرهم.

الإنترنت وعملية الإفصاح عن الذات

***السؤال:* تجد في نفسك الجرأة في طرح مشكلاتك الخاصة جداً، وبخاصة العاطفية، على ذوي الاختصاص في مواقع الإنترنت، أكثر من تلك التي تجدها حين تتحدث عنها وجهاً لوجه معهم.**

تدعم إجابات الشباب على هذا السؤال المحدد لمعرفة الدور الذي يمكن أن يقوم به الإنترنت كوسيلة اتصال في المجتمع في مساعدة الشباب على حل مشكلاتهم النفسية والاجتماعية بشكل عام، والعاطفية منها بشكل خاص، ما كنا قد ذهبنا إليه في الصفحات السابقة من تأكيد على بروز هذا الدور في حياة الشباب ومنافسته للدور الذي يقوم به الاتصال الوجاهي في هذا المجال.

وقد كشفت إجابات الشباب عن هذا السؤال أيضاً عن وجود سمة خفية في شخصياتهم، وهي سمة الخجل وبخاصة حين يتعلق الأمر بإفصاحهم عن مشكلاتهم العاطفية أمام الآخرين. ولقد أفصح هذا الخجل عن نفسه في الارتفاع الملحوظ في إجابات اولئك الذين يؤثرون التحدث مع ذوي الاختصاص عن مشكلاتهم النفسية والاجتماعية عبر الإنترنت، على التحدث عنها معهم وجها لوجه وبشكل مباشر. وفي هذا الصدد يوضح الجدول (رقم 30) إن هناك ما نسبته (63.2%) من هؤلاء الشباب يفضل هذا النوع من الاتصال غير الوجاهي الذي يتيحه لهم الإنترنت، على الاتصال المباشر مع ذوي الاختصاص للتحدث عن هذه المشكلات.

تجد في نفسي الجرأة في طرح مشكلاتك الخاصة جداً، وبخاصة العاطفية، على ذوي الاختصاص في مواقع الإنترنت أكثر من تلك التي تجدها حين تتحدث عنها وجهاً لوجه معهم										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	77	16.3	101	21.4	43	9.1	37	7.9	258	54.8
الإناث	59	12.5	61	13.0	50	10.6	43	9.1	213	45.2
المجموع الكلي	**136**	**28.8**	**162**	**34.4**	**93**	**19.7**	**80**	**17.0**	**471**	**100**

صحيح أن عملية البوح أو الإفصاح[1] (Self-Disclosure) أمام الآخرين عما في النفس من أسرار تمس الجوانب الخفية من ذات الفرد (Hidden-Self) وبخاصة ذلك الجانب العاطفي منها، تتطلب جرأة وثقة بالنفس، وثقة بالآخر الذي يفصح الفرد أمامه أيضاً، ومع ذلك فإن ارتفاع نسبة الشباب القطري الخجول الذين يحجمون عن هذا النوع من الإفصاح أو البوح عما في النفس تستدعي الوقوف عندها لتحديد أسبابها، والعوامل المسؤولة عنها وهذا بالطبع، أمر خارج عن أهداف هذه الدراسة على الرغم من أهميته وضرورته للمعنيين بدراسة التفاعل الاجتماعي في المجتمع.

المتغيرات الاجتماعية

وإذا ما عدنا إلى الجدول السابق لنرى أياً من الجنسين لجأ أكثر من غيره إلى الإنترنت للتحدث عن مشكلاته العاطفية لأنه لا يجد الجرأة في نفسه للتحدث عنها مباشرة لذوي الاختصاص، لوجدنا أن نسبة الذكور هنا أعلى من مثيلتها عند الإناث. حيث كانت النسبة لكل منهما على التوالي: (37.7%) و(25.5%). وتفسير هذا الفرق بينهما إنما يعود إلى أن الفتيات في المجتمع القطري لم يتعودن على عملية الإفصاح عمّا في نفوسهن بحكم عملية التنشئة الاجتماعية في هذا المجتمع التقليدي، الذي يقوم على العزل بين الجنسين. فإفصاحهن عما في صدورهن أمام الآخرين قد يسبب لهن إرباكاً وتوتراً نفسياً غير معتادات على التعامل معه، خلافاً لزملائهن من الشباب الذكور الذين يجدون أنفسهم أكثر جرأة، بحكم التنشئة الاجتماعية في مجتمع ذكوري، في التحدث عن أنفسهم والإفصاح عنها أمام الآخرين. ومع ذلك، فعملية الإفصاح أو البوح نفسها، كعملية اتصالية من نوع خاص، تعكس مدى عمق الاتصال الثنائي بين الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات، هي عملية غير مألوفة في المجتمع القطري لكلا الجنسين، فكلاهما لا

---

(1) للاطلاع على مفهوم البوح أو الإفصاح عما في النفس وعلاقته بالاتصال الشخصي، وكذلك العوامل المؤثرة فيه، انظر على سبيل المثال كلاً من:

- Devito, J.A. the Interpersonal Communication Book,(1989), New York: Harper & Row Publishers. fifth edition, Unit 7, pp 114-135.
- Stewart, J and Carole Logan. Together: Communicating Interpersonally. New York: McGraw-Hill, Inc. 1998. Fourth edition. Chapter 7. pp. 230-262.

يجد في نفسه الجرأة الكافية للتحدث عن مشكلاته العاطفية وجهاً لوجه أمام الآخرين، حتى لو كان هؤلاء الآخرين من ذوي الاختصاص في حل المشكلات العاطفية. لذا، يلجأ الشباب إلى ذوي الاختصاص عبر الإنترنت لأنه لا يتيح لهم تفاعلاً أو اتصالاً وجاهياً معهم، مما يجعلهم يشعرون براحة نفسية أكثر في التعبير عن مشكلاتهم النفسية والاجتماعية.

ويوضح الجدول المعني بتحديد أعمار هؤلاء الشباب أن أكثريتهم وقعت في الفئة العمرية المحصورة ما بين (20–23). حيث بلغت النسبة المئوية هنا (18.5%)، ثم تلا ذلك فئة الشباب التي تراوحت أعمارها ما بين (26–29) سنة، ثم الشباب في الفئة العمرية (17–20)، والشباب في الفئة العمرية (23–26)؛ حيث بلغت النسب المئوية لكل فئة عمرية من هذه الفئات كما يلي على التوالي: (12.3%) و(10.6%) ثم (10.4%).

وقد سجل الشباب ممن هم في المستوى التعليمي الجامعي أعلى النسب التي شعر الشباب فيها بجرأة في التحدث عن مشكلاتهم لذوي الاختصاص عبر الإنترنت؛ ففيما يتعلق بنسبة الشباب الجامعي فقد كانت نسبهم (30.9%)، وكانت نسبة الشباب ممن هو في المستوى التعليمي الثانوي وأجاب الإجابة نفسها (21.3%). وأما الشباب العازب والمتزوج الذين شعروا بالشعور السابق، فقد كانت نسبة كل منهما كما يلي على التوالي: (34.3%) و(20.4%).

متغيرات العلاقة الأسرية

وأما فيما يتعلق بمتغير العلاقة الأسرية في هذه الحالة، فقد أوضح الجدول المخصص لرصد إجابات الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة "ديمقراطية"، أن هناك ما نسبته (19.9%) منهم شعر بأنه يجد الجرأة في نفسه في التحدث عن مشكلاته مع ذوي الاختصاص في حل مشكلاته النفسية والاجتماعية عبر الإنترنت أكثر مما يشعر حين يتحدثون إليهم مباشرة ووجهاً لوجه. وهذه النسبة لا تعكس، برأي الباحث، خللاً في علاقة الآباء بأبنائهم وإنما تعكس مدى الثقة التي يضعها الشباب في هؤلاء المتخصصين في حل مشكلاتهم النفسية، والثقة بالنفس التي يتمتعون بها في عرض مشكلاتهم على ذوي الاختصاص عبر الإنترنت.

السؤال: **تجد نفسك جريئاً وصريحاً في التحدث مع "الجنس الآخر" حول قضايا كثيرة عامة عبر الإنترنت أكثر من التحدث معه فيها وجهاً لوجه:**

صحيح أن الاتصال الوجاهي المباشر كنمط من أنماط الاتصال في المجتمع القطري لا يزال الأكثر شيوعاً من غيره من أنماط الاتصال الأخرى، كما أوضحنا، ومع ذلك فإن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة بين الجنسين في هذا المجتمع، والتي تتسم بالفصل بينهم، دفعت بالكثير منهم إلى الاتصال مع بعضهم البعض بطرق غير مباشرة. وهذا ما أكدناه في الصفحات السابقة.

ربما يكون لإحجام الشباب عن البوح عن مشكلاتهم العاطفية أمام الآخرين له ما يبرره في ذلك الخجل الذي تتصف به شخصيات بعضهم، كما أوضحنا للتو، ولكن ما مبرر هذا الإحجام في التحدث مع الجنس الآخر وجهاً لوجه حول قضايا عامة بعيدة كل البعد عن المسائل العاطفية؟ إن قسطاً كبيراً منه يعود، بلا شك، إلى عدم تعوّدهم على الاتصال الوجاهي المباشر في المجتمع بسبب التنشئة الاجتماعية القائمة على الفصل بينهم منذ الصغر، وعلى عدم السماح بهذا النوع من العلاقات أو التفاعل الإجتماعي بينهم أصلاً لأسباب اجتماعية ودينية.

وبهذا الخصوص أجاب (270) شاباً وشابة، أي ما نسبته (57.4%) من هؤلاء الشباب بأنهم يجدون في أنفسهم الجرأة والصراحة في التحدث مع الجنس الآخر عبر الإنترنت (اتصال غير مباشر) حول قضايا عامة (ثقافية وتربوية واجتماعية وسياسية وفنية ورياضية) أكثر مما لو تحدثوا معه حولها بشكل مباشر ووجاهي لو سنحت لهم الفرصة بذلك (انظر الجدول رقم: 31).

تجد نفسك جريئاً وصريحاً في التحدث مع الجنس الآخر حول قضايا كثيرة عامة في الإنترنت أكثر من الجرأة التي أجدها حين تتحدث فيها معهم وجهاً لوجه.

درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	89	18.9	81	17.2	43	9.1	45	9.6	258	54.8
الإناث	46	9.8	54	11.5	46	9.8	67	14.2	213	45.2
المجموع الكلي	**135**	**28.7**	**135**	**28.7**	**89**	**18.9**	**112**	**23.8**	**471**	**100**

المتغيرات الاجتماعية والأسرية

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس الشباب، فقد تباينت إجاباتهم حول مدى الصراحة والثقة بالنفس التي يتمتع بها كل منهما؛ حيث اتضح أن هذه الصراحة كانت قد أفصحت عن نفسها في إجابات الذكور أكثر من إجابات الإناث؛ فقد أجاب ما نسبته (36.1%) من الذكور بأنهم أحسوا بهذا الإحساس، وأحست ما نسبته (21.3%) من الإناث بالإحساس نفسه.

وأما فيما يتعلق بمتغيرات العمر والمستوى التعليمي والاجتماعي وكذلك متغير علاقة الشباب الاجتماعية بأسرهم، فلم تختلف علاقة هذه المتغيرات باستخدامات الشباب للإنترنت في التحدث مع الجنس الآخر عن علاقات الشباب السابقة بهذه الاستخدامات، لا من حيث النسب المئوية المرتفعة بين الفئات العمرية السابقة نفسها، ولا المستويات والأوضاع التعليمية الاجتماعية، ولا كذلك بعلاقة متغير الشباب بأسرهم، كما توضح الجداول. فالفئات العمرية الشبابية من ذوي الخلفية التعليمية الجامعية هم أكثر الفئات الشبابية التي وجدت الجرأة في نفسها أكثر من غيرها في التحدث مع الجنس الآخر حول قضايا متنوعة في الإنترنت، وكذلك الشباب العازب والمتزوج. وأما فيما يتعلق بالمتغيرات الأسرية، فإن الجداول تشير بهذا الصدد إلى أن الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية قوامها الاحترام والتقدير، لم يشعروا بأي حرج في التحدث مع الجنس الآخر سواء في الإنترنت أم بشكل مباشر ووجاهي.

الخلاصة

استطاع الإنترنت أن يقوم بأدوار حيوية في حياة الشباب النفسية؛ إذ عمل على تعزيز ثقتهم بأنفسهم، من خلال ما زودهم به من معلومات ومعارف في هذا الشأن؛ كما قام بدور فاعل في مجال نفسي آخر وهو مساعدتهم على الإفصاح عن أنفسهم وعن مشكلاتهم النفسية والاجتماعية التي تؤرقهم وتسبب لهم ضيقاً نفسياً.

إن هذا الدور "العلاجي – التطهيري" للانترنت، دور يمكن استثماره واستغلاله في حل العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية التي يعاني منها كلا الجنسين في مجتمعهم المحافظ؛ حيث يجد الشباب صعوبة في التحدث مباشرة ووجهاً لوجه مع الآخرين عن مشكلاتهم، حتى لذوي الاختصاص منهم في هذا المجتمع. لذا، يعتبر الإنترنت، في هذه الحالة، وسيلة اتصالية ملائمة ومناسبة للبوح عما في صدورهم، مع الحفاظ على أسرارهم دون أن يعرفها أحد.

الفصل السادس

الإنترنت: التأثيرات الإيجابية

مقدمة

الإنترنت والترفيه وتزجية أوقات الفراغ

الإنترنت وتعميق القيم الدينية

الإنترنت والأداء العلمي والمهني

الإنترنت وتطوير المواهب والهوايات

الإنترنت والانخراط في النشاطات المجتمعية

الإنترنت والانفتاح الثقافي

الخلاصة

الإنترنت: التأثيرات الإيجابية

مقدمة

كنا قد أوضحنا في الفصول السابقة، أن الباحثين في مجال سوسيولوجيا الاتصال بشكل خاص، والباحثين الاجتماعيين بشكل عام، لم يجمعوا على نتيجة قطعية حول طبيعة التأثيرات المتوقعة للإنترنت على الأفراد، ومدى إيجابياتها وسلبياتها. فهناك من يبالغ من شأن هذه التأثيرات، وهناك من يقلل منها.

وفي الواقع، فانه قد يكون من المتعذر، في هذا الوقت نسبياً من عمر هذه الوسيلة الاتصالية، حصر التأثيرات الإيجابية والسلبية جميعها التي أحدثها الانترنت في حياة الأفراد؛ كما أنه قد يكون من الصعب أيضا الإلمام بشكل حازم ودقيق بكافة المجالات التي تظهر فيها هذه التأثيرات؛ فهذا أمر يحتاج إلى دراسات ميدانية مكثفة وجهود بحثية متواصلة؛ لكن هذا النوع من الدراسات في هذا المجال، لسوء الحظ، ما زال محدوداً للغاية[1]. وهذا ما حاولنا أن نسده هنا في هذا الفصل.

ومن هذا المنطلق، قمنا بوضع مجموعة من الأسئلة تحاول معرفة مدى ما تركه الانترنت من تأثيرات إيجابية على حياة الشباب الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية والشخصية. وهذه المجالات هي: التحصيل المدرسي والجامعي، واستثمار أوقات الفراغ، والقيم الدينية، والاطلاع على الثقافات الأخرى، والمشاركة في النشاطات الفكرية والسياسية واتجاهات الشباب نحو المحتوى الثقافي والمعرفي للانترنت.

وسنقوم الآن باستعراض إجابات الشباب عن كل سؤال من الأسئلة المتعلقة بهذه المجالات المختلفة.

---

(1) يجابه القارئ للصحافة العربية والمتصفح للانترنت بسيل من الآراء الكاسحة و الاجتهادات غير الدقيقة و التعميمات غير العلمية بشأن تأثيرات الانترنت على حياة الشباب، فالكثير من هذه الآراء و الاجتهادات لا تستند في فهمها و رؤيتها لهذه التأثيرات إلى سند علمي دقيق . وعليه ، فهي قد تسيء أكثر مما تفيد في إضاءة هذا الجانب من جوانب الانترنت.

الإنترنت والترفيه وتزجية أوقات الفراغ

السؤال: **ساعدني الإنترنت في استثماري لوقت الفراغ الذي أعاني منه وكذلك في الترفيه عن نفسي:**

لم تقتصر فاعلية الانترنت على الأبعاد النفسية التي عرضنا لها في الفصل السابق فحسب، بل امتدت لتطال أبعادا أخرى من حياة الشباب؛ حيث ساعدهم الانترنت في استثمار وقت الفراغ الذي كانوا يشكون منه قبل استخدامهم لهذه الوسيلة الاتصالية. فقد اتضح من الجدول المخصص لرصد تكرارات إجاباتهم عن هذا السؤال أن هناك ما نسبته (73.7%) كانوا قد استفادوا من الإنترنت في الترفيه عن أنفسهم، والقضاء على الملل والفراغ الذي يعانون منه. وأما نسبة من لم يستفد منهم من هذه الوسيلة في استثمار وقته فقد كانت ضئيلة نسبياً مقارنة مع نسبة أولئك الذين استفادوا منه؛ إذ بلغت (26.1%)، انظر جدول (رقم32).

ساعدني الإنترنت في استثماري لوقت الفراغ الذي كنت أعاني منه وكذلك في الترفية عن نفسي											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	94	20.0	97	20.4	47	10.0	20	4.2	258	54.8
الإناث	64	13.6	93	19.7	32	6.8	24	5.1	213	45.2
المجموع الكلي	158	33.6	190	40.1	79	16.8	44	9.3	471	100

المتغيرات الاجتماعية:

لم تقتصر هذه الفائدة على جنس دون آخر من الشباب، فكلا الجنسين استفاد من الإنترنت في استثماره لوقت الفراغ ويتضح من الجدول السابق (رقم32) أن هناك (40.4%) من الشباب الذكور، و(33.3%) من الإناث استفادوا من الإنترنت في استغلالهم لوقت الفراغ الذي يشكون منه. وأما نسب من لم يستفد منهم في هذا المجال فقد كانت متدنية بالمقارنة مع النسب السابقة، حيث أجاب (14.2%) من

الذكور، وأجابت (11.9%) من الإناث بأن الإنترنت لم يساعدهم في تنظيمهم لأوقات فراغهم.

وعلى ما يبدو، فإن الغالبية العظمى من الشباب تعاني من فراغ وملل في حياتها، وهذا ما يفسر ارتفاع النسبة المئوية، في الجدول السابق، لمن أجاب منهم بأن الإنترنت ساعدهم على استثمار وقت فراغهم الذي كان يذهب هدراً. وكما يتضح من الجدول المتعلق بمتغير عمر الشباب فإن أعلى نسبة منهم تعاني من هذا الفراغ هي فئة الشباب ممن تتراوح أعمارهم ما بين (20–23) سنة، ثم فئة الشباب ممن تقع أعمارهم ما بين (26–29) سنة، ثم ما بين (17–20)، ثم (23–26) ثم الفئة العمرية (29–32)؛ وقد كانت النسب المئوية لهذه الفئات كما يلي على التوالي: (22.9%) و(13.3%) و(13.2%) و(11.0%) ثم (9.1%).

وأما فيما يتعلق بالمستوى التعليمي لهذه الفئات العمرية من الشباب، فقد أشار الجدول المخصص لذلك إلى أن أعلى مستويين تعليميين كانا قد استثمرا هذه الوسيلة الاتصالية في تزجية وقت الفراغ هما الشباب في المستوى التعليمي الجامعي ثم الشباب في المستوى التعليمي الثانوي؛ حيث كانت نسبة الشباب في المستوى التعليمي الجامعي (38.3%) ونسبة الشباب في المستوى التعليمي الثانوي هي (25.1%).

ويبين الجدول المعني بمعرفة الحالة الاجتماعية الشباب الذين ساعدهم الإنترنت في استثمارهم للوقت أمراً لافتاً للنظر، وهو ارتفاع نسبة الشباب المتزوج الذي يعاني من الفراغ والملل؛ حيث احتل الشباب العازب ما نسبته (44%)، واحتل المتزوجون ما نسبته (21.4%)؛ إذ أجابت هذه النسبة بأنها تعاني من الفراغ في حياتها، لذا وجدت في الإنترنت فرصة لتعويض هذا الفراغ.

وتعكس هذه النسبة، في الحقيقة، طبيعة العلاقة بين الزوجين؛ فلماذا يعاني الشباب المتزوجون من فراغ في حياتهم الزوجية؟ وهل الزوجات هنّ اللواتي يعانين أكثر من الأزواج من هذا الفراغ بسبب عدم انهماكهن في العمل (باطلات عن العمل)؟ أم أن الزواج نفسه غير قائم بينهم على التقاء فكري وعاطفي وتعليمي يشدهم إلى التواصل؟ أسئلة تبقى بحاجة، إلى إجابة ولكنها لا تقع ضمن اهتمام هذه الدراسة.

متغيرات العلاقة الأسرية:

وحين حاولنا الوقوف على طبيعة العلاقة الأسرية وانعكاسها علـــى إحـــساس الشباب بالملل والفراغ في حياتهم، اتضح لنا أن الفراغ حالة عامة تشعر بها الغالبية العظمى منهم بصرف النظر عن علاقتهم بأسرهم. وربما يمكن القـــول انـــه لـــولا وجود الانترنت سواء في بيوتهم أو في مقاهي الانترنت المنتشرة هنا وهناك فـــي المجتمع لزادت حالة الملل لديهم وتعاظم شعورهم بها.

فنسبة الشباب العازب – وهي أعلى النسب كما أوضحنا للتو – الذين تربطهم علاقة قوية مع أسرهم قوامها الاحترام والتقدير، يعاني من الفراغ مثلما يعاني منه الشباب الذين لا تربطهم بأسرهم القوّة نفسها من العلاقة؛ فقد أجـــاب مـــا نـــسبته (49.7%) من هؤلاء الشباب الذين تربطهم علاقة قويّة مع أسرهم بأنهم يـــشعرون بفراغ في حياتهم ولم يساعدهم في تنظيمهم واستثمارهم لوقتهم إلا الإنترنت.

ومما يدعم ما ذهبنا إليه من قول، بأن الفراغ حالة عامة منتشرة بين غالبيـــة الشباب بصرف النظر عن علاقاتهم بأسرهم، ما رأيناه من إجابات فـــي الجـــدول المخصص لذلك؛ إذ اتضح أن الشباب المتزوجين الذين تربطهم بزوجاتهم علاقـــة قوامها الاحترام والتقدير يعانون من الفراغ مثلهم مثل غيرهم. إذ أجاب ما نـــسبته (49.2%) من هؤلاء المتزوجين ممن تربطهم علاقة مبنية على الاحترام والتقدير بزوجاتهم / أزواجهم بأنهم وجدوا في الإنترنت فرصة مناسبة لقضاء وقت الفـــراغ الذي يشعرون به، وهي نسبة تكاد تتطابق مع نسبة العازبين من الـــشباب المـــشار إليها للتو.

الإنترنت وتعميق القيم الدينية

السؤال: **تعلمت من بعض المواقع الدينية في الإنترنت الكثير من الأمور التي كنت أجهلها مما قوّى من قيمي الدينية.**

تجلت فوائد استعمال الشباب للإنترنت بشكل لافت للنظر في إجاباتهم عن هذا السؤال؛ إذ اتضح من هذه الإجابات عمق المعرفة الدينية التي استفادوها من مواقع الإنترنت المخصصة لذلك، مما عزز من قيمهم الدينية، وعمق من ممارساتهم لها في حياتهم اليومية.

إذ أجاب منهم ما نسبته (65.8%)، بأنهم تعلّموا الكثير من الشؤون الدينية من هذه المواقع في الإنترنت. وقد تجلّت هذه الفائدة لدى جميع أفراد العينة من الجنسين، وعمت بين جميع الأعمار والمستويات التعليمية والأوضاع الاجتماعية، (انظر الجدول رقم 33).

تعلمت من بعض المواقع الدينية، في الإنترنت الكثير من الأمور التي كنت أجهلها مما قوّى من قيمي الدينية في حياتي.

درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	56	11.9	112	23.8	68	14.4	22	4.7	258	54.8
الإناث	42	8.9	100	21.2	38	8.1	33	7.0	213	45.2
المجموع الكلي	98	20.8	212	45.0	106	22.5	55	11.7	471	100

المتغيرات الاجتماعية:

وأما فيما يتعلق بمتغير الجنس، فيتضح من الجدول أعلاه المخصص لذلك، أن نسبة الذكور ممن استفادوا من المواقع الدينية في تعميق الجانب الديني في حياتهم اليومية كانت أعلى قليلاً من مثيلتها عند الإناث؛ حيث أجاب (35.7%) من الشباب الذكور بأنهم استفادوا فائدة كبيرة من هذه المواقع، وأجابت (30.1%) من الإناث

بأنهن استفدن كثيراً من هذه المواقع في تسيير أمورهن الدينية في حياتهن اليومية، في حين كانت إجابات الجنسين ممن لم يستفد القدر نفسه، من الفائدة التي استفادها زملاؤهم قليلة نسبياً؛ إذ كانت نسبة الذكور منهم (19.1)، ونسبة الإناث (15.1%).

ولم يكن للمتغيرات الأخرى كالعمر والمستوى التعليمي والاجتماعي دلالات مختلفة هنا عن دلالات المتغيرات نفسها في الجداول السابقة، فالشباب الجامعي والشباب في المستوى التعليمي الثانوي هم أكثر استفادةً من هذه المواقع، وكذلك فئة الشباب العازب والمتزوج، فقد كانتا أكثر الفئات الاجتماعية فائدة ونفعاً من هذه المواقع.

وأما أعمار من استفاد أكثر من غيره من هذه المواقع فهي نفسها تلك الأعمار التي استفادت من المزايا السابقة للإنترنت، وهي بالتحديد الفئات العمرية الشبابية التي انحصرت أعمار الشباب فيها ما بين (20–23) و(26–29) وكذلك (17–20) سنة؛ حيث كانت النسب المئوية كما يلي على التوالي: (18.6%) و(13.5%) و(10.6%).

***السؤال:* كثيراً ما تأخرت عن تأدية صلواتي في مواقيتها المحددة بسبب جلوسي المتواصل أمام الإنترنت.**

انعكست الفائدة الدينية التي جناها الشباب من المواقع الدينية في الإنترنت كما أوضحنا، في الجدول السابق، على سلوكاتهم وممارساتهم لشعائرهم الدينية المتمثلة بتأديتهم لصلواتهم في مواقيتها. وفي هذا الصدد يمكن القول، إن استعمال الشباب للإنترنت لم ينعكس سلباً على ممارستهم لهذه الشعائر، بل انعكس إيجاباً؛ إذ بين الجدول (رقم 34) المخصص لرصد إجابات الشباب عن السؤال المتعلق بتأثير الإنترنت على عدم انتظامهم في تأديتهم لصلواتهم في أوقاتها المحددة، أن هذا التأثير كان ضعيفاً.

كثيراً ما تأخرت عن تأدية صلواتي في مواقيتها المحددة بسبب جلوسي المتواصل أمام الإنترنت.											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	25	5.3	65	13.8	98	20.8	70	14.9	258	54.8
الإناث	20	4.2	35	7.4	79	16.8	79	16.8	213	45.2
المجموع الكلي	45	9.5	100	21.2	177	37.6	149	31.7	471	100

وفي هذا الصدد يوضح الجدول أعلاه أن نسبة الشباب الذين لم يؤثر استعمالهم للإنترنت على سلوكهم الديني كانت (69.3%). أي أن هناك(326) شاباً وشابة من أصل (471) لم تضطرب ممارستهم لشعائرهم الدينية المتمثلة بأداء الصلاة في مواقيتها، بسبب استعمالهم لهذه الوسيلة الاتصالية. وهذه النسبة المرتفعة تؤكد النتيجة التي تم التوصل إليها في الجدول السابق، حيث اتضح لنا أن ما تعلمه الشباب من معرفة دينية من خلال الإنترنت انعكس بشكل إيجابي على قيمهم الدينية وسلوكهم اليومي وحياتهم بشكل عام. وليست تأدية الصلاة في أوقاتها المحددة سوى أحد هذه الجوانب.

المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

لم تكشف الجداول عن وجود فروقات جوهرية وصارخة بين علاقة المتغيرات العمرية والاجتماعية والتعليمية والعلاقات الأسرية بالسلوك الديني المتمثل بالصلاة، وبين تأثيرات هذه المتغيرات نفسها على مدى الفائدة الدينية التي جناها الشباب من استخدامهم لهذه الوسيلة الاتصالية كما بينا في الجداول السابقة.

فالفئات العمرية المستفيدة من الإنترنت في تعلمها لشؤون دينها في السؤال السابق، وهي (20-23) و(16-29) هي نفسها الفئات الشبابية التي لم يؤثر استعمالها للإنترنت على تأديتها لصلواتها في مواقيتها المحدّدة في السؤال الحالي، وهي كذلك نفسها فئة الشباب العازب وفئة الشباب المتزوج وفئة الشباب ذوي المستوى التعليمي الجامعي.

وبالعودة إلى الجداول المتعلقة بمتغيرات العلاقة الأسرية، اتضح أيضاً أن الشباب الذين تربطهم بأسرهم علاقة قوية ومتينة من الاحترام والتقدير، ويعاملهم أهلهم معاملة ديمقراطية، هم أكثر الشباب استفادة من المواقع الدينية المتاحة على شبكة الإنترنت، وهذه نتيجة في غاية الأهمية؛ حيث استطاع الإنترنت في هذه الحالة أن يقوي من القيم الدينية عند الشباب، ويعمّق من ممارساتهم وسلوكياتهم اليومية في الجوانب ذات العلاقة بها، وعلى رأس هذه الممارسات احترام الأسرة، والبر بالوالدين.

الإنترنت والأداء العلمي والمهني

السؤال: تراجع تحصيلي المدرسي / الجامعي وكذلك أدائي لعملي بسبب الإرهاق الجسدي والنفسي الناجم عن السهر المتأخر ليلاً على الإنترنت.

لقد حاولنا استجلاء بعد آخر من أبعاد الفائدة التي يمكن أن يجنيها الشباب من استخدامهم للإنترنت، وهو البعد المتعلق بتحصيلهم العلمي وأدائهم المهني؛ حيث أردنا التأكد من ادعاء البعض بأن سهر الشباب لساعات متأخرة من الليل على الإنترنت، يُسبب لهم إرهاقاً نفسياً وتعباً جسدياً ينعكس على أدائهم لأعمالهم أو دراستهم وتحصيلهم المدرسي / الجامعي.

وفي هذا الصدد أوضحت إجابات الشباب كما جاءت في الجدول المعني بتوضيح ذلك أن السهر الليلي والإرهاق النفسي والجسدي المصاحب له لم يتسبب في تراجع في تحصيل الشباب المعرفي ولا في انخفاض مستوى أدائهم لأعمالهم؛ إذ أجاب ما نسبته (75%) منهم بأن سهرهم الليلي يسبب لهم إرهاقاً وإجهاداً، ولم ينجم عنه تراجع في تحصيلهم المدرسي والجامعي ولا في أدائهم لأعمالهم وإنجازهم لها. انظر جدول (رقم 35).

تراجع تحصيلي المدرسي/ الجامعي وكذلك أدائي لعملي بسبب الإرهاق الجسدي والنفسي الناجم عن السهر المتأخر ليلاً على الإنترنت.

درجة الموافقة / الجنس	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	15	3.2	44	9.3	120	25.5	79	16.8	258	54.8
الإناث	14	3.0	44	9.3	82	17.4	72	15.3	213	45.2
المجموع الكلي	29	6.2	88	18.6	202	42.9	151	32.1	471	100

وأما فيما يتعلق بنسبة الشباب ممن شعروا بتراجع في تحصيلهم الجامعي/ المدرسي وانخفاض في أدائهم لعملهم بسبب السهر الليلي على الإنترنت وما نجم عنه من إجهاد نفسي وتعب جسدي صبيحة اليوم التالي فقد بلغت (24.8%).

وفي الحقيقة، فإنه من الصعب أو من غير المعقول تجاهل التأثير الذي قد يتركه الإجهاد النفسي والإرهاق الجسدي بسبب سهر الشباب الليلي أمام الإنترنت على أدائهم أو تحصيلهم. ولكن، على ما يبدو، فإن هذا الإرهاق والتعب لم يكن حاداً في حالة الشباب الذين لم يتأثروا بسهر الليالي. لماذا ذلك؟ في الحقيقة، هناك عدة أسباب لتفسير ذلك، يعود بعضها إلى عدم تأخر الشباب كثيراً في السهر الليلي على الإنترنت، ويعود بعضها الآخر إلى تدني عدد ساعات استعمال هؤلاء الشباب للانترنت، كما أوضحنا ذلك عند عرضنا للخصائص النوعية للشباب فيما يتعلق بعدد ساعات استخدامهم للانترنت في الفصل الثالث. وقد يعود السبب أيضاً إلى أن نتيجة السهر على الانترنت عملت على مضاعفة تحصيلهم المعرفي وأدائهم المهني، مما جعلهم لا يشعرون بالتعب مقابل هذا الإنجاز. وهذا ربما هو الذي يفسر ارتفاع نسبة إجاباتهم على الأسئلة المتعلقة بمدى استفادتهم من الانترنت في تحصيلهم الجامعي والمدرسي وأدائهم لأعمالهم. إن إحساس الشباب بالنجاح والانجاز، عمل على ما يبدو في التخفيف من شعورهم بالإرهاق الجسدي والإجهاد النفسي الذي يسببه عادة السهر الليلي.

المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

وعلى ما يبدو من هذا الجدول أيضاً فإن إجابات الإناث ممن تراجع تحصيلهن المعرفي وأداؤهن لأعمالهن بسبب الإرهاق الجسدي الناجم عن السهر الليلي، كادت تتطابق مع إجابات زملائهن من الذكور، حيث كانت هذه النسبة (12.3%) عندهن و(12.5%) عند الذكور.

وأما فيما يتعلق بنسبة الذكور ممن لم يؤثر سهرهم الليلي وإرهاقهم الجسدي بسبب استخدامهم للإنترنت على أدائهم في العمل وتحصيلهم الأكاديمي فقد كانت عند الذكور (42.3%)، وعند الإناث (32.7%). وأما فيما يتعلق بأعمار هؤلاء الشباب فقد تبين أن الفئات العمرية جميعها دون استثناء لم تر في استخدامها للإنترنت لساعات متأخرة في الليل تأثيراً كبيراً على تحصيلها وأدائها، ومع ذلك فإن الفئة العمرية (20–23) هي أكثر الفئات التي لم يتراجع تحصيلها أو أداؤها لعملها؛ إذ بلغت نسبتها (20.4%)، ثم الفئة العمرية (26–29)، حيث كانت نسبتها (16.1%)، وأما الفئة العمرية (29–32) فقد بلغت نسبتها هي الأخرى (12.8%).

وأما فيما يتعلق بمتغير المستوى التعليمي لهؤلاء الشباب فإن الإرهاق الجسدي والتعب النفسي لم ينل إلا ما نسبته (9.6%) من الشباب ممن هم في مرحلة التعليم الجامعي. وأما الأكثرية ممن هم في هذه المرحلة فقد أجاب منهم ما نسبته (41%) بأن تحصيله المعرفي لم يتراجع.

وأما من هم في مرحلة التعليم الثانوي منهم فقد أجاب (10.8%) بأن تحصيلهم وأداءهم قد تراجع، في حين أجاب ضعف هذه النسبة، (21.1%)، بأن الإنترنت لم يلتهم عن دراستهم ولم يجعلهم يتراجعون فيها. وكذلك الأمر عند من هم في المرحلة الإعدادية من التعليم. فهناك (7.9%) منهم لم يتراجع تحصيلهم المعرفي مقابل نصف هذا العدد (3.9%) كان قد شعر بهذا التراجع.

وأما فيما يتعلق بالحالة الاجتماعية لهؤلاء الشباب، فقد أثر السهر الليلي على أداء وتحصيل ما نسبته (15.5%) من العزاب منهم، كما أثر أيضاً على ما نسبته (5.05%) من المتزوجين منهم. ولكن الأكثرية لم تتأثر؛ حيث لم يتأثر ما نسبته (40.4%) من الشباب العازب، و (26.2%) من الشباب المتزوج.

وأما فيما يتعلق بطبيعة المتغيرات الأسرية وانعكاساتها على أداء أبنائها، فقد اتضح أن الأسرة التي تربطها بأبنائها علاقة احترام وتقدير لم يتراجع أداء أبنائها، ولا تحصيلهم المدرسي والجامعي، بل زاد كما أوضحت الجداول المخصصة لتبيان ذلك، وهذا ما عكسته إجاباتهم في السؤال التالي:

***السؤال*: زاد تحصيلي المدرسي/الجامعي وتحسن أدائي لعملي بسبب المعرفة التي جنيتها واكتسبتها من الإنترنت بهذا الشأن:**

لم نكتف بإجابات الشباب على السؤال السابق لنتعرف على تأثيرات الإنترنت عليهم في مجال العمل والتحصيل الأكاديمي، بل عدنا لنسألهم من جديد سؤالاً مباشراً ليقيموا مدى الفائدة التي جنوها في المجال الأكاديمي والمهني كما جاء في السؤال أعلاه. وقد عكست إجاباتهم هنا ما كان قد ذهب إليه هؤلاء الشباب من تأكيد على عدم تراجعهم في التحصيل المعرفي والمهني بسبب استعمالهم الإنترنت كما كنا قد أوضحنا في الجدول السابق (انظر الجدول 36).

إذ أجاب ما نسبته (68.6%) منهم بأنهم استفادوا كثيراً من الإنترنت في عملهم ودراستهم. وهذه النسبة العالية تتوافق مع النسبة العالية السابقة أيضاً. وهذا يعني أن الفائدة التي حصل عليها الشباب من الإنترنت في زيادة تحصيلهم العلمي والمهني في هذا الجدول تؤكد ما ذهب إليه الشباب من تأكيد لهذه الفائدة في السؤال السابق.

زاد تحصيلي المدرسي/الجامعي وتحسن أدائي لعملي بسبب المعرفة التي جنيتها واكتسبتها من الإنترنت بهذا الشأن										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	78	16.6	100	21.2	43	9.1	37	7.9	258	54.8
الإناث	52	11	93	19.7	38	8.1	30	6.4	213	45.2
المجموع الكلي	130	27.7	193	40.9	81	17.2	67	14.3	471	100

متغيرات الاجتماعية والأسرية:

يتبين من الجدول أعلاه أن كلا الجنسين من الشباب استفاد من الإنترنت في تحضيرٌ لبحوثه وواجباته المدرسية والجامعية مما انعكس إيجابياً على تحصيلهم في هذا المجال؛ إذ أجابت ما نسبته (30.7%) من الإناث، وأجاب ما نسبته (37.8%) من الذكور بأن تحصيلهم المدرسي والجامعي قد زاد بسبب استثمارهم للمعرفة العلمية التي حصلوا عليها من الإنترنت؛ وزاد أداؤهم لواجباتهم وقيامهم بأعمالهم بسبب هذه المعرفة أيضاً.

وبالعودة إلى الجداول المعنية بتحديد تأثيرات المتغيرات الاجتماعية فقد تبين أن الشباب الجامعي والشباب في المستوى التعليمي الثانوي، هما الأكثر فائدة من بين بقية الشباب في هذا المجال. فقد استفاد ما نسبته (38.1%) من الشباب الجامعي، واستفاد ما نسبته أيضاً (21.1%) من الشباب في مرحلة التعليم الثانوي من الإنترنت في أدائهم لعملهم وتحصيلهم المدرسي والجامعي.

وأما المتغيرات الاجتماعية والأسرية الأخرى فلم تختلف في تأثيراتها عن تأثير المتغيرات في السؤال السابق من حيث انعكاساتها على التحصيل المعرفي والأداء المهني لهؤلاء الشباب. فمثلاً لم يتراجع تحصيل الشباب الجامعي والمدرسي، ولا أداء العاملين منهم ممن تربطهم علاقة قوية مع أسرهم وممن تعاملهم أسرهم معاملة قوامها الديمقراطية والاحترام المتبادل، بل زاد.

السؤال: ساعدني الإنترنت على تنمية مواهبي وتطوير هواياتي وصقل تجربتي في مجالات كثيرة:

ومن الأدوار الأخرى التي لعبها الإنترنت في حياة الشباب، والتي ليس من السهل إغفال فائدتها بسبب ارتفاع نسبة المستفيدين منها هو دوره في تنمية مواهبهم، وصقل تجاربهم وتطوير هواياتهم في المجالات الأدبية والفنية والرياضية.

ويشير الجدول بهذا الخصوص إلى وجود ما نسبته (69.2%) من هؤلاء الشباب كانوا قد لجأوا إلى هذه الوسيلة الاتصالية لتنمية مواهبهم وتطوير تجاربهم وهواياتهم. (انظر الجدول رقم 37)؛ إذ أن ما يتيحه الإنترنت لهم في هذه المجالات قد لا تتيحه لهم مؤسسات أخرى. ومن هذا المنطلق لعب الإنترنت دوراً واضحاً في بناء شخصيات الشباب بإتاحة كل جديد وحديث وعصري أمامهم.

ساعدني الإنترنت على تنمية مواهبي وتطوير هواياتي وصقل تجربتي في مجالات متعددة										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	82	17.4	111	23.6	43	9.1	22	4.7	258	54.8
الإناث	56	11.9	77	16.3	42	8.9	38	8.1	213	45.2
المجموع الكلي	138	29.3	188	39.9	85	18.0	60	12.8	471	100

وأما فيما يتعلق بالمتغيرات الاجتماعية والأسرية، فقد تبين أن هذه الفرصة كانت مفتوحة أمام الجنسين على قدم المساواة؛ فقد استفاد (41%) من الشباب الذكور، واستفادت ما نسبته (28.2%) من الإناث في بناء شخصياتهم أدبياً وفنياً ورياضياً وثقافياً.

وبالإضافة إلى هذا، فقد كانت هذه الفائدة عامة لدى الشباب جميعهم في مختلف أعمارهم ومستوياتهم التعليمية والاجتماعية، وبخاصة العزاب منهم، حيث كانت نسبتهم (40.9%). وأما من كانت خلفياتهم التعليمية جامعية فقد كانت نسبتهم (37.6%)، وأما من تراوحت أعمارهم ما بين (20-23). فقد كانت نسبة من استفاد منهم من الانترنت (21.8%). والفائدة نفسها نجدها أيضاً لدى الشباب الذين تربطهم بأهلهم علاقة متينة وقوية؛ إذ ساعدت هذه الأسر أبناءها من الشباب على تطوير هواياتهم وصقل تجاربهم في ميادين مختلفة.

الإنترنت والانخراط في النشاطات المجتمعية

السؤال: مكنني الإنترنت من المساهمة في بعض الأعمال الخيرية التي طالما تمنيت القيام بها مما أشعرني بإنسانيتي:

ومن الأدوار الإيجابية التي لعبها الإنترنت في حياة هؤلاء الشباب هو تمكينه إياهم من تقديم العون للآخرين، ومساعدته إياهم في المساهمة في بعض الأعمال الخيرية، كالتبرعات للمحتاجين سواء في مجتمعهم المحلي أو المجتمع العربي على حد سواء. فقد أجاب (57.7%) منهم بأن الإنترنت أشعرهم بإنسانيتهم حين استعملوه في هذا النوع من الأعمال الخيرية (انظر الجدول 38). ومن هذا المنطلق حلّ الاتصال عبر الإنترنت محل الاتصال الشخصي المباشر. وهذه ميزة من مزايا الإنترنت التي يجب التركيز عليها من اجل استثمارها في الأعمال الخيرية المتنوعة سواء على المستوى المحلي أو العربي أو الدولي.

فالكثير منهم كان يتمنى أن تتاح لهم فرصة المساهمة بالأعمال الخيرية، كالتبرعات على سبيل المثال، ولكن عقبات كثيرة كانت تحول بينهم وبين ذلك. لهذا، وجدت هذه النسبة من الشباب في الإنترنت فرصتها المواتية والملائمة للقيام بهذه الأعمال. وتتوافق هذه النتيجة مع نتيجة كراوت وزملاؤه، فقد وجدوا في دراستهم الرائدة في هذا المجال، أن بمقدور الانترنت توسيع الدوائر الاجتماعية والتفاعلية للأفرد، وذلك بمساعدته إياهم في الانخراط بشتى النشاطات الاجتماعية (Social involvement)، كالأعمال الخيرية على سبيل المثال. (Kraut, etal, 1998). ولكن هذا لا يعني، أنه لم يساهم في تراجع نشاطات بعض الشباب في الإنخراط بالحياة اليومية والنشاطات الإجتماعية، وبخاصة أولئك الذين تربطهم علاقات ضعيفة مع أسرهم.

مكنني الإنترنت من المساهمة ببعض الأعمال الخيرية في مجتمعي القطري والمجتمع العربي التي طالما تمنيت القيام بها في مجتمعي مما أشعرني بإنسانيتي

درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	76	16.1	103	21.9	63	13.4	16	3.4	258	54.8
الإناث	35	7.4	5.5	12.3	88	18.7	32	6.8	213	45.2
المجموع الكلي	111	23.5	161	34.2	151	32.1	47	10.2	471	100

وقد مكّن الإنترنت الشباب من كلا الجنسين من المساهمة في تقديم العون للآخرين؛ حيث استطاع ما نسبته (38%) من الشباب الذكور، واستطاعت ما نسبته (19.7%) من الإناث استخدامه في تدعيم أواصر المحبة بينهم وبين أفراد المجتمع العربي عن طريق تقديم الهبات والمعونات النقدية والغذائية والكسائية والطبية لمن يحتاجها من هؤلاء الأفراد حين كانت بلادهم تتعرض لبعض المحن أو الكوارث أو المشكلات البيئية.

وقد برزت فائدة أخرى للإنترنت، في الواقع، في هذا المجال وهي فتحه الفرصة أمام الشباب من كلا الجنسين وبمختلف مستوياتهم التعليمية وأوضاعهم الاجتماعية وفئاتهم العمرية من الانضمام إلى جمعيات خيرية واجتماعية، وفرق ونوادٍ رياضية على المستويين المحلي والعربي، وكان هذا واضحاً في إجابتهم على السؤال المتعلق بمعرفة دور الإنترنت في هذا المجال. وأما السؤال المتعلق بمعرفة ذلك البعد الاجتماعي في حياتهم فهو:

السؤال: **سهل عليَّ الإنترنت الانضمام إلى بعض الفرق والنوادي والجمعيات المحلية والعربية:**

سهل علي الإنترنت الانضمام إلى بعض الفرق والنوادي والجمعيات المحلية والعربية											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي		
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	79	16.8	107	22.7	49	10.4	23	4.9	258	54.8
الإناث	36	7.6	77	16.3	65	13.8	35	7.4	213	45.2
المجموع الكلي	115	24.4	184	39	114	24.2	38	12.3	471	100

وفي هذا الصدد تمكّن ما نسبته (63.4%) من هؤلاء الشباب من اللجوء إلى الإنترنت لاستخدامه كوسيلة اتصال مع النوادي والجمعيات المختلفة إما من أجل انضمامهم إليها كأعضاء جدد، وإما من أجل المشاركة في نشاطاتها، كما اتضح معنا في إجاباتهم على السؤال السابق. (أنظر الجدول رقم 39). وتنسجم هذه النتيجة مع ما ذهبت إليه دراسة كراوت وزملائه المشار إليها آنفا؛ حيث وجدت تلك الدراسة أن الإنترنت قد عمل على تعميق الجانب الاجتماعي من حياة أفراد العينة التي درسوها في المجتمع الأمريكي وذلك بتشجيعه إياهم الانضمام إلى جمعيات محلية وعالمية (Kraut, etal, 1998).

المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

وهذه الفائدة للإنترنت استفادت منها الإناث بالقدر الذي استفاده الذكور، أي أن كليهما استخدمه للغاية نفسها وهي الالتحاق أو الانضمام إلى عضوية بعض الجمعيات والنوادي المنتشرة في مجتمعهم المحلي أو المجتمع العربي على حد سواء؛ حيث أجابت (23.9%) من الإناث، وأجاب ما نسبته (39.5%) من الذكور بأنه لولا الإنترنت لما تمكنوا من الانضمام إلى هذه الجمعيات والهيئات الخيرية والنوادي الرياضية.

ولم يكن الانضمام إلى هذه الجمعيات، كما أشرنا، مقصوراً على فئة عمرية أو مستوى تعليمي واجتماعي من الشباب دون غيرها، بل كان عاماً بينهم. فقد استفادت منه الأعمار والمستويات التعليمية والاجتماعية جميعها بنسب متفاوتة؛ حيث كان العزاب وذوو المستوى التعليمي الجامعي هم الأكثر انتفاعاً من غيرهم من الانترنت، كما كانت الفئة العمرية الشبابية المحصور عمرها ما بين (20-23) هي الأكثر استفادة من غيرها في هذا المجال أيضاً.

وأما فيما يتعلق بمتغيرات العلاقة الأسرية، فقد تبين أن الشباب الذين تربطهم علاقات متينة من الاحترام مع أسرهم وعائلاتهم، كانت مساهماتهم في الأعمال الخيرية والانضمام إلى النوادي أكثر من غيرهم من الشباب الذين يفتقرون إلى هذا النوع من العلاقات الأسرية.

وقد برزت إيجابيات الإنترنت كوسيلة اتصال في إجابات الشباب على سؤال آخر ذي علاقة بالسؤال السابق، وهو:

***السؤال:* وجدت في الإنترنت وسيلة مناسبة للتعبير عن آرائي واتجاهاتي الفكرية والعقائدية والسياسية التي لا أستطيع التعبير عنها صراحة في المجتمع:**

كان الدافع الرئيسي لسؤال الشباب هذا السؤال هو محاولة التعرف على مدى استثمارهم واستغلالهم للإنترنت كوسيلة من وسائل التعبير عن آرائهم التي قد لا يستطيعون المجاهرة بها في مناسبات اجتماعية أو سياسية. لذا، فهم يلجأون إليها للتعبير عن وجهات نظرهم في تلك القضايا. وفي هذا الصدد أجاب (65.8%) منهم بأنهم يجدون في الإنترنت وسيلة ملائمة لتوصيل أفكارهم التي لا يستطيعون توصيلها بشكل مباشر أو شخصي. (انظر الجدول رقم 40). ولهذا البعد، بالطبع، دلالاته السياسية الواضحة.

وأما فيما يتعلق بمتغير الجنس هنا، فقد أجاب ما نسبته (39.5%) من الذكور، وأجابت ما نسبته (26.3%) من الإناث بأنهم يرون في الإنترنت فرصة مناسبة للتعبير عن آرائهم، لأنه يتعذر عليهم توصيلها بطرق أخرى. وتؤكد هذه النسبة

المرتفعة من إجابات الشباب مدى أهمية هذه القناة الاتصالية في التعبير عن الآراء والاتجاهات في المجتمعات التي يتعذر فيها التعبير بشكل صريح أو أن أنظمتها السياسية تحدّ من ذلك.

وجدت في الإنترنت وسيلة مناسبة للتعبير عن آرائي واتجاهاتي الفكرية والعقائدية والسياسية التي لا أستطيع التعبير عنها صراحة في المجتمع										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	91	19.3	95	20.2	50	10.6	22	4.7	258	54.8
الإناث	43	9.1	81	17.2	54	11.5	34	7.2	213	45.2
المجموع الكلي	**134**	**28.4**	**176**	**37.4**	**104**	**22.1**	**56**	**11.9**	**471**	**100**

الإنترنت والانفتاح الثقافي

السؤال: **أتاح لي الإنترنت فرصة الاطلاع على عادات وتقاليد وثقافات مجتمعات كثيرة وشعوب مختلفة:**

وبالعودة إلى تحليل إجابات الشباب على الأسئلة المعنية بمعرفة المجالات التي استفاد منها الشباب من الإنترنت كما جاءت في الجداول المعنية بذلك، نجد أن هناك دور آخر لعبه الانترنت في حياة الشباب الفكرية والمعرفية، وهو تمكينه إياهم من الاطلاع على ثقافات شعوب كثيرة، وعادات مجتمعات مختلفة. وهنا نجد الانترنت يشترك مع بقية وسائل الاتصال الجماهيرية في لعب الدور التثقيفي – المعرفي في حياة الشباب. ويُعتبر هذا الدور للانترنت من أهم الأدوار التي يجب العمل على استثمار الشباب لها والإستفادة منها، وذلك بتشجيعهم على استعماله من اجل الاستفادة من المعلومات والمعارف والمهارات التي يمكن أن يقدمها لهم في هذا المجال الثقافي.

وفي الحقيقة، فان هناك ميلاً واضحاً لدى الشباب بهذا الاتجاه؛ إذ مكن الانترنت ما نسبته (79.6%) منهم من تغذية معرفتهم الاجتماعية وإثراء الجانب الثقافي في حياتهم، بما أتاحه لهم من معلومات ومعارف عن حياة الشعوب وعاداتها وأنماط حياتها المختلفة، (انظر الجدول 41). ومع ذلك، فإن هذا الإنفتاح الثقافي لم يكن بلا ثمن، كما سنرى في الفصل القادم.

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فقد استفادت (34.2%) من الإناث من هذه المزيّة للإنترنت، واستفاد الفائدة نفسها ما نسبته (45.4%) من الذكور. ولعل في ارتفاع هاتين النسبتين من الجنسين ما يؤكد الدور الذي يمكن أن يقوم به الإنترنت في الانفتاح الثقافي، بصرف النظر عن الحدود الجغرافية والعرقية والطبقية والسياسية بين مستخدميه من الشباب.

وينظر، في الحقيقة، العديد من علماء الاتصال والاجتماع، وبخاصة ديماجيو وزملاؤه، السابق ذكرهم في الإطار النظري لهذه الدراسة، إلى الدور الفاعل الذي يضطلع به الانترنت في مجال التواصل الثقافي و المعرفي. إذ يعمل أكثر من أي وسيلة اتصال أخرى على نشر الإنتاج الفكري و الثقافي والمعرفي بين مستخدميه

بطريقة متساوية بصرف النظر عن إختلاف الفئات العمرية لمستخدميه، ومستوياتهم التعليمية، وخلفياتهم الاثنية (Ethnic) أو العرقية، وبصرف النظر كذلك عن ألوانهم أو جنسياتهم، شريطة أن تتوافر لدى هؤلاء المشتركين القدرة المادية على اقتناء الكمبيوتر والتليفون كوسائط يتم الاتصال عبر الإنترنت من خلالها. (Dimaggio, etal, 2001).

وأما فيما يتعلق بالمتغيرات الاجتماعية والأسرية فلم تفصح إجابات الشباب عن خلافات جوهرية بينها وبين تأثير المتغيرات في الجداول السابقة، لذا لم نقم برصدها هنا.

أتاح لي الإنترنت الفرصة للاطلاع على عادات وتقاليد وثقافات شعوب كثيرة ومختلفة											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي		
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور	109	23.1	105	22.3	32	6.8	12	2.5	258	54.8	
الإناث	58	12.3	103	21.9	36	7.6	16	3.4	213	45.2	
المجموع الكلي	167	35.4	208	44.2	68	14.4	55	5.9	471	100	

***السؤال:* أتاح لي الإنترنت فرصة التعرّف على شباب وشابات من خلفيات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة من مجتمعي والمجتمع العربي مما أغنى تجربتي الفكرية والسياسية والثقافية:**

لم يعمل الإنترنت كوسيلة اتصال حديثة على مجرد اختراق الحدود الجغرافية بين الشباب العربي فحسب؛ بل اخترق الحواجز الثقافية والسياسية والاجتماعية بينهم أيضاً. ومن هذا المنطلق يمكن اعتباره وسيلة تفاعل اجتماعي وثقافي"عن بعد" بين الشباب العربي تيسّر له فرص اللقاء الفكري، إذا ما عزّ اللقاء الوجاهي المباشر. وهذا الدور، في الواقع، من الأدوار الأخرى المهمة التي يمكن أن يضطلع بها الإنترنت في حياة الشباب في المجتمع العربي في سبيل تقريبهم مع بعضهم البعض، وتعميق وعيهم القومي.

إن هذا الدور التفاعلي للانترنت أقرب ما يكون إلى الدور الذي أشار إليه دانييل ليرنر في بداية الخمسينيات حين قدم نظريته عن الدور الذي يمكن أن تعلبه

وسائل الإعلام في تحديث المجتمعات. حيث يعتقد ليريز، أن هذه الوسائل تستطيع أن توجد حالة من التعاطف أو التقمص الوجداني (Empathy) بين الافراد[1].وهو كذلك الدور الذي يطالب به ديماجيو وزملاؤه الباحثين في مجال سوسيولوجيا الاتصال بإجراء المزيد من الدراسات الامبريقية عليه لاستجلاء طبيعته وفهم آلياته وإمكانية استثماره في نشر المساواة الاجتماعية بين البشر. (المرجع السابق).

المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

وإذا ما عدنا إلى الجدول الذي يوضح مدى استفادة الشباب من الفرصة التي أتاحها لهم الإنترنت في مجال تعارفهم على بعضهم، وتكوين صداقات اجتماعية بينهم تخترق الحدود الجغرافية والثقافية، لرأينا أن أكثرية من استخدمة منهم في حياته اليومية لم يستثني هذه الوظيفة من حساباته؛ إذ أجاب (64.5%) منهم أن الإنترنت قد ساعدهم في التعارف على شباب من مختلف الفئات الاجتماعية والسياسية والثقافية، مما عمل على إثراء تجاربهم الفكرية والثقافية والسياسية، (انظر الجدول رقم42).

وقد استفاد من هذه الوظيفة كلا الجنسين من الشباب، فقد استفادت الإناث منها مثلما استفاد الشباب؛ إذ أجاب ما نسبته (39.5%) من الذكور، وأجابت (25%) من الإناث بأن الإنترنت أتاح لهم فرصاً ثقافية وسياسية وإجتماعية فيما بينهم جعلتهم يشعرون بالقرب النفسي والعاطفي والسياسي مع من تواصلوا معهم في بقية أنحاء المجتمع العربي.

وفي العودة إلى الجداول المعنية بتحديد أعمار هؤلاء الشباب، فقد تبين أنهم جميعهم كانوا قد استفادوا من هذه المزية، ولكنها عند من هو منهم في سن (20-23) كانت أعلى من غيرها؛ حيث بلغت نسبتها عندهم (19.8%)، وكذلك فيما يتعلق بمستوياتهم التعليمية وحالاتهم الاجتماعية؛ فالعزاب والمتزوجون، ومن هم في مرحلة التعليم الثانوي والجامعي كانوا أيضاً أكثر انفتاحاً من غيرهم على الشباب في المجتمع العربي، وتكوين صداقات جديدة معهم؛ إذ بلغت نسبة العزاب

---

(1) انظر هذا الدور لوسائل الإعلام كما يراه دانييل ليرنر في:

Lerner, D. (1964). The Passing of Traditional Society: Modernization in the Middle East. New York: the free press of Glencoe.

هنا (38.7%) وبلغت نسبة المتزوجين (17.8%)، في حين كانت نسبة الشباب الجامعي (31.1%)، والشباب ممن هو في المستوى التعليمي الثانوي (23.2%).

ساعدني أتاح لي الإنترنت فرصة التعارف على شباب وشابات من خلفيات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة من مجتمعي والمجتمع العربي مما أغنى تجربتي الثقافية والسياسية والمعرفية										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	92	19.5	94	20.0	40	8.5	32	6.8	258	54.8
الإناث	41	8.7	77	16.3	46	9.8	49	10.4	213	45.2
المجموع الكلي	133	28.2	171	36.3	86	18.3	81	17.2	471	100

وأما فيما يتعلق بمتغير العلاقة الأسرية وانعكاساتها على الشباب في تكوين علاقات مع كافة الشرائح الثقافية والاجتماعية والسياسية في المجتمع العربي، فقد اتضح أن الشباب ممن يتمتعون بعلاقات قوية مع أسرهم، وممن نشأ منهم في جو تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية واحترام لآرائهم، كانوا أكثر انفتاحاً على الشاب العربي من خلال هذه الوسيلة الاتصالية؛ إذ أجاب ما نسبته (43.3%) ممن تربطهم علاقات احترام وتقدير قوية مع أسرهم أنهم استثمروا الإنترنت، واستفادوا منه في توسيع شبكة علاقاتهم الثقافية والاجتماعية؛ وأجاب كذلك ما نسبته (19.9%) ممن تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية الإجابة نفسها.

***السؤال:* ساعدني الإنترنت على المشاركة في الكثير من النشاطات الفكرية والاجتماعية والسياسية محلياً وعربياً مما لا أستطيع المشاركة فيها بشكل شخصي:**

لم تقتصر تأثيرات الإنترنت الإيجابية باعتباره وسيلة اتصال إلكترونية حديثة، على مجرد اختراق الحدود الجغرافية للوطن العربي لتكوين صداقات جديدة، بل تعدت ذلك لتطال جوانب جديدة من حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية؛ فقد مكنتهم هذه الوسيلة من المشاركة والمساهمة في العديد من النشاطات الفكرية

والاجتماعية والسياسية، سواء في مجتمعهم المحلي أو في المجتمع العربي بشكل عام، والتي لا يستطيعون المشاركة فيها بشكل شخصي ومباشر. وهنا يتضح دور الإنترنت، مرّة أخرى، في قيامه بدور الاتصال الشخصي نفسه إذا ما تعذر هذا الأخير لسبب أو لآخر. وفي هذا الصدد يذهب العديد من علماء الاجتماع إلى اعتبار الاتصال عبر الانترنت، وبخاصة التراسل من خلاله، بمثابة امتداد للاتصال الشخصي وتوسيع للمدى الذي يمكن أن يصل إليه هذا النوع من الاتصال (Bellamy, A, and Hanewicz, 2001, Anderson, R,1995).

المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

وتؤكد إجابات الشباب هنا تلك الفائدة. فحين سألناهم فيما إذا كانوا قد استفادوا من هذه الخدمة التي يقدمها لهم الإنترنت أجاب (67.0%) منهم بالإيجاب. وهي نسبة تقارب النسبة السابقة ممن استخدموه في تكوين معارف عبر – حدودية وعبر – ثقافية. انظر الجدول (رقم 43).

ساعدني الإنترنت على المشاركة في الكثير من النشاطات الفكرية والاجتماعية والسياسية محلياً وعربياً مما لا أستطيع المشاركة فيها بشكل شخصي										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	77	16.3	107	22.7	56	11.9	18	3.8	258	54.8
الإناث	41	8.7	91	19.3	48	10.2	33	7.0	213	45.2
المجموع الكلي	118	25.0	198	42.0	104	22.1	51	10.8	471	100

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فقد أشار الجدول المخصص لذلك، إلى استفادة كلا الجنسين من ذلك؛ حيث بلغت نسبة الإناث ممن لجأن إلى الإنترنت ليشاركن في نشاطات فكرية وسياسية واجتماعية محلية وعربية (الاتجاه المعاكس، للنساء فقط، الرأي الآخر، سيرة وانفتحت.. إلخ) (28%)، مقابل ما نسبته (39%) لزملائهم من الذكور. أي أن هناك (132) فتاة شاركن في هذه

النشاطات المختلفة. وفي مجتمع محافظ، كالمجتمع القطري، فإن هذه النسبة ذات دلالة، برأي الباحث، فهي إشارة إلى قدرة المرأة القطرية في المساهمة في النشاطات العديدة محلياً وعربياً إذا ما وجدت الوسيلة المناسبة والصحيحة لتوصيل صوتها ورأيها إلى أكبر عدد ممكن من الجماهير العربية. وقد بينت الجداول أن الفتيات ممن يعشن في جو أسري يسوده الود والاحترام، كن أكثر مشاركة من غيرهن في هذه النشاطات والمناسبات الاجتماعية، مما يعكس دور الإسرة في تفتح شخصية بناتها وصقل تجاربهن وتعميقها، وانفتاحهن على العالم الآخر.

الخلاصة

إتسعت مجالات استخدام الشباب للإنترنت وامتدت لتطال جوانب أخرى غير الجوانب النفسية السابقة التي كنا قد أوضحناها في الفصل السابق؛ إذ استطاعت هذه الوسيلة الاتصالية أن تقوم بدور حيوي في استثمار الشباب لأوقات فراغهم، وتعميق معرفتهم الدينية، وصقل مواهبهم وتنميتها، وزيادة تحصيلهم المعرفي وأدائهم المهني؛ كما لعبت دوراً جوهرياً في مساعدتهم على المساهمة بالأعمال الخيرية، والانضمام إلى بعض الجمعيات الاجتماعية والنوادي الرياضية والثقافية، بالإضافة إلى دوره الفاعل في انفتاح الشباب على ثقافات الشعوب والمجتمعات المختلفة.

ومن الأدوار الإيجابية الأخرى التي قام بها الإنترنت هي مساعدته الشباب في التعبير عن وجهات نظرهم السياسية والاجتماعية والدينية التي قد لا يستطيعون التعبير عنها جهاراً وبشكل صريح في مجتمعهم؛ إضافة إلى تمكينه إياهم من المشاركة في النشاطات الفكرية والاجتماعية التي تدور في مجتمعهم المحلي والمجتمع العربي الأكبر.

الفصل السابع

الإنترنت: التأثيرات السلبية

مقدمة

الإدمان والعزلة النفسية والاجتماعية

العلاقات العاطفية الإلكترونية

الإغتراب والعولمة الثقافية/ الإعلامية

خلاصة

الإنترنت: التأثيرات السلبية

مقدمة

على الرغم من التأثيرات الإيجابية التي تركها الإنترنت على الشباب، والأدوار الفاعلة التي لعبها في حياتهم النفسية والاجتماعية والفكرية والمعرفية والثقافية التي حددناها في الفصلين السابقين، إلا أنه ترك فيهم بعض التأثيرات السلبية التي يجب الوقوف عندها لنستجلي انعكاساتها على واقعهم الاجتماعي والثقافي.

ومن أجل معرفة هذه التأثيرات، قمنا بوضع عدد من الأسئلة، التي حاولنا من خلالها تحديد أبرز المجالات التي من المتوقع أن يكون الإنترنت قد مسها بشيء من التغيير. وعليه، فإن أهداف هذا الفصل تكمن في معرفة الأبعاد الثقافية التالية للإنترنت:

1- هل أفضى استخدام الشباب للإنترنت إلى إدمانهم عليه بحيث عزلهم نفسياً واجتماعياً عن أسرهم ومحيطهم الإجتماعي؟

2- هل أثرت عواطف الشباب الإلكترونية نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت على علاقاتهم الأسرية والزوجية؟

3- هل تاثر الشباب بأنماط معيشة المجتمعات التي يشاهدونها في الإنترنت؟ وهل يرون فيها أنماطاً جديرة بالتقليد والتماهي معها؟ بمعنى آخر، إلى أي حد يشعر الشباب بالإغتراب عن مجتمعهم نتيجة التباين الثقافي والإجتماعي بين مجتمعهم والمجتمعات الأخرى التي يشاهدونها في الإنترنت؟

4- كيف يقيّم الشباب الدلالات الثقافية والإيديولوجية لما يعرضه عليهم الإنترنت من أنماط معيشية مختلفة عن أنماط معيشتهم؟ هل يرون فيها غزواً ثقافياً لمجتمعهم العربي المسلم؟ أم هي مجرد مضامين خالية من هذه الدلالات برأيهم؟

الإدمان والعزلة النفسية والاجتماعية

مقدمة

يلاحظ المراجع للأدبيات المتعلقة بموضوع الإدمان على الإنترنت، سواء في المجتمعات الغربية أم العربية، أن الباحثين الاجتماعين لم يتوصلوا بشكل جازم إلى نتائج قطعية حول مدى ارتباطه بالعزلة النفسية والاجتماعية التي يشعر بها الشباب في المجتمعات المعاصرة، وان كانت الإكثرية من هذه الادبيات تميل الى تـرجيح قوة هذا الإرتباط.

فهناك، على سبيل المثال، فريق من الباحثين يـرى ان الاسـتخدام المكثـف والمفرط لشبكة الإنترنت يسبب ادماناً لدى مستخدميه، تتشابه اعراضـه ونتائجـه الضارة مع أعراض ونتائج أي إدمان آخر، كتعـاطي الخمـور أو المخـدرات أو المشروبات الروحية. وقد أطلق الباحثون على هذا النوع من الإدمـان مـصطلحا خاصا أسموه "ادمان الانترنت" (Internet Addiction). وأما أعراض هذا النوع من الادمان فهي، برأيهم، كثيرة أهمها الإنسحاب من الواقع الإجتماعي (العزلـة)، والقلق، والتوتر النفسي، والمعاناة النفسية والجسدية عند انقطاع الاتصال بالـشبكة، والتبرم من الأهل اذا ما حاولوا منعهم من هذا الإتصال (Goldberg, I, 1996, King, A. 1996, Sleek, S, 1998, Young, K. 1998, Kraut, R, etal. 1998).

ويستند هؤلاء الباحثون في تدعيم وجهات نظرهم إلى دراسات ميدانيـة مـن جهة، وإلى تزايد اعداد الشباب الذين يترددون على العيادات النفـسية والتأهيـل للتخلص من هذه الاعراض من جهة أخرى.

وهناك فئة أخرى أيضاً من الباحثين لها وجهة نظر مختلفة تماما عن وجهـة النظر السابقة؛ فهي وإن كانت تقر بأن الانترنت يباعد بين مستخدميه وبين عالمهم الحقيقي، الا انه في الوقت نفسه يتمتع بقدرة عالية على توفير عـالم جديـد لهـم، أطلقوا عليه مصطلح العالم "الافتراضي– المتخيـل" (Virtual – Reality). عـالم يعيشون فيه بدلا عن عالمهم الحقيقي– الفعلي، ويلبي لهم رغباتهم، ويـشبع لهـم حاجاتهم ويجيبهم عن تساؤلاتهم، ويربطهم بمعارف وصداقات جديدة تغنيهم عـن صداقاتهم الفعلية، عالم بعيد عن ضغوطات الاسرة والمجتمع وتحكمهما بهم، عـالم

"اخر" غني كل الغنى، ومختلف كل الاختلاف عـن العـالم الفعلـي الـذي يعـج بالضغوطات النفسية والاجتماعية والاخلاقيـة والـسياسية. (Turkel, S, 1996, Rheingold, H, 1993). فهذه إيجابيات و مزايا للإنترنت، كما يقولون، وليست سلبيات، كما يرى الفريق الأول.

ولا تنوي الدراسة الولوج في هذا الجدل قبل أن يتبين لها اتجاهـات الـشباب أنفسهم في هذه المسألة. لذا قمنا، كما قلنا، بوضع أسئلة تقيس مدى ما يعانيه الشباب من إدمان على الإنترنت. وقد استعنا في ذلك بالمقاييس التي اسـتخدمها البـاحثون الاجتماعيون والنفسيون في قياس الإدمان، وبخاصة مقيـاس بلامـي وهـانوفيز (2001) ويونج (Young, K, 1998) وكـذلك برنـر (Brenner, V, 1996)؛ حيث اعتمدوا في ذلك على مقدار الوقت الذي يقـضيه المـستخدم فـي اسـتعمال الانترنت، اضافة إلى مقياس كراوت وزملائه الذين اعتمدوا فيه على قياس مـدى انتشار أعراض الإدمان بشكل عام بين مستخدمي الانترنت كالعزلة والقلق والتوتر والتبرم من الأهالي إذا ما حالوا دون استخدام الانترنت.

فهل يعاني الشباب القطري من مظاهر الإدمان على الإنترنت؟ وهل أفـضى هذا الإدمان إلى عزلتهم النفسية والاجتماعية عن أسرهم وعـائلاتهم؟ سـنقوم الآن بتحليل إجاباتهم على ذلك.

تحليل النتائج

***السؤال:* تشعر بالضيق والتوتر والعصبية عندما تنقطع عن استعمال الإنترنت ولو لفترة قصيرة.**

شكا عدد محدود من الشباب الذين أجابوا عن هذا السؤال من بعض أعـراض الإدمان على الإنترنت التي يشكومنها عادة مـدمنو الإنترنـت كـالقلق والتـوتر والضيق؛ إذ أجاب منهم ما نسبته (30.7%) بأنهم يشكون من هذه الأعراض. ولكن الغالبية العظمى منهم وهي (69.2%) فلم تشك منها حين انقطعت عن اسـتعمالها للإنترنت.

وربما يعود عدم إنتشار أعراض الإدمان على الإنترنت بنـسبة عاليـة بـين الشباب إلى تدني عدد ساعات استعمالهم للإنترنت، فهم ليسوا مستخدمين مفـرطين (Not Heavy Users)، وليسوا ذووخبرة طويلة في ذلك؛ إذ اتضح من الجدولين (11 و12) من الفصل الثالث المعنيين بتحديد عدد ساعات استخدام الـشباب للإنترنـت وعدد سنوات خبرتهم في ذلك، بأن أعلى نسبة ممن يستخدم الانترنت منهم كانـت (38.6%)، وهذه النسبة لا تستخدمه أكثر من أربع ساعات يومياً؛ وتبيّن كـذلك أن أعلى نسبة منهم، وهي (34.9%) لا تزيد خبرتها في استعمال الإنترنت عـن (4) سنوات.

ويرجع السبب الآخر في عدم انتشار أعراض الإدمان على الإنترنـت بـين الشباب بنسبة مرتفعة إلى تلك القوّة التي تتصف بها العلاقات الاجتماعيـة داخـل الأسرة؛ إذ حالت هذه العلاقات، إلى حد كبير، دون وقوع أبنائها من الـشباب فـي الإدمان على الإنترنت. وتدعم إجابات الشباب علـى الـسؤال المتعلـق بوصـف علاقاتهم بأسرهم من حيث القوّة والاحترام والتقدير هذا التفـسير. فقـد تبـيّن ان الشباب الذين ربطتهم بأسرهم علاقات قوية ومتينة قامت على الاحترام المتبادل لا يعانون من الضيق والتوتر، إذا ما انقطعوا عن اسـتخدامهم للإنترنـت؛ إذ كانـت نسبتهم (53.9%).

وهذا ما أكدته كل من دراستي كراوت وزملاؤه السابقة الذكر، وبرنر، حيـث توصلوا إلى وجود علاقة قوية بين الإدمان على الإنترنـت وضـعف العلاقـات

الأسرية من جهة، وبين كثرة عدد ساعات الاستعمال وبين الإدمان أيضاً من جهة أخرى. (Kraut, R, etal, 1998, Brenner, V. 1996).

وبالإضافة إلى هاتين الدراستين، فإن هذه النتيجة تتوافق كذلك مع نتائج دراسة اخرى قام بها بيلامي وهانوفتز. حيث توصلا في دراستهما التي اجرياها على (114) طالباً من طلبة البكالوريوس والدراسات العليا في المجتمع الامريكي الى ان العوامل الوسيطة، كالاسرة والعلاقات الشخصية، تحول دون ادمان الشباب على الانترنت؛ فكلما زاد تقبل الاسرة لابنائها من الشباب قلت مظاهر الادمان النفسي عندهم على الانترنت (Bellamy, A, and Hanewicz, C. 2001).

المتغيرات الأسرية:

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فإن عدم الإدمان على الإنترنت لم يكن مقصوراً على جنس بعينه. فكلا الجنسين لم يصل به استعماله للإنترنت إلى حد العزلة النفسية والاجتماعية عن أسرته؛ إذ كانت نسبة الإناث ممن لم يشعرن بالضيق والتوتر بسبب انقطاعهن عن استخدام الإنترنت متقاربة مع نسبة الذكور، حيث كانت هذه النسبة (30.4%) عند الإناث مقابل (38.8%) عند الذكور (انظر الجدول رقم 44).

وأما نسب الإناث والذكور ممن شعر بتوتر وضيق حين انقطع عن استخدام الإنترنت، ولولفترة قصيرة، فقد كانت نسباً متقاربة من بعضها. إذ بلغت هذه النسبة عند الإناث (14.9%)، وبلغت عند الذكور (16%).

وأما أعمار هؤلاء الشباب، فيلاحظ وجود تدن في النسب المئوية للفئات التي لم تشعر بالعصبية والضيق والتوتر حين انقطعت عن استخدام الإنترنت؛ حيث كانت أعلى نسبة مئوية لفئة عمرية شعرت بهذا الشعور هي (10.8%) وكانت بين الشباب الذين تقع أعمارهم ما بين (20–23) سنة. وأما نسبة الشباب الذين تقع أعمارهم ما بين (17–20) سنة فقد كانت (5.7%)، وكانت هذه النسبة متدنية أيضاً عند الشباب الذين تقع أعمارهم ما بين (26–29) سنة، حيث بلغت هذه النسبة (4.9%).

تشعر بالضيق والتوتر والعصبية عندما تنقطع عن الإنترنت ولو لفترة قصيرة												
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		لم يجب		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	30	6.4	45	9.6	125	26.5	58	12.3	–	–	258	54.8
الإناث	30	6.4	40	8.5	90	19.1	53	11.3	–	–	213	45.2
المجموع الكلي	60	12.7	85	18.0	215	45.6	111	23.6	–	–	471	100

***السؤال:* تشكومنك أسرتك بسبب طول الوقت الذي تقضيه مشغولاً عنهم بالإنترنت:**

لقد حاولنا من خلال هذا السؤال التعرف على عرض آخر من أعراض إدمان الشباب على الإنترنت، ألا وهو تذمّر أسرهم منهم بسبب انشغالهم وابتعادهم عنها بالانترنت. فهل أدى هذا الانشغال إلى عزلة الشباب عن أسرهم بحيث بدأت هذه الاسر بالتذمر والشكوى منهم لأنهم لم يعودوا يجلسون ويتواصلون معهم كما كان الحال قبل تعوّدهم على الانترنت؟

تشير إجابات الشباب في هذا الصدد إلى وجود تذمر عند بعض الأسر من أبنائها؛ إذ بلغت نسبة الأسر المتذمرة (36.7)، حيث شعرت هذه النسبة من الأسر بأن أبناءها لم يعودوا كما كانوا عليه قبل تعوّدهم على استخدام الإنترنت، يجلسون ويتحادثون معهم في الشؤون الاسرية، والقضايا العامة. ومع ذلك فإن غالبية هذه الأسر وهي (63.1%) لم تتذمر أوتشكومن أبنائها لأنها لم تشعر بفرق كبير بين تواصلها وتفاعلها مع أبنائها قبل استعمالهم للإنترنت وبعد هذا الاستعمال. (انظر الجدول رقم 45).

المتغيرات الأسرية:

اتضح من إجابات الشباب، كما جاءت في الجداول، أنه كلما كانت علاقة الأسرة بأبنائها قوية ومبنية على الاحترام المتبادل، قلّ تذمرها من ابنائها بسبب

استعمالهم للإنترنت، والعكس صحيح، فكلما كانت العلاقة ضعيفة زاد تـذمر هـذه الأسر وشكواها. فهناك ما نسبته (47.3%) من الشباب ممن ربطتهم علاقات قوية بأسرهم، أجاب بأن أسرهم لا تشكومنهم، بسبب انشغالهم عنها بالإنترنـت، اي ان استعمالهم للانترنت لم يؤثر على تواصلهم وتفاعلهم ومجريات حياتهم اليومية مـع محيطهم الخارجي.

درجة الموافقة / الجنس	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		لم يجب		المجموع الكلي	
تشكومنك أسرتك بسبب طول الوقت الذي تقضيه مشغولاً عنهما بالإنترنت												
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	25	5.3	59	12.5	135	28.7	39	8.2	–	–	258	54.8
الإناث	27	5.7	62	13.2	68	14.4	55	11.7	1	0.2	213	45.2
المجموع الكلي	52	11	121	25.7	203	43.1	94	20	1	0.2	471	100

وأما فيما يتعلق بجنس هؤلاء الشباب فيبين الجـدول أن هنـاك مـا نسـبته (36.9%) من الذكور أجابوا بأن أسرهم لا تشـكومنهم بسـبب انشـغالهم عنهـا بالإنترنت، وأجابت ما نسبته (26.1%) من الإناث الإجابة نفسـها، وأمـا نسـب الموافقين من كلا الجنسين على وجود تذمر من أسرهم فقد تطابقت تقريباً؛ حيـث شكت ما نسبته (18.9%) من اسر الإناث مقابل شكوى ما نسبته (17.8%) مـن أسر الذكور.

وأما أعمار هؤلاء الشباب فإن أعلى نسبة ممن لم تشكُ منهم أسرهم فقد كانت فئة الشباب المحصور عمرها بين (20-23) سـنة، حيـث كانـت النسـبة هنـا (16.8%)، تلتها الفئة العمرية المحصور عمر الشباب فيها بين (26-29) سنة، إذا كانت النسبة (13.4%).

السؤال: **تشعر بالضيق والانزعاج من زيارات الأقارب لأنها تقطع عليك انهماكك في الإنترنت:**

لقد تابعنا مسألة إدمان الشباب على الإنترنت، فقمنا بتوجيه سؤال آخر إليهم بهذا الخصوص، يتعلق بتذمرهم وشكواهم من زيارات أقاربهم لهم، لأن مثل هذه الزيارات، برأيهم، تقطع عليهم مواصلة استعمالهم للإنترنت. إن التذمر والتبرّم من هذه الزيارات هو مظهر آخر من مظاهر الإدمان على الإنترنت. لذا قمنا بتوجيه السؤال أعلاه لنتعرّف على حقيقة مشاعرهم نحوهذه الزيارات. وفي هذا الخصوص لم يكشف الجدول المعني بذلك عن مثل هذا الانزعاج، إلا لدى عدد قليل منهم. فهذه الزيارات، كما بدا من إجاباتهم، لا تشكل عبئاً عليهم يحول دون انهماكهم باستخدام الإنترنت. فقد أجاب ما نسبته (24.2%) فقط بأنهم انزعجوا من هذه الزيارات، ولكن النسبة الكبيرة منهم (75.8%) لا تشاطر زملاءها هذا الإحساس. (انظر الجدول رقم 46).

تشعر بالضيق والانزعاج من زيارات الأقارب لك، لأنها تقطع عليك انهماكك في الإنترنت										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	23	4.9	47	10.0	122	25.9	66	14.0	258	54.8
الإناث	16	3.4	28	5.9	92	19.5	77	16.3	213	45.2
المجموع الكلي	39	8.3	75	15.9	214	45.4	143	30.4	371	100

المتغيرات الأسرية:

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فيتضح من الجدول نفسه، أن نسبة الشباب ممن أزعجتهم هذه الزيارات هي نسبة متدنية عند كلا الجنسين، مقارنة بنسبة من لم تزعجهم، وإن كانت هذه النسبة عند الذكور أعلى من نسبتها

عند الإناث؛ حيث كانت نسبة الذكور (14.9%) ونسبة الإناث (9.3%). وأما نسبة الذكور الذين لم يشعروا بهذا الضيق، فقد كانت (39.9%)، ونسبة مثيلتها عند الإناث (35.8%). وهذا يعني أن استخدام الإنترنت لم يشكل لهم إدماناً يجعلهم يتضايقون من زيارات أقاربهم.

ما هي طبيعة علاقات هؤلاء الشباب أصلاً بأقاربهم قبل تعودهم على الإنترنت؟ وهل أثر الإنترنت على هذه العلاقة القرابية؟ لقد قمنا بوضع سؤال يحاول معرفة ذلك، تبيّن من خلال إجاباتهم عليه أن الذين جمعتهم علاقات قوية مع أسرهم لم ينزعجوا من هذه الزيارات؛ إذ كانت نسبتهم (42.3%). وهذه النسبة المرتفعة تدل على أن هؤلاء الشباب غير مدمنين على الإنترنت. فبإمكانهم التوقف عن استعماله حين يزورهم أحد من أقاربهم، لأن العلاقة التي تربطهم بهؤلاء الأقارب أقوى من علاقاتهم بالإنترنت.

وأما من وصفوا علاقاتهم بأقاربهم من حيث التعاون والتفاعل والانسجام بأنها "ضعيفة" في الأصل، فلم يشعر بالإنزعاج منهم سوى نسبة ضئيلة جداً هي (2%). فهذه الزيارات لا تعني لديهم شيئاً لأنها في الأصل ضعيفة كما قلنا.

وهكذا يتضح من إجابات الشباب على الأسئلة السابقة، بعض أعراض الإدمان على الإنترنت لديهم، ومع ذلك فهي ليست عامة الانتشار، لغاية الآن من عمر هذه الوسيلة الاتصالية. ولكن هل ستتزايد نسب هذه الأعراض مستقبلاً إذا ما كثّف الشباب من استعمالاتهم للإنترنت، وضعفت العلاقات التفاعلية التبادلية بينهم وبين اسرهم؟ سؤال ليس بمقدورنا الإجابة عليه هنا،بشكل دقيق وجازم، ولكننا ميالون الى الاعتقاد بذلك بناءً على المعطيات التي وجدناها في هذه الدراسة، ودراسات غيرنا من الباحثين الذين أشرنا إليهم.

العلاقات العاطفية الإلكترونية

مقدمة

يرى بعض الباحثين في مجال الاتصال الإلكتروني، وبخاصة باركس، ان الانترنت، بوصفه أهم قنوات هذا النوع من الاتصال، عمل على إدخال تغييرات ملموسة في مجال العلاقات العاطفية بين الجنسين، لم تكن متاحة امامهم من قبل؛ اذ يرى باركس ان الموقف الاتصالي عبر الانترنت،يسمح بكثير من المرونة للفرد ليقدم نفسه للاخرين باكثر من طريقة تساعده في الافصاح عن عواطفه بشكل حر (Parks, M, 1996). إذ تبين ان الاتصال عبر الإنترنت له خصائص اتصالية تجعله ذا جاذبية اتصالية من نوع خاص تتيح للفرد فرصة تقديم نفسه للاخر (Self-presentation) بحرية شبه تامة دون قيد أوتكلف. إضافة الى قدرته على مساعدة الأفراد على بناء علاقات وصداقات اجتماعية تتسم بالإيثار والغيرية (Altruistic Friendship)، لا تقل عن تلك الغيرية والحميمية الموجودة في صداقاتهم التي كونوها من خلال اتصالاتهم الشخصية المباشرة (المرجع السابق).

وقد أردنا في هذا الجزء من الفصل، التأكد من صدق ما ذهب اليه باركس وغيره من الباحثين في هذا المجال. فقمنا بتوجيه بعض الأسئلة الى الشباب ليحددوا لنا طبيعة مشاعرهم نحوعلاقاتهم التي كوّنوها مع الآخرين عبر الانترنت، وبخاصة مع "الجنس الآخر"، وانعكاسات ذلك على حياتهم العاطفية والاسرية. صحيح أننا كنا قد وقفنا على معرفة هذه المشاعر في الفصل الرابع، ومع ذلك فإننا لم نكن حينها معنيين بصدقية هذه العلاقات أو زيفها، أو نضجها أو اتزانها، ولا بإنعكاساتها عليهم، مرجئين ذلك إلى هذا الفصل.

تحليل النتائج

سؤال: تشعر بأن علاقاتك التي كونتها مع "الجنس الآخر" عبر الإنترنت هي علاقات خاطئة وزائفة وغير ناضجة:

توافقت إجابات الشباب على هذا السؤال مع إجاباتهم عن الأسئلة التي ناقشناها في الفصل الرابع حين طلبنا منهم تقييم قوّة مشاعرهم وأحاسيسهم نحومن تعرفوا إليهم عبر الإنترنت من كلا الجنسين مقارنة بقوة تلك المشاعر تجاه من تعرفوا إليهم من خلال التفاعل الشخصي المباشر؛ إذ اتضح لنا حينها (الفصل الرابع) أن مشاعرهم نحوهذين النوعين من العلاقات لم تكن متعادلة ولا متكافئة من حيث القوة، بل مالت في قوتها لصالح العلاقات الوجاهية المباشرة/ الحيّة. وأما هنا في هذا السؤال فنحن معنيّون ببعد آخر من أبعاد هذه العلاقة لا يتعلق بقوتها أو ضعفها بل بمدى حميميتها أو زيفها. أي أننا معنيّون هنا بمعرفة انعكاسات هذا النوع من العلاقات المكونة عبر الإنترنت على حياة الشباب الأسرية والزوجية.

وبهذا الخصوص أشار الجدول الى ارتفاع ملحوظ في نسبة الشباب الذين شعروا بعدم حميمية هذا النوع من العلاقات العاطفية التي كونوها مع "الجنس الاخر" عبر الانترنت. (انظر الجدول رقم 47).

تشعر بأن علاقاتك التي كونتها مع الجنس الآخر عبر الإنترنت هي علاقات خاطئة وزائفة وغير ناضجة.											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	73	15.5	87	18.5	60	12.7	38	8.1	258	54.8
الإناث	49	10.4	59	12.5	48	10.2	57	12.1	213	45.2
المجموع الكلي	122	25.9	146	31.0	108	22.9	95	20.2	471	100

اذ حكم ما نسبته (56.9%) منهم على خطأ هذه العلاقة واصفاً اياها بالعلاقة الزائفة وغير الناضجة. ومع ذلك فهناك نسبة مرتفعة نسبياً شعرت بحميمية هذه العلاقات، ولم تشعر بزيفها أو خطئها؛ إذ بلغت هذه النسبة (43.1%). وهذه النسبة تجعلنا نتنبه، مرة اخرى، الى قدرة هذا النوع من الاتصال على تكوين مثل هذا النوع من العلاقات العاطفية بين الجنسين في المجتمع.

المتغيرات الأسرية:

يعكس الجدول المعني بتحديد متغير جنس الشباب إلى اختلاف في وجهات نظر كل منهما في مثل هذا النوع من العلاقات. فنسبة الشباب الذكور الذين حكموا عليها بالزيف وعدم النضج كانت أعلى من نسبة أولئك الذين لم يرونها كذلك؛ إذ كانت نسبة من وصفها بالزيف (34%) ونسبة من لم يصفها هكذا فكانت (20.8%). وأما الفتيات فقد تقاربت وجهات نظرهن في مثل هذا النوع من العلاقات؛ إذ شعرت ما نسبته منهن (22.9%) بزيف هذا النوع من العلاقات وعدم نضجها، في حين لم تشعر ما نسبته (22.2%) بذلك.

ولعل هذا مؤشر على أن الفتيات يملن أكثر من الذكور، بحكم امتثالهن للضغط الاجتماعي الممارس عليهن من أجل عدم الاتصال والتحدث وجهاً لوجه مع الذكور، إلى تكوين علاقات غير مباشرة، (الكترونية)، مع "الجنس الآخر" عبر الإنترنت؛ إذ وجدت هذه النسبة منهن في هذه الوسيلة الاتصالية الإلكترونية ما يشبع لديهن الميل إلى تكوين علاقات عاطفية "غير مكشوفة" مع "الجنس الآخر". فهذه العلاقات، بالنسبة لهن، تبقى أقل ضرراً ومساءلة أسرية لأنها تبقى تحت السطح: مكتومة ومخفية وسرية. ومن هذا المنطلق لم ينظرن إلى هذه العلاقات بأنها خاطئة أوغير ناضجة.

وأما فيما يتعلق بمتغيرات العلاقة الأسرية فقد كشفت الجدول عن وجود علاقة بين العلاقة الأسرية التي تجمع الشباب بأسرهم وبين شعورهم وإحساسهم بالصدمات النفسية والعاطفية التي سببتها لهم علاقاتهم الالكترونية التي كونوها عبر الإنترنت. فالشباب الذين ربطتهم علاقة قوية مع أسرهم، مبنية على الصراحة والصدق والانفتاح، شعروا بهذه الصدمات أكثر من غيرهم. وتفسير ذلك يعود،

برأي الباحث، إلى أن الشباب الذين تعاملهم أسرهم بهذه الطريقة إنما يتوقعون من الآخرين معاملة بالمثل؛ أي معاملة قائمة على الصدق والصراحة. فإذا ما عاملهم الاخرون معاملة مخالفة لتوقعاتهم منهم (كأن يعيطهم أحدهم اسماً مستعاراً، أوموعداً ولم يلتزم به)، فإنهم سيشعرون بصدمة قوية واحباط شديد.

وقد تابعنا استقصاءنا للتأثيرات السلبية للإنترنت على الشباب لكشف المزيد من انعكاساتها على حياتهم الأسرية والزواجية بتوجيهنا سؤالاً آخر اليهم وهو:

***السؤال:* سببت لك علاقاتك وصداقاتك التي كونتها عبر الإنترنت مشكلات مع زوجك/أسرتك كادت تدمر حياتك الزواجية والأسرية:**

في الحقيقة كنّا قد بيّنا في الجداول السابقة أن بعضاً من العلاقات التي كوّنها الشباب مع الآخرين عبر الإنترنت لم تكن سارة ووديّة في معظمها، بل مؤلمة. وحين تابعنا انعكاسات ذلك على العلاقة الزوجية والأسرية اتضح أنّ هناك (137) شابةً وشاباً، أي ما نسبته (29.1%) كادت العلاقات الالكترونية المتشكلة عبر الإنترنت، تعصف بعلاقاتهم الزوجية والاسرية. (أنظر الجدول رقم 48).

سببت لك علاقاتك وصداقاتك التي كونتها عبر الإنترنت مشكلات مع زوجك/ أسرتك كادت تدمر حياتك الزوجية والأسرية										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	38	8.1	55	11.7	76	16.1	89	18.9	258	54.8
الإناث	16	3.4	28	5.9	77	16.3	92	19.5	213	45.2
المجموع الكلي	54	11.5	83	17.6	153	32.4	181	38.4	471	100

صحيح أن (70.8%) من هؤلاء الشباب لم تسبب لهم علاقاتهم العاطفية عبر الإنترنت أية مشكلات مع أزواجهم أو أسرهم، ومع ذلك فإن النسبةالسابقة (29.1%) تبقى نسبة لا يستهان بها في مجتمع محافظ كالمجتمع القطري. فما الذي

يدفع بمتزوج إلى تكوين "علاقات جانبية" خارج العلاقة الزوجية؟ هل هي انعكاس لعدم التوافق والانسجام العاطفي بين الزوجين، بسبب اكراه أحدهما على الزواج دون رضاه؟ أم هل هي نتيجة جهل أحد الزوجين وعدم تقديره للعواقب السيئة والضارة التي قد تعود على أسرته أوزواجه نتيجة مثل هذه العلاقة[1]؟ أم هل هي ضرب من اللامبالاة؟ تبقى هذه الأسئلة مشروعة حتى في حالة الشاب غير المتزوج؛ إذ اتضح معنا في الجداول السابقة، أن هناك نسبه من الشباب غير المتزوجين يلجأون إلى استخدام الإنترنت لتكوين علاقات عاطفية مع "الجنس الآخر".

المتغيرات الأسرية:

وأما فيما يتعلق بمتغير الجنس، فيتبين أن نسبة الشباب الذكور ممن تسببت لهم علاقاتهم بمشكلات أسرية كانت أعلى من نسبة مثيلتها عند الإناث؛ حيث كانت النسبة (19.8%) و(9.3%) لكل منها على التوالي.

وأما أعمار الشباب الذين تسببت لهم هذه العلاقة بمشكلات أسرية وعائلية فقد تراوحت ما بين (20–23) و(26–29) سنة؛ إذ بلغت النسبة المئوية للفئة العمرية الأولى (8.1%)، وبلغت للنسبة العمرية الثانية ما مقداره (6.4%).

وأما فيما يتعلق بالمستوى التعليمي، فقد كان الشباب ممن هم في مرحلة التعليم الثانوي أكثر تضرراً من غيرهم بسبب هذه العلاقات؛ إذ عبر ما نسبته (13.6%) منهم عن هذا الضرر، كما عبر ما نسبته (10.2%) ممن هم في المستوى الجامعي من التعليم عن الضرر نفسه.

وبالنظر إلى الجدول المعني برصد إجابات المتزوجين والعزاب من هؤلاء الشباب على هذا السؤال، فقد اتضح أن العزاب هم أكثر تضرراً بسبب هذا النوع من العلاقات من أولئك المتزوجين. حيث أجاب (14%) منهم بأن علاقته بأسرته كادت تتدمر بسبب هذه العلاقات، وأما نسبة المتزوجين الذين أجابوا هذه الإجابة فقد

---

(1) من أجل اطلاع أوسع على أسباب الطلاق في المجتمع القطري انظر:

– كلثم الغانم (1998). ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري: دراسة ميدانية: جامعة قطر: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية..

كانت (11.9%)، وأما نسبة الخاطبين منهم فقد كانت (2.6%)، ونسبتي الأرامل والمطلقين فقد كانت نسبتهم ضئيلة جداً تكاد لا تذكر لأن نسبة تمثيلهم في العينة أصلاً نسبة ضئيلة وقليلة.

وأما فيما يتعلق بمتغير العلاقة الأسرية، فلم يشعر ما نسبته (55.4%) من الشباب العازب الذين ربطتهم علاقة قوية بأسرهم قوامها التقدير والاحترام المتبادل، بأن علاقاتهم مع الآخرين الذين تعرّفوا إليهم عبر الإنترنت انعكست سلباً على علاقتهم بهذه الأسر؛ وكذلك لم يشعر (50.4%) من الشباب المتزوج ممن ربطتهم علاقة قوية مع ازواجهم / زوجاتهم بأن علاقتهم الزوجية تخلخلت بسبب هذه المعارف. وإذا كان من تفسير اجتماعي لدلالات هذه النسب المرتفعة هنا فيكمن، في الواقع، في القوة التي تمنحها العلاقات الأسرية المتينة والدافئة لأبنائها من الشباب العازب أو يمنحها الأزواج لزوجاتهم، اوالزوجات لازواجهن؛ إذ من شأن هذه القوّة حمايتهم إلى حد بعيد من الإنزلاق في درب الخطأ وما يتمخض عنه من مشكلات نفسية وعاطفية.

هل أدّت التجارب العاطفية الفاشلة والمؤلمة إلى ردع الشباب ودفعهم إلى التوقف عن تكوين علاقات مع "الجنس الآخر" عبر هذه الوسيلة الاتصالية التي كادت تدمّر حياتهم الأسرية والزواجية؟ أم أنهم استمروا في مواصلة استخدامهم لها على الرغم من هذه الصدمات؟ هذا ما أردنا معرفته من خلال إجاباتهم على السؤال التالي:

***سؤال:* ستتوقف عن استخدام الإنترنت في تكوين معارف وعلاقات جديدة مع الآخرين – وبخاصة عاطفية – لأن التجارب التي مررت بها مع بعضهم صدمتك وآلمتك:**

تشير نتائج الجدول المعني بتحديد إجابات الشباب على هذا السؤال إلى تدعيم ما جاء في نتائج الجدولين السابقين حول طبيعة العلاقات التي كونها الشباب مع الآخرين عبر وسيلة الإنترنت؛ إذ لم تكن جميع هذه العلاقات سارة ومرضية؛ بل كان بعضها مؤلماً، كما أشرنا. ومع ذلك لم تثن هذه التجارب عزم بعض الشباب

عن مواصلتهم استخدام الإنترنت في تكوين صداقات وعلاقات عاطفية جديدة. (انظر الجدول رقم 49).

إذ تشير نتائج هذا الجدول، إلى أن (56.7%) من الشباب أجابوا بأنهم لن يتوقفوا عن استعمالهم للإنترنت على الرغم من التجارب المؤلمة التي مرّوا بها مع بعض من تعرّفوا إليهم من خلال هذا الوسيلة الاتصالية. وهذه نفس النسبة تقريبا التي وجدناها عند الشباب ممن وصفوا تجاربهم مع الآخرين الذين تعرّفوا إليهم عبر الإنترنت بأنها علاقات غير ناضجة وغير صادقة، كما أوضحنا في الجدول (رقم47) السابق. وأما نسبة من سيتوقف عن هذا الاستعمال فقد كانت (43.3%).

ستوقف عن استخدام الإنترنت في تكوين معارف وعلاقات جديدة مع الآخرين وبخاصة - عاطفية لأن التجارب التي مررت بها مع بعضهم صدمتك وآلمتك											
درجة الموافقة / الجنس	(موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	70	14.9	58	12.3	72	15.3	58	12.3	258	54.8
الإناث	42	8.9	34	7.2	62	13.2	75	15.9	213	45.2
المجموع الكلي	112	23.8	92	19.5	134	28.5	133	28.2	471	100

وهكذا يتضح أنه رغم هذا الإحساس بالألم والشعور بالأسى الناشئ عن بعض العلاقات غير الموفقة مع "الجنس الآخر" الذين تعرف إليهم الشباب عبر الإنترنت، إلا أن الأكثرية منهم، كما قلنا، لن تكف عن اللجوء إلى هذه الوسيلة الاتصالية في تكوين علاقات جديدة. وهذا مؤشر واضح الى اهمية الانترنت في تكوين علاقات عاطفية في المجتمع القطري، بحكم انسداد قنوات الاتصال الاخرى في تكوين مثل هذا النوع من العلاقات.

المتغيرات الأسرية:

وبالعودة إلى الجدول المعني بتحديد إجابات الشباب من كلا الجنسين على هذا السؤال تبيّن أن نسبة الفتيات ممن ستستمر في تكوين علاقات جديدة عبر هذه الوسيلة كانت نسبة أعلى من نسبة زميلاتهن اللواتي سيتوقفن عن هذا الاستخدام، وأعلى في الوقت نفسه أيضاً من نسبة زملائهن من الذكور.

حيث أجاب ما نسبته (29.1%) من الإناث بأنهن لن يتوقفن عن استخدام الإنترنت في تكوين علاقات وصداقات جديدة، في حين أجابت ما نسبته (16.1) بأنهن سيتوقفن عن هذا الاستخدام بسبب تلك التجارب المؤلمة.

وأما نسبة الشباب الذين استمروا في استخدام الإنترنت في تكوين معارف وعلاقات جديدة، فقط تساوت تقريباً مع نسبة من توقف عن ذلك. إذ بلغت في الحالة الأولى (27.6%)، و(27.2%) في الحالة الثانية.

وأما فيما يتعلق بتفسير ارتفاع نسبة الإناث ممن لم يتوقفن عن استخدام الإنترنت في تكوين علاقات عاطفية مع الآخرين مقارنة بالذكور فيكمن في انسداد قنوات الاتصال الوجاهية المباشرة أمامهن في تكوين مثل هذه العلاقات في مجتمعهن المحافظ؛ فهن يجدن في الإنترنت وسيلة مناسبة وملائمة لإشباع رغباتهن وحاجاتهن إلى تكوين مثل هذه العلاقات العاطفية مع "الجنس الآخر". فبالرغم من فشل بعض هذه العلاقات، ومع ذلك يبقين يحاولن الكرّة تلو الأخرى على أمل أن تنجح بعض هذه المحاولات يوماً ما في المستقبل.

وأما فيما يتعلق بمتغيرات العمر والمستوى التعليمي والوضع الاجتماعي لهؤلاء الشباب من كلا الجنسين فاتضح أن الفئة العمرية الواقعة بين (20–23) سنة كانت أعلى الفئات التي سيستمر الشباب فيها في استخدام الإنترنت، حيث بلغت نسبتهم المئوية (15.5%)، ثم جاءت الفئة الشبابية المحصور عمر الشباب فيها بين (26–29) سنة لنجد أن نسبة من سيستمر فيها في استخدام الإنترنت كانت (10.2)؛ ثم تلا هاتين الفئتين، تلك الفئة من الشباب ممن تراوحت أعمارهم بين (29–32). حيث بلغت نسبتهم (8.5%).

كما اتضح أيضاً أن أكثرية هؤلاء الشباب هم من الفئات غير المتزوجة، حيث أجاب (32.1%) ممن لا يزال في مرحلة العزوبية بأنه سيبقى يستخدم الإنترنت في تكوين معارف جديدة غير مبالٍ بالتجارب غير الموفقة التي مر بها، تلاهم الشباب المتزوج، حيث كانت نسبة من سيستمر في استخدام الإنترنت هي (16.8%).

وأما فيما يتصل بالمستويات التعليمية للشباب، فقد تبين أن الشباب الجامعي ثم الشباب في مستوى التعليم الثانوي، هما أكثر المستويات التعليمية التي مازالت ترى في الإنترنت وسيلة اتصالية مناسبة لتكوين الأصدقاء والمعارف برغم كل الألم والأسى الذي سببته لهم تجاربهم مع "الجنس الآخر". حيث كانت نسبة الجامعيين هنا (28.9%)، ونسبة من هم في مستوى التعليم الثانوي (18.3%).

وأما فيما يتعلق بمتغير علاقة الشاب بأسرهم، فقد أجاب ما نسبته (30.4%) ممن ربطتهم علاقة قوية معها بأنهم سيتوقفون عن استخدام الإنترنت؛ وأجاب ما نسبته (10.2%) ممن ربطتهم علاقة "متوسطة" القوة مع أسرهم بأنهم سيتوقفون أيضاً؛ كما أجاب كذلك ما نسبته (37.4%) من المتزوجين الذين ربطتهم علاقة قوية مع أزواجهم بأنهم سيتوقفوا عن هذا الاستعمال لأنه قد يدمّر حياتهم، وأجاب ما نسبته (10.5%) ممن ربطتهم علاقة "متوسطة" بزوجه بأنهم سيتوقفون أيضاً عن هذا الاستخدام.

الاغتراب والعولمة الثقافية / الإعلامية

مقدمة

في كتابهما القيم "فخ العولمة"[1] (1998) يشير الباحثان هانس بيتر مارتن وهارالد شومان إلى حقيقة اقتصادية موجعة خلاصتها أن المجتمع المعولم هومجتمع الخمس الثري، وأما الأربعة الأخماس الباقية فهم مجتمع الفقراء، ويؤكدان أيضاً أن 20% من سكان العالم سيكون بإمكانهم العمل وتأمين مدخولاتهم، وتحقيق قدر من الرفاه الاجتماعي، في حين أن 80% من سكان العالم ستكون نسبة فائضة لا تؤمن الحد الأدنى من العيش الكريم. ويضيف الباحثان صورة مفزعة أخرى للوضع الاقتصادي؛ حيث أن دول الشمال الغنية ستسيطر وتستأثر بما نسبته 85% من مجموع المدخرات العالمية. ومن هذا المنطلق فإن العولمة ستقسم العالم إلى قلة مسيطرة تستأثر بالثروة وأغلبية ساحقة تعيش على الهامش ولا تؤمن مستقبلها إلا بصعوبة بالغة. (هانس بيتر مارتن، وهارولد شومان، 1998).

وإذا كان الوضع الاقتصادي المعولم مقلقاً ومفزعاً إلى هذا الحد، فإن الوضع الثقافي اكثر سوءاً وأشد تأثيراً على ثقافة المجتمعات غير الغربية، ونظمها القيمية (Value – Systems) وهوياتها الوطنية؛ فالعولمة ليست مجرد مضمون اقتصادي فحسب، بل هي مضمون ثقافي / إعلامي أيضاً، يراد فرضه على العالم غير الغربي بوسائل اتصال جماهيرية متعددة ومعقدة ومتطورة يشرف عليها ويديرها خبراء متخصصون في الترويج لها (Schiller, H,1992). صحيح أن الاقتصاد

---

(1) يغرق المراجع لأدبيات العولمة باللغة العربية بطوفان من الكتابات والمقالات يغلب على بعضها السطحية وسذاجة التحليل وضعف المعالجة وقصر النظر، ويغلب على بعضها الآخر روح الدعاية والترويج والدفاع عنها بطريقة غوغائية فجة، ويتسم جزء آخر ليس بقليل من هذه الكتابات والمقالات بالهجوم الكاسح عليها والمعاداة لها دون فهم دقيق أوتحليل شامل لصيرورتها التاريخية؛ والقليل فقط من هذه الكتابات يتسم بعمق التحليل، ووضوح الرؤيا، وشمولية المنظور. وعليه، فإننا لن نقحم أنفسنا في هذه الدراسة بالخوض في التعليق على هذه الكتابات أومراجعتها أوالاستشهاد ببعضها، لأنه لن يكون بمقدورنا في هذا الجزء من الفصل تغطية جميع الجوانب الاقتصادية والسياسية للعولمة بالتفصيل. لذا، اقتصرنا على بعض الجوانب ذات العلاقة بالعولمة الثقافية والإعلامية لأنها هي المعنية بالدراسة، علما بأننا لن نخوض بتفاصيلها والبت في آليات عملها. ومع ذلك نحيل القارئ المهتم بذلك إلى المرجع المهم التالي:

مركز دراسات الوحدة العربية (2000)، العرب والعولمة، تحرير اسامة الخولي، بيروت: لبنان

هو مرتكز العولمة ونقطة انطلاقها، ومع ذلك تبقى الثقافة هي غايتها النهائية وهدفها المنشود.

وبصرف نظر عن تفاصيل العولمة الثقافية، ومظاهرها وأهدافها وآليات عملها[2]، إلا انه يمكن القول بأنها ليست سوى عولمة القيم واللغة والرموز الثقافية (Cultural Symbols) بوسائل اتصال جماهيرية عالمية بالغة التعقيد؛ فمن المتعذر عولمة العالم سياسياً واقتصادياً وتربوياً الا بعولمة ثقافة شعوبه المختلفة في كل واحد. موحّد الرموز واللغة، ومتجانس الرسائل والمحتوى، ومنسق الخطاب (سالم الساري وخضر زكريا، 2004، المنصف وناس 1998) وهذا، بالطبع، لن يتم الا من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية التي تقوم بفرض صورها القوية ورسائلها النافذة، وإعلاناتها المؤثرة على هذه الشعوب. وهنا يظهر مدى التداخل، والاعتماد المتبادل والانسجام بين العولمة الثقافية والعولمة الاعلامية.

ويضطلع الانترنت، بوصفه الوسيلة الاتصالية الاكثر حداثة وتطوراً في الاتصال الالكتروني، بعبء كبير في القيام بمهمة العولمة الثقافية، اذ تستطيع الصور الاعلامية التي يبثها الانترنت ويتيحها لمستخدميه من الشباب غير الغربي، وبشكل خاص الشباب في المجتمع العربي، بحكم سطوتها وسلطانها، أن تترك فيهم تأثيرات بالغة الشدة وعميقة التأثير تظهر في أنماط سلوكهم اليومية، وفي تفضيلهم لأنماط الحياة الاستهلاكية. وبذا، يباعد الإعلام المعولِم بينهم، وبين قيم مجتمعهم، ويشدهم الى المجتمع الامريكي، باعتباره النموذج "الأرقى" في الحياة، والاكثر "تقدماً" و"حضارة".

فإلى أي مدى استطاع الإنترنت القيام بهذا الدور الترويجي للثقافة الغربية بين الشباب القطري؟ والى أي مدى تأثر هؤلاء الشباب بما يشاهدونه من مضامين

---

(2) أنظر في ذلك الفصلين السابع والثامن المخصصين للعولمة الثقافية والإعلامية في العمل المتقن لفرانك لتشنر وجون بولي في كتاب العولمة الذي قام بترجمته مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت تحت عنوان: العولمة: الطوفان أم الأنقاذ. 2004، وأنظر كذلك لكتاب العرب والعولمة المشار إليه في الصفحة السابقة. وأما باللغة الإنجليزية فانظر في ذلك:

Herman, E, and McChesney, R. (1997) The Global Media; The New Missionaries of Corporate Capitalism, London: Cassell.

ثقافية غربية؟ والى أي مدى يعي الشباب ما يكمن في هذه المضامين من دلالات وأبعاد أيديولوجية؟ سنحاول التعرف على ذلك من خلال اجاباتهم على الاسئلة التالية:

سؤال: **كثيراً ما تمنيت أن أعيش في مجتمع آخر غير مجتمعي القطري لما أراه في الإنترنت من تقدم وتحضر في تلك المجتمعات:**

بيّنا في الجداول التي عرضنا لها في الفصول السابقة أن الإنترنت أتاح الفرصة أمام الكثير من الشباب للاطلاع على عادات المجتمعات الأخرى وتقاليدها وأنماط معيشتها. وأوضحنا أيضاً كيف أن هذه الوسيلة الاتصالية عملت على توسيع شبكة علاقاتهم الاجتماعية وتعميق دوائرهم المعرفية والعلائقية، وإثراء تجاربهم وخبراتهم في الحياة اليومية، وتغيير نظرتهم إلى أنفسهم. ومع هذا كله، فإن هذه الأبعاد الإيجابية للإنترنت يجب ألاّ تجعلنا نتغاضى عن الجوانب السلبية لهذا الانفتاح الثقافي والاجتماعي والمعرفي على المجتمعات الأخرى؛ إذ يكشف الجدول المخصص لمعرفة اتجاهات الشباب نحو نمط معيشتهم في مجتمعهم المحلي، مقارنة بنمط المعيشة في المجتمعات الأخرى التي يرونها في الإنترنت، عن وجود نسبة مرتفعة منهم وصلت إلى (40.3%)، تفضل نمط المعيشة في تلك المجتمعات على نمط المعيشة في مجتمعهما المحلي (انظر الجدول رقم 50).

إذ ترى هذه النسبة من الشباب أن مجتمعهم المحلي لا يضاهي في "تقدمه" "وتحضره" ذلك التقدم والتحضر الذي تتصف به تلك المجتمعات، مما يجعلهم يتمنون العيش فيها بدلاً عن مجتمعهم. ومع أن نسبة من لا يفضلون العيش في تلك المجتمعات هي نسبة مرتفعة (59.6%)، إلا أن نسبة من يفضلون العيش خارج مجتمعهم تبقى نسبة مرتفعة هي الأخرى ولافتة للنظر؛ وتكمن خطورة مثل ذلك إلى أنها قد تفضي بالشباب إلى حالة مشاعرية من الإغتراب الثقافي والإجتماعي مع مرور الزمن عن مجتمعهم.

كثيراً ما تمنيت أن أعيش في مجتمع آخر غير مجتمعي لما أره في الإنترنت من تقدم وتحضر في تلك المجتمعات											
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي		
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور	68	14.4	57	12.1	45	9.6	88	18.7	258	54.8	
الإناث	38	8.1	27	5.7	54	11.5	94	19.9	213	45.2	
المجموع الكلي	106	22.5	84	17.8	99	21.0	182	38.6	471	100	

المتغيرات الأسرية:

وبالنظر إلى الجدول السابق (رقم 50)، فإنه يتضح أن نسبة الذكور الذين يتمنون العيش في إحدى تلك المجتمعات كانت (26.5%) أي ما عدده (125) شاباً. وأما نسبة الإناث في هذه الحالة فقد كانت (13.8%)، أي ما عدده (65) شابة. وأما فيما يتصل بنسبة الإناث اللاتي رفضن العيش في المجتمعات الأخرى التي أظهرها لهن الإنترنت بأنها أكثر "تقدماً وتحضراً" من مجتمعهن فقد كانت أعلى من نسبة الشباب الرافضين؛ إذ بلغت نسبتهن (31.4%)، مقابل ما نسبته (28.3%) للذكور.

وأما فيما يتصل بالمستويات التعليمية والأوضاع الاجتماعية وكذلك الفئات العمرية لهؤلاء الشباب، فقد اوضح الجدول المعني بذلك أن نسبة الشباب الجامعي الرافضين العيش في مجتمع آخر غير مجتمعهم كانت (31.3%)، مقابل ما نسبته (19.2%) قابل بذلك. وأما من هم في المستوى التعليمي الثانوي، فقد بلغت نسبة الرافضين العيش في مجتمع آخر (18.1%)، في حين بلغت نسبة الموافقين على العيش خارج مجتمعهن المحلي (14%).

وأما الشباب العازب الذي تمنى العيش بإحدى هذه المجتمعات "المتقدمة" و"المتحضرة" فقد كانت نسبتهم (22.4%) مقابل ما نسبته (33.6%) للرافضين منهم. وأما المتزوجون من الشباب فقد تعادلت، تقريباً، نسبة من يرغب منهم في

العيش في مجتمع آخر غير مجتمعهم مع نسبة من لم يرغبوا في ذلك؛ إذ كانت هذه النسب (4.3%) لمن يرغبون، مقابل (4.5%) لمن لا يرغبون.

ومع كل ما سبق من تأكيد على قوّة ارتباط الشباب بمجتمعهم ورفض غالبيتهم العيش بمجتمع غير مجتمعهم المحلي، إلاّ أن نسبة من يتمنى العيش خارج هذا المجتمع، بسبب ما يراه من "تقدم وتحضّر" في أساليب الحياة في تلك المجتمعات الأخرى، لا يستهين بها أو يقلّل من دلالاتها الاجتماعية إلا الغافلون. فهي مؤشر إلى القدرة الفائقة التي يقوم بها الإنترنت، كوسيلة اتصال، تتشابه في هذه الحالة مع قدرة وسائل الإعلام الجماهيرية الاخرى، في الترويج للعولمة الثقافية بطريقة محببة تخلق عند بعض من يشاهد محتواه من الشباب بشكل متكرر حالة من الاغتراب[1] النفسي والاجتماعي عن مجتمعهم.

وأما فيما يتعلق بمتغير العلاقة الأسرية وانعكاساتها على رغبة الشباب وتمنيهم العيش في إحدى هذه المجتمعات التي أظهرها لهم الإنترنت بأنها أكثر "تقدماً" من مجتمعهم، فقد اتضح أن الشباب الذين تربطهم علاقات احترام قوية مع أسرهم لا يرغبون بذلك؛ إذ عبّر عن عدم هذه الرغبة ما نسبته (44.2%). وهذا دلالة تبين أن العلاقات الأسرية المتينة هي عامل جذب واستقطاب لأبنائها، وليست عامل هروب واغتراب. وكذلك الحال مع الأزواج الذين تربطهم علاقة قوية مع بعضهم البعض؛ إذ تبيّن أن الزوج الذي تربطه علاقة محبة وود مع زوجته لا يرغب بالعيش خارج مجتمعه، إذ كانت نسبتهم (39.1%).

وأما أعمار هؤلاء الشباب فقد كشف الجدول عن وجود ما نسبته (16.5%) منهم ممن يقع عمره بين (20–23) رفض العيش في إحدى هذه المجتمعات "المتقدمة"، في حين قبل العيش منهم ما نسبته (11.3%)، كما رفض ما نسبته (10.6%) من الشباب الذين تراوحت أعمارهم بين (26–29%) العيش خارج مجتمعهم المحلي، مقابل (8.1%) قبل ذلك.

---

(1) على الرغم من الاهتمام الواسع بظاهرة الاغتراب، بدءاً من الفيلسوف الألماني هيجل، ومروراً بكارل ماركس، وانتهاءً بدوركايم وفرويد ومعظم الفلاسفة الوجوديون، إلا أن هذا المصطلح لا يزال يكتنفه بعض الغموض. ومع ذلك فإننا سنستعمله هنا في هذه الدراسة ليشير إلى تلك الإحساس الذي يحس به الفرد على المستوى المشاعري للعجز والحرمان وعدم الاكتفاء ورفضه للأوضاع القائمة. انظر في ذلك عمل حليم بركات المميز (2004)، الهوية: أزمة الحداثة والوعي التقليدي. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

السؤال: **من خلال استخدامك المتواصل للإنترنت ودخولك الى بعض المواقع فيه أصبحت لديك قناعة بأنه وسيلة من وسائل الغزوالثقافي المبطن لمجتمعك العربي المسلم والمجتمعات الأخرى غير الغربية؟**

بيّنت لنا إجابات الشباب على السؤال السابق مدى التأثير السلبي الذي تركه الإنترنت على بعض الشباب ممن يؤثرون الحياة والعيش في مجتمع آخر غير مجتمعهم المحلي بسبب التباين في نمط المعيشة بين مجتمعهم وتلك المجتمعات.

وأما في هذا السؤال فنحن معنيون بمعرفة بعد آخر من أبعاد تأثيرات الإنترنت وهورؤية الشباب لطبيعة المحتوى الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والسياسي لهذه الوسيلة الاتصالية. أي هل يرى الشباب في هذا المحتوى غزواً ثقافياً مبطناً لمجتمعهم المحلي والمجتمع العربي المسلم بشكل عام؟ بمعنى آخر أننا معنيون هنا بمعرفة مدى إدراك هؤلاء الشباب للتأثيرات الخفية (غير المباشرة) للمضامين الاعلامية والثقافية والمعرفية للانترنت عليهم.

وفي هذا الصدد ربطت نسبة عالية من هؤلاء الشباب، بلغت (62.4%)، بين ما يرونه في الإنترنت عن هذه المجتمعات وبين عملية الغزوالثقافي المبطّن لمجتمعهم ولثقافتهم العربية الإسلامية.(انظر الجدول رقم 51)؛ إذ تعتقد هذه النسبة أن الإنترنت ليس إلا قناة اتصالية تعمل على تسهيل وتيسير عملية الغزوالثقافي غير المباشر للمجتمع العربي الاسلامي. وأما نسبة من لا ترى ذلك فقد كانت (37.7%). أي أن هذه النسبة لا ترى في الإنترنت سوى وسيلة من وسائل الاتصال الحديثة التي تربطهم بالعالم الخارجي، وتطلعهم على ثقافات متنوعة لمجتمعات مختلفة.

من خلال استخدامك المتواصل للإنترنت ودخولك إلى بعض المواقع فيه، أصبحت لديك قناعة بأنه وسيلة من وسائل الغزو الثقافي المبطن لمجتمعك العربي المسلم والمجتمعات الأخرى غير الغربية؟										
درجة الموافقة / الجنس	موافق جدا		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	95	20.2	72	15.3	45	9.6	46	9.8	258	54.8
الإناث	75	15.9	52	11.0	47	10.0	39	8.3	213	45.2
المجموع الكلي	170	36.1	124	26.3	92	19.6	85	18.1	471	100

المتغيرات الأسرية:

ما هي خصائص هؤلاء الشباب الذين ينظرون من منظورين مختلفين للمضامين المعرفية والثقافية للإنترنت؟ يظهر الجدول في هذا الصدد أن نسبة الذكور الذين يرون في بعض المواقع التي يقدمها الإنترنت للمجتمعات الغربية تهديداً مستتراً ومبطناً / غير مباشر للثقافة العربية الإسلامية بلغت (35.5%)، في حين كانت نسبة زملائهم الذين لا يشاطرونهم الرأي هي (19.4%).

وأما نسبة الإناث ممن رأين في الإنترنت وسيلة من وسائل الغزوالثقافي المبطن للعرب والإسلام، وبخاصة تلك المواقع الغربية والمثيرة، (كالمواقع الجنسية على سبيل المثال)، فقد كانت (26.9%)، وأما نسبة من لم يرين ذلك فقد كانت (18.3%).

وأما فيما يتعلق بالخصائص العمرية لهؤلاء الشباب، فقد تباينت النسب المئوية لكل فئة عمرية منهم في تقييمها لثقافة الإنترنت؛ إذ أجاب ما نسبته (17.8%) ممن وقعت أعمارهم في الفئة العمرية المحصورة بين (20–23) بأنه رأى في هذه المواقع غزواً ثقافياً. وأجاب ما نسبته (7.6%) من الفئة العمرية الشبابية نفسها بأنهم لا يرون ما يراه زملاؤهم في هذا الشأن. كما أجاب ما نسبته (12.3%) من الشباب ممن هم في السن الذي تراوحت بين (26–29) بأنهم يرون في هذه

المواقع، مواقع غزو ثقافي، في حين لم يشاطرهم الرأي ما نسبته (6.4%) من الفئة العمرية نفسها. وأما الفئة العمرية الشبابية التي تراوحت أعمارها بين (23– 26) سنة فإن (10.8%) منها رأى في هذه المواقع غزوا ثقافياً وتهديداً مبطناً للثقافة العربية الإسلامية؛ ولم يشاطرهم هذا الرأي ما نسبته (4.4%) من الفئة العمرية نفسها.

وأما فيما يتعلق بأوضاع هؤلاء الشباب التعليمية فقد تبلورت آراء الأكثرية منهم ممن أعطى رأياً في هذا الموضوع في المستويين التعليميين الجامعي والثانوي؛ حيث رأى ما نسبته (33.4%) من الشباب الجامعي في هذه المواقع، مواقع غزو ثقافي الثقافة العربية، ولم يشاطرهم في ذلك سوى (17%) من الشباب نفسه. وأما الشباب ممن هم في مستوى تعليمي ثانوي، فلدى (19.6%) منهم قناعة بفكرة الغزوالثقافي، ولدى (12%) قناعة مخالفة لذلك.

وحين نظرنا إلى إجابات المتزوجين من هؤلاء الشباب وقارناها بإجابات العزاب حول رؤية كل منهما للمحتوى الثقافي الإنترنت، تبين أن نسبة الشباب العازب الذين ينظرون إليه باعتباره يمثل تهديداً للتماسك الأخلاقي العربي والإسلامي كانت أعلى من نسبة مثيلتها عند الشباب المتزوج؛ حيث كانت النسبة (34.7%) مقابل (20.4%)، وتباينت أيضاً رؤية كل منهما لمن لا يرى فيه أي تهديد أخلاقي أوفكري؛ حيث أجاب ما نسبته (21.3%) من الذكور بأنهم لا يرون في الإنترنت أي تهديد مبطن للثقافة العربية الإسلامية، وأجاب الإجابة نفسها ما نسبته (11%) من الإناث.

وحين عدنا لنرى ما إذا كان لعلاقة الشباب بأسرهم من حيث القوّة والضعف، انعكاس على رؤيتهم وتقييمهم لهذا المحتوى الثقافي لبعض المواقع في الإنترنت، وجدنا أن الشباب الذين يتمتعون بعلاقات أسرية قويّة كانوا قد رأوا فيها تهديداً للثقافة العربية وغزوا مبطناً للقيم الإسلامية؛ إذ أجاب في هذه الحالة ما نسبته (46.3%). وأجاب الإجابة نفسها ما نسبته (13.2%) من أولئك الشباب الذين تربطهم بأسرهم علاقة "متوسطة" القوة من حيث الاحترام والتقدير المتبادل بينهم.

وأما المتزوجون من الشباب ممن تربطهم علاقة قوية مع أزواجهم، قوامها الإخلاص والاحترام المتبادل، فقد اعتبر بعض المواقع المتاحة عبر الإنترنت، وبخاصة الجنسية منها تهديداً مستتراً للثقافة العربية، يتنافى مع قيمها الأخلاقية؛ حيث كانت نسبتهم (49.6%). وحتى الشباب المتزوج منهم ممن تربطه علاقة "متوسطة" مع زوجه من حيث الاحترام والتقدير فقد رأى ما نسبته منهم (31.1%) في هذه المواقع غزوا ثقافياً للثقافة العربية بطريقة غير مباشرة.

وأما رؤية الشباب، ممن تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية، لهذه المواقع، فقد رأى منهم ما نسبته (22.2%) بأنها مواقع غير مقبولة أخلاقياً تهدف إلى المساس بثقافة الشباب المسلم والعربي على حد سواء.

ويتضح من الجداول السابقة ان النسبة الاكبر من الشباب يعون الاهداف الكامنة والضمنية للدلالات الأيديولوجية للمضامين الثقافية والاجتماعية والاخلاقية للانترنت؛ ومع ذلك فهناك نسبة اخرى منهم لا تعي ذلك، ولا تدرك دلالات الرسائل الضمنية على ثقافتهم وهويتهم الوطنية وحضارتهم العربية الاسلامية. صحيح ان هذه النسبة غير مرتفعة بين الشباب، ومع ذلك تبقى نسبة ذات دلالة.

وفي الواقع فان هذه الفئة من الشباب لا تدرك ان الثقافة المعولمة التي تشاهدها وتتعامل معها في الانترنت هي ثقافة لا تتغذى من بنية ثقافية اجتماعية ذات هدف حضاري انساني نبيل منزه عن الهوى، وانما من بنية اقتصادية أو بضاعة معروضة للبيع بثمن الاستهلاك شأنها شأن اي منتج اقتصادي. فعمليات الانتاج الثقافي وآلياته في ظل العولمة الثقافية ليست سوى عمليات وآليات الانتاج الاقتصادي نفسها، واهدافه هي ايضا اهداف الانتاج الاقتصادي نفسه الا وهوالربح المادي (سالم الساري وخضر زكريا، 2004 و ميشيل فان، 2003).

ويذهب محمد الجابري الى ما هوابعد من مجرد وصف ثقافة العولمة بانها ثقافة استهلاكية فحسب، ليعتبرها ثقافة اختراق لثقافة الشعوب غير الغربية. وفي هذا الصدد يقول: اننا معرضون لغزو ثقافي مضاعف، الغزوالكاسح الذي يحدث على مستوى عالمي، والغزوالذي تمارسه علينا الدول الاستعمارية التقليدية. اما الوسائل فهي نفسها: الاعلام بالمعنى الواسع والمتشعب، الاعلام الذي يغزوالعقل

والخيال والعاطفة والسلوك، ناشرا قيما واذواقا وعادات جديدة تهدد الثقافات الوطنية والقومية في اهم مقوماتها ومكامن خصوصيتها. ان تعميم الاستهلاك اوبالاحرى فرض نمط معين من الاستهلاك على الشعوب هو الهدف من الاختراق الثقافي والاستتباع الحضاري (محمد الجابري، 1994).

ولسوء الحظ، فان الفئة السابقة من الشباب غير واعية لهذا البعد من ابعاد العولمة الثقافية – الاعلامية، وغير محصنة كذلك من مخاطرها التي تحدث عنها الجابري، وميشيل فان وغيرهما من الباحثين، لذا تنطلي عليها الاهداف الكامنة لهذه العولمة وآليات عملها الفاعلة في تحقيق هذه الأهداف، (المنصف وناس 1998) اذ بمقدور هذه العولمة تقويض النظام القيمي لهؤلاء الشباب ومرتكزات التوازن الثقافي والنفسي والذهني الذي تعودوا عليه في مجتمعهم العربي؛ كما أنه بمقدورها أيضا التأثير على التوازنات التقليدية التي تنشأوا عليها، والتي تشكل العصب الحساس بالنسبة لمجتمعهم العربي مثل تقدير الاسرة واحترامها، وترابط الاجيال وتماسكها، ولحترام المقدس الديني والموروث الحضاري والثقافي لهذا المجتمع (المصدر السابق).

الخلاصة

على الرغم من التأثيرات الايجابة التي تركها الإنترنت على الشباب، إلا أنــه ترك في الوقت نفسه بعض التأثيرات السلبية تمثلت في بداية ظهور بعض أعراض الإدمان لديهم على الإنترنت. وهذه الأعراض، وإن كانت غير حادة وعامــة بــين الجميع إلا أنها ذات دلالة لا يمكن التغافل عنها.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تسبب الإنترنت أيضاً في خلــق بعــض الــصدمات العاطفية لبعض مستخدميه من العزاب والمتزوجين انعكست سلباً علــى علاقــاتهم الأسرية والعائلية والزواجية.

ومن التأثيرات السلبية الأخرى التي تركها الإنترنت على الشباب هومساهمته في بروز بعض مظاهر الاغتراب النفسي والاجتماعي لدى بعضهم تجسد في تمنيهم العيش خارج مجتمعهم المحلي؛ علماً أن بعضهم الآخر كان قد أدرك التأثير الخفي والمبطن لرسائل الإنترنت حول "تقدم" المجتمعات الغربية.

الفصل الثامن

ثقافة الإنترنت: رؤى متباينة وملاحظات ختامية

مقدمة

الإتصال الإلكتروني: حجم الظاهرة ودلالاتها

الإتصال الإلكتروني: خيارات ممكنة وآفاق مفتوحة

الإتصال الإلكتروني والتفاعل الإجتماعي: رؤية جديدة

البعد العلاجي - التطهيري في الإتصال الإلكتروني

الإتصال الإلكتروني: أدوار جديدة ووظائف متعددة

الإتصال الإلكتروني: مخاطر كامنة وتساؤلات مفتوحة

ثقافة الإنترنت

رؤى متباينة وملاحظات ختامية

مقدمة

منذ بدأ الإنترنت، كوسيلة اتصال إلكترونية، بالانتشار بشكل واسع ومنتظم في المجتمعات في مطلع التسعينيات، والباحثون الاجتماعيون، ما انفكوا يستجلون الأبعاد الثقافية الجديدة التي أدخلها هذا النوع من الاتصالات على المفهوم السائد للثقافة، ذلك أن الثقافة الجديدة، برأي بعض هؤلاء الباحثين، هي ثقافة لم يعد المفهوم التقليدي الذي دأب العاملون في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية على تقديمه لها، يستوعب خصائصها أو ينطبق عليها.

إننا، في الواقع، أمام مرحلة تاريخية من مراحل تطور الاتصال الالكتروني، وبخاصة الاتصال عبر الانترنت، لها ثقافتها الخاصة بها، والمختلفة كليا عما سبقها من الأشكال الأخرى التي خبرتها المجتمعات عبر مسيرتها الثقافية الطويلة. صحيح ان العملية الثقافية هي عملية تراكمية، وكل مرحلة تاريخية من مراحل التغير الاجتماعي والثقافي تضيف خصائص جديدة إلى ما سبقها، ومع ذلك فإننا أمام مرحلة غير مسبوقة من مراحل التغير الثقافي الذي تشهده المجتمعات المعاصرة، وبخاصة الرأسمالية الغربية.

تمتلك الثقافة الجديدة، خصائص فريدة، في الحقيقة، تجعلها تختلف اختلافا جوهريا يصل حد القطيعة مع الخصائص المألوفة للثقافة، ومع تعريفها الذي يتعامل معها باعتبارها "مجموعة من السمات الخصوصية، الروحانية والمادية والفكرية والشعورية التي تميزّ مجتمعاً أو مجموعة إجتماعية" إنها ثقافة "خليط ثقافي"، تتسم بصبغة سريعة ومتسارعة، متنامية ومتطورة لا تكاد تعرف حدا تقف عنده. إنها ثقافة تنتجها "قبائلُ" من شركات عملاقة، "وعشائر" من مؤسسات ضخمة، وتحتوي علىٰ معايير وقيم، ذات طبيعة مادية استهلاكية في جوهرها.

وتتم عملية إنتاج هذه الشركات والمؤسسات لهذه الثقافة، بسرعة فائقة لا يكاد يستوعبها الأفراد، ولا تترك لديهم وقتا كافيا للتكيف معها، وتبقيهم في عملية استهلاك دائم، ما إن يبدأوا بالتكيف معها، حتى يجدوا أنفسهم من جديد يواجهون بأشكال جديدة منها، تتطلب منهم التكيف معها من جديد. وهكذا تقذف مؤسسات تصنيع الثقافة الجديدة بالأفراد إلى قلب مطحنة الاستهلاك.

لقد غيرت هذه الثقافة، ثقافة الانترنت، بخصائصها الجديدة مجرى حياة المجتمعات في جميع الأبعاد الأخلاقية والفكرية والقيمية والسلوكية، كما يرى بعض الباحثين (Mulgan, G, 1998). كما عملت، أيضا، على تغيير طرق التفاعل والتواصل بين البشر إلى الحد الذي يمكن اعتبار أن ما أحدثته من تغيرات جوهرية في هذا المجال بمثابة نقطة تحول في تاريخ الثقافة. وعليه، فاننا لا نرى ثمة مبالغة في وصف ثقافة مجتمعات الحداثة، بأنها ثقافة الاتصال الالكتروني، وبشكل أكثر دقة وتخصيصا ثقافة الانترنت، باعتبار أن هذه المجتمعات هي اكثر المجتمعات التي ينتشر فيها هذا النوع من الاتصالات.

فهذه فرانسيس كيرنكروس، على سبيل المثال، ترى في كتابها الموسوم "موت المسافات"، (The Death Of Distance) بأن الثقافة الجديدة التي أحدثها الانترنت، بوصفه أعظم منجزات الثورة الاتصالية المعاصرة، هي ثقافة مختلفة في أنساقها وبنيتها وخصائصها عن الثقافة المحلية التقليدية المتقوقعة على ذاتها؛ فليست إزالة الحدود الجغرافية بين البشر، هي الانجاز الذي يجب أن ندين به لهذه الوسيلة الاتصالية الالكترونية فقط، بل إن الإنجاز الأعظم لها هو ذاك الذي حققته على المستوى الثقافي، فقد أنهى الانترنت الفروق الثقافية بين البشر ووحدهم في ثقافة ذات خصائص جديدة تختلف عما قبلها من خصائص (Cairncross, F. 1997).

إن حماس كيرنكروس الفائق لثقافة الإنترنت، جعلها لا ترى سلبياته على المستوى الثقافي، بل رأت فيه أهم منجز من منجزات الثورة الاتصالية التي شهدتها مجتمعات المعرفة (Knowledge Societies)؛ فهو برأيها أهم الوسائل التي حولت أنماط الحياة الثقافية في هذه المجتمعات، وهو الركيزة الأساسية التي تستند إليها العولمة الثقافية الرامية إلى توحيد الثقافات المختلفة في ثقافة واحدة.

ولا يعادل حماس كيرنكروس لثقافة الانترنت أو يماريه إلا ذلك الذي يبديه شارلز ليدبيتر، ولكن من منظور آخر؛ حيث نجده يعتبر ان الإنجاز الفعلي والجوهري للإنترنت في المجتمعات المعاصرة لا يكمن في ما أدخله عليها من أبعاد ثقافية فحسب ، بل أيضا في ذاك البعد الجديد المتمثل في اقتصاد المعرفة (Knowledge Economy) في هذه المجتمعات (Leadbeater, C, 1999).

ففي كتابه المعنون " العيش في فضاء شفاف" (Living on Thin Air) نجده يمجّد الدور الذي يقوم به الإنترنت في اقتصاد الوقت والجهد والمعرفة في مجتمعات المعرفة، وكيف يؤدي هذا الاقتصاد إلى زيادة إنتاجية هذه المجتمعات وإبداعها. لقد عمل الإنترنت، برأيه، على خفض التكلفة المادية الخاصة باقتصاد المعرفة من حيث تخزين المعلومات والمعارف وجعلها متاحة للجميع في كل الأوقات وفي كل الأماكن. فلم يعد هناك فضاءات تعوق التواصل المعرفي بين المجتمعات كما كان عليه الحال قبل بروز هذه الوسيلة الاتصالية. لقد رقّت هذه الفضاءات وانكمشت حتى غدت كأن لا وجود لها، وغدت البشرية في هذا الوضع تتغذى من ثقافة واحدة، هي ملك الجميع.

ومع الإقرار بكل الآفاق السابقة التي فتحها الاتصال الالكتروني أمام المجتمعات في مجال التواصل الثقافي والمعرفي بأقل التكاليف والجهود، كما يرى ليد بيتر وكيرنكروس، وكما رأى مارشال ماكلوهان من قبلهما (Mcluhan, M, 1964) في الستينيات، حين ادعى أن هذا النوع من الاتصال، هو الذي حول العالم إلى قرية كونية صغيرة (Global Village)، ومع ذلك نجد فريقا آخر من الباحثين له وجهة نظر مختلفة تماما في ثقافة هذا النوع من الاتصالات؛ إذ يرى هذا الفريق من الباحثين، أنه برغم كل المزايا السابقة للاتصال الالكتروني، ممثلا بالانترنت، إلا أنه أنتج ثقافة غثاء لا تمكث بالأرض؛ انها ثقافة جلبت معها، على حد تعبير أحدهم، وهو كليفورد ستول، عوالم ثقافية كونية مسطحة، غير حقيقية، أشبه ما تكون بنسيج من المناديل الورقية التي إذا ما ابتلت بالماء صارت لا تصلح بعدها لشيء (Stoll, C. 1995). إن ثقافة شبكات الانترنت الكونية، ليست طريقا كونيا، كما يقول ستول، سيقود البشرية إلى أبواب الحرية والديموقراطية، كما يدعي

البعض، بل إنها طريق أبعدتنا عن ذلك، وحولت انتباهنا وأنظارنا عن مشكلاتنا الاجتماعية والصحية والتربوية التي نعاني منها فعلا على كوكبنا، وشغلتنا بمشكلات تافهة خلقتها بنفسها ولنفسها. وباسم التقدم والتعليم، حطّت بغير هوادة، من قدر القيم الانسانية النبيلة، والتفاعلات الاجتماعية البناءة.

ويذهب مع ستول في نظرته الناقدة لثقافة الانترنت، باحث آخر هو وليام ريش، ولكن من منظور آخر. إذ يرى ريش أن ثقافة شبكات الانترنت هي ثقافة استقصائية، تقوم على حرمان الكثير من الطبقات والمجتمعات الفقيرة، من استخدام هذه الشبكات في تزويدها بالثقافة بالقدر الذي تزوده لاؤلئك الذين تمكنهم امكانياتهم المادية من ذلك (Wresch, W, 1996).

وهناك مجموعة أخرى من الباحثين، لهم وجهات نظر متقاربة من وجهات النظر السابقة؛ فهم رون أن الاتصال الالكتروني، قد عمل، على تفتيت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وحوّل ما كانت تتمتع به من دفء وحميمية إلى برود وفتور، وغير أنماط تفاعلاتهم الاجتماعية، وفتح أمامهم مسارب سلوكية أضرت بقيمهم وأخلاقهم، وشجع على الخروج على القيم الاجتماعية والثقافية الراسخة وعلى تحدي اليات الضبط الأسري والمجتمعي، وسهل الفرص أمام الكثير لإقامة علاقات عاطفية دون موافقة الأسرة ورضاها أو توجيهاتها؛ إضافة إلى ما خلقه من مشكلات جديدة غير مألوفة من قبل، كتبلد الحس الاجتماعي والوجداني بين الشباب، واغترابهم النفسي، وعزلتهم الاجتماعية، وانتشار قيم الاستهلاك بينهم.

فهذا ريشتارد بليك، على سبيل المثال، يرى أن القرية الكونية الصغيرة التي رحب بها ماكلوهان في بداية الستينيات، والتي رأى فيها منجزاً من أهم المنجزات التي حققتها الثورة الاتصالية، لم يعد لها وجود في الوقت الحاضر؛ فالتطور التكنولوجي المذهل في مجالات الاتصالات، زاد في تصغير هذه القرية وتفتيتها محولا إياها إلى أشبه ما تكون بمجموعة من العمارات أو البنايات العملاقة التي تضم عشرات الشقق السكنية التي يقيم بها أناس كثيرون، لكن كلاً منهم يعيش في عزلة واغتراب عن الآخر الذي يسكن معه سواء في تلك البناية أو حتى الشقة نفسها. (شاكر عبدالحميد، 2005).

إن مشكلة الاغتراب النفسي والاجتماعي التي نجمت عن الإنترنت، كوسيلة من وسائل الاتصال الالكتروني التي يتحدث عنها بليك، ليست، في الحقيقة، سوى مشكلة واحدة من مشكلات كثيرة أخرى أوجدتها هذه الوسيلة الاتصالية؛ فمن أبرز المشكلات وأكثرها غرابة، مشكلة عيش الشباب في ما يسمى بالعوالم الافتراضية (Virtual Realities) التي خلقها لهم الانترنت. فهذه المشكلة، وإن بدت للوهلة الأولى شكلاً من أشكال العزلة النفسية أو مظهراً من مظاهرها، إلا أنها في حقيقة الأمر خلاف ذلك، والنتائج المترتبة عنها تختلف عن النتائج المترتبة عن العزلة النفسية.

لقد خلق الإنترنت للشباب، في رأي بعض الباحثين الاجتماعيين، عوالم ثانية، يعيشون فيها عوضا عن عوالمهم الحقيقية، أطلقوا عليها عوالم "ما بعد الواقع" أو "العوالم الإفتراضة – المتخيلة". إنها عوالم تقوم على التصور والتخيل، ويمكن فيها إرسال الصور واستقبالها وتوزيعها والتحكم فيها وتزييفها وتركيبها، وتبدو فيها الأشياء والظواهر "كما لو" أنها حقيقية (As if phenomena)، أو ملموسة أو عيانية، عوالم مليئة بالصور التي تشبه الأصل أو تضاهيه، وربما تتفوق عليه وتفارقه، عوالم جرى تشكيلها إلكترونياً، يتصرف فيها الأفراد "كما لو" كانوا يواجهون ظواهر حقيقية، وهي ليست كذلك. إنها باختصار عوالم ثانية ليس فيها سوى صور في صورٍ في صور (المصدر السابق).

وذهب بعض الباحثين، وفي مقدمتهم انتوني جيدنز (Giddens, A, 1990)، واولريش بيك (Beck,U•1992)، وجون ثومبسون (Thampson,J, 1995)، وكاستلز، (Castells, M, 1996) وزبوف، (Zuboff,S,1988) إلى إبراز مشكلات أخرى أكثر خطورة، نجمت عن هذه الثورة التكنولوجية ترتب عنها، برأيهم، مخاطر عميقة، تحتم علينا إعطاءها أولوية قصوى حين نريد أن نتعامل مع المشكلات الناجمة عن ثقافة الانترنت بشكل عام.

وتتصدر مشكلة تصنيع (Manufacturing) الاتصال الالكتروني للمخاطر والغموض (Risk and Uncertainties) في المجتمعات الحديثة قمة هذه المشكلات؛ فلا أحد يستطيع أن يقلل من دور الثورة التكنولوجية في تصنيعها للمخاطر البيئية، كما يرى بيك (Beck,U, 1992) ذات الأخطار الكارثية على مستقبل البشرية جمعاء، ولا أحد ينكر عمق الشعور بالضياع الذي ينتاب الانسان المعاصر، والاحساس بالشك والغموض الذي يعتريه حول مصيره ومستقبله، كما يرى كل من جيدنز، وزابوف، وكاستلز.

لم تخبر المجتمعات، في الواقع، عبر مراحل تغيرها الاجتماعي والثقافي، الذي يرافقه في العادة شيء من الاضطراب وعدم الوضوح وضبابية الرؤية في بداياته الأولى، مرحلة كان مستقبلها ومصيرها فيها غامضا ومشوشا، وقلقا، ومفعما بالمخاطر والأزمات بمختلف أشكالها، مثلما هي في هذه المرحلة؛ كما أنها لم تمر بحالة من العجز من حيث سيطرتها على مجريات حياتها اليومية، ومن حيث قلة الحول والقوة في مواجهتها للمخاطر التي تتعرض لها، كالمرحلة الحالية التي نعيشها. فالعالم الذي نعيشه الآن، يفلت من بين أيدينا كقبضة الماء، ويهرب أمام ناظرنا كالخيال ونحن نتفرج عليه، ولا نستطيع ان نمسك به، أو نتمكن من لحاقه؛ وذلك بحكم التطور المرعب في تكنولوجيا الاتصال الالكتروني الذي يفوق الوصف والخيال، واستغلال هذه التكنولوجيا في تحقيق مصالح ذاتية لمجموعة من "عشائر" و"قبائل" تدير مؤسسات وشركات عملاقة عابرة للقارات. ولعل عالم الاجتماع انطوني جيدنز على حق حين وصف هذا العالم بأنه "العالم الشارد". (Runaway (World) (Giddens, A, 1999).

وعلى أية حال، ترى الأدبيات الحديثة في النظرية الاجتماعية والثقافية، بأننا نعيش في زمن ثقافي من "نوع خاص"، قام جيدنز بتلخيص أهم خصائصه وسماته الثقافية بما يلي:

1 ــ أن التحولات والتغيرات الاجتماعية والثقافية التي يتصف بها الزمن الثقافي الحالي، هي تحولات ذات صبغة نابذة وطاردة للأفراد، وذات خصائص ثقافية مشوشة ومضطربة.

2 ـ أن الأفراد في المجتمعات التي يسودها هذا النوع من الثقافة، هم أفراد مقطعو الأوصال، بسبب استغراقهم وذوبانهم في خبرات يومية مجزأة ومبعثرة، تعوزهم الرؤية الشمولية المتماسكة للحياة.

3 ـ يشعر الأفراد في هذا النوع من المجتمعات التي يسودها هذا النوع من الثقافة بالعجز وضعف المقاومة وقلة الحيلة أمام طغيان العولمة وجبروتها.

4- تخلو حياة الأفراد اليومية في هذه المجتمعات الثقافية من أي معنى، بسبب ما يسود هذه المجتمعات من أنظمة عويصة جافة تفتقر الى الحياة والديناميكية؛ إذ تعمل هذه الانظمة على تفريغ حياة الافراد اليومية من مغزاها ودلالاتها (Giddens, A, 1990).

وإذا كانت هذه الظروف سائدة بالفعل في المجتمعات الغربية، وكانت هذه الخصائص هي ما يميز الثقافة السائدة فيها، فلا شيء فيها يأسف الناس على ضياعه أو خسارته، كما يقول جيمس سلفن بحرقة وألم (Slevin, J, 2000)، ولا عجب أن يصفها ليوتار (Lyotard) بالثقافة الزائفة (Fake Culture)، التي "كل شيء فيها مقبول وجائز" (Any Thing Goes) (كما وردت في سليفن 2000).

ربما لا يكون الشباب في المجتمع القطري والعربي يعانون من لذعة المشكلات السابقة بنفس الدرجة التي يعاني منها الشباب في المجتمعات الغربية، بسبب اختلاف الظروف المجتمعية. ولكن هذا لا يعني أنهم في أمان من هذه اللذعة، أو أن عددا منهم يعاني منها دون أن نعلم. فالدراسات الاجتماعية في المجتمع العربي تشكو، في الحقيقة، من قصور واضح في معرفة مدى انتشار مثل هذه المشكلات بين الشباب، ومن فقر وقلة أيضا في تحديد الخصائص الثقافية للاتصال الالكتروني في هذا المجتمع.

ومن هذا المنطلق، تأتي أهمية الدراسة التي قمنا بها؛ فقد حاولت ولوج هذا الباب من الدراسات الميدانية ـ التحليلية، التي تُعنى بتحليل ثقافة الإنترنت، وانعكاساتها على الشباب العربي، على أمل أن تهيء الفرصة أمام بعض الباحثين الاجتماعيين في المجتمع العربي لإجراء المزيد من الدراسات في هذا المجال

الثقافي، ومتابعة النتائج التي توصلنا إليها هذه الدراسة، والبناء عليها، أو على بعضها. وفي هذا الصدد، يمكن إجمال ما توصلت اليه الدراسة من نتائج في هذا المجال كما يلي:

1- اعتماد الشباب على الاتصال الالكتروني: حجم الظاهرة ودلالاتها

أوضحت الدراسة أن الشباب جميعهم يستخدمون الاتصال الالكتروني في حياتهم اليومية، بصرف النظر عن أعمارهم، أو مستوياتهم التعليمية، أو أوضاعهم الاجتماعية والمهنية، بنسب متفاوتة وبخبرة لا بأس بها. وإذا كان لهذه النتيجة من دلالة فتكمن في تلك المكانة الاتصالية التي بدأ يحتلها الاتصال الالكتروني بين وسائل الاتصال الأخرى الموجودة في المجتمع.

لقد اتضح من الدراسة أن أعلى نسبة مئوية من أعمار الشباب، هي نسبة الفئة التي تراوحت أعمارهم فيها ما بين (20-23) سنة؛ حيث بلغت هذه النسبة (27.8%)، تلتها نسبة الشباب ممن هم في الفئة العمرية المحصورة ما بين (26-29) سنة، حيث بلغت هذه النسبة (18.9%)، وأما أقل النسب تمثيلاً في العينة فهي نسبة الشباب ممن تراوحت أعمارهم ما بين (14-17) سنة، حيث كانت هذه النسبة (6.4%).

وأما فيما يتعلق بحجم ظاهرة استخدام الانترنت،كوسيلة اتصال الكتروني، بين المستويات التعليمية المختلفة للشباب، فقد أوضحت الدراسة أن المستوى التعليمي الجامعي كان هو الأعلى بين هذه المستويات؛ حيث كانت نسبة الشباب ممن يستخدم الانترنت في هذا المستوى (50.6%)، تلاه المستوى التعليمي الثانوي، حيث كانت نسبة مستخدمي الانترنت من الشباب في هذا المستوى (32.0%). وأما أقل المستويات التعليمية استخداما له فهو المستوى الإبتدائي؛ حيث أوضحت النتائج أن النسبة المئوية لمستخدمي هذا المستوى كانت (0.4%).

وأما فيما يتعلق بحجم هذه الظاهرة بين الأوضاع الاجتماعية لهؤلاء الشباب، فقد احتل الشباب العازب منهم المقام الاول بين الاوضاع الاجتماعية الاخرى؛ حيث بلغت نسبة هؤلاء الشباب ممن يستخدمون الانترنت (55.8%). وأما الشباب

المتزوجون منهم، فقد كانت نسبتهم (31.8%)، وأما أقل النسب استخداما، كما دلت النتائج، فقد كانت نسبة الشباب الأرمل؛ حيث لم يستعمله منهم سوى ما نسبته (0.8%).

وأما فيما يتعلق بخلفية الشباب المهنية، فقد أوضحت الدراسة أن أكثريتهم، وهي (38.6%)، تعمل في القطاع الحكومي (الشرطة، الوزارات، التدريس، المستشفيات، البريد، الكهرباء والماء، ضريبة الدخل، موظفون إداريون في الجامعة). وأما ثاني أعلى المهن من حيث نسبة استخدام الشباب فيها للانترنت فهي مهنة "الدراسة"، أي الطلبة المتفرغون للدراسة؛ حيث بلغت هذه النسبة (28.6%). وأما من لا يعمل من الشباب، أي الباطل عن العمل، فقد كانت نسبتهم هي (12.7%). وأما نسبة من يعمل في القطاع الخاص فقد بلغت (10.2%)؛ وقد دلت الدراسة أيضا الى وجود ما نسبته (4.9%) من الشباب ممن يعملون أعمالاً حرة، ووجود ما نسبته (4.4%) منهم يعملون ويدرسون في نفس الوقت.

وأما من حيث دخولات أسر الشباب الشهرية، فقد أوضحت الدراسة عن وجود تقارب فيها؛ حيث بلغت نسبة من انحصر دخل أسرته منهم ما بين (12.500–15.000) ريال قطري هي (19.5%)، ثم نسبة من انحصر دخل أسرتهِ ما بين (7500–10.000) هي (18.4%). وأما من زادت دخولات أسرهم الشهرية عن (15.000) ريال شهرياً فقد كانت (7.2%). وقد أوضحت نتائج الدراسة أن هذه الدخولات لم تترك فروقاً واضحة بين الشباب فيما يتعلق بالتأثيرات التي تركها الإنترنت عليهم، وربما يعود السبب في ذلك إلى تقارب هذه المستويات من الدخولات الشهرية لدى أسر هؤلاء الشباب.

وأما فيما يتعلق بحجم الظاهرة من حيث عدد ساعات استخدام الشباب للإنترنت، فقد تبين انهم غير مفرطين في هذا الاستخدام؛ إذ لم تزد هذه الساعات عن (2–4) ساعة في اليوم لدى أعلى نسبة من مستخدميه وهي (38.6%)، تلتها فئة الشباب ممن يستخدمه أقل من ساعتين في اليوم؛ حيث كانت النسبة (30.5%). وأما الشباب الذين يستخدمونه أكثر من (6) ساعات يومياً فقد كانت نسبتهم المئوية (9.5%).

وأما فيما يتعلق بعدد سنوات خبرة الشباب في استعمال الإنترنت فقد توصلت الدراسة إلى أن النسبة الأعلى بينهم كانت لأولئك الذين لديهم ما بين (2–4) سنوات خبرة، إذ بلغت نسبتهم (34.9%)، ثم بلغت ثاني أعلى نسبة من حيث عدد سنوات الخبرة (34.6%)، وكانت لأولئك الشباب الذين لديهم سنتان من الخبرة في استعماله. وأما ثالث أعلى نسبة استخدام للانترنت بين الشباب فقد انحصرت في الفئة ما بين (4–6) سنوات، حيث بلغت النسبة لهذه الفئة (17.4%). كما كشفت الدراسة أيضاً أن نسبة من لديهم أكثر من ثماني سنوات خبرة في هذا الاستخدام لم تزد عن (0.6%).

وفي نهاية هذا الجزء، نود التأكيد على نتيجة مهمة كشفت عنها الدراسة وهي عدم وجود فروق جوهرية وحقيقية بين المتغيرات الأساسية السابقة جميعها، وبين ما تركه فيهم الانترنت من تأثيرات، اللهم إلا في بعض الحالات، كمتغير الجنس.

وخلافا للمتغيرات الأساسية السابقة، فقد كشفت الدراسة عن وجود علاقة قوية بين تأثيرات الانترنت على الشباب وبين المتغيرات الاجتماعية التي استخدمتها الدراسة. إذ تبين وجود دور فاعلٍ للأسرة في حمايتها للشباب من تعرضهم لتأثيرات الإنترنت السلبية؛ إذ عملت الأسرة، كجماعة مرجعيةــ وسيطة، على التخفيف من تأثيرات الانترنت السلبية على هؤلاء الشباب، وعملت في الوقت نفسه على تعميق فوائدهم من الانترنت.

وبدا ذلك واضحاً في جميع المجالات التي استخدم فيها الشباب الإنترنت. فالأسر التي كانت تعامل أبناءها بطريقة ديمقراطية قائمة على الاحترام المتبادل، والحوار والنقاش، وساد فيها تفاعل مباشر بينها وبينهم، استفاد الشباب فيها من الإنترنت أكثر مما استفاده الشباب ممن لم يتمتعون بمثل هذا النوع من العلاقات الأسرية، إضافة إلى أن تأثيرات الانترنت السلبية عليهم كانت أقل من تاثيرات الانترنت على النوع الثاني منهم.

ربما تكون هذه النتيجة غير جديدة لدى العاملين في مجال سوسيولوجيا الاتصال، فهي مثبتة في أدبيات دراساتهم. ومع ذلك فان التوصل إليها إمبريقياً في

هذا النوع من الدراسات في المجتمع العربي، يجعلها نتيجة جديرة بالذكر، والتشديد عليها، ولفت الأنظار إلى أهميتها في عصر الاتصال الالكتروني. إن مثل هذا التأكيد على الأسرة، كجماعة مرجعية للشباب، يعيد إليها هيبتها وحيويتها وينعش مكانتها، ويؤكد على دورها الفاعل في عملية التنشئة الاجتماعية، في زمن بدأ مثل هذا الدور بالتراجع والتقلص والانكماش.

2- الاتصال الالكتروني: خيارات ممكنة وآفاق مفتوحة

كشفت نتائج الدراسة عن وجود دلائل تشير إلى بروز نمط جديد من الاتصال في المجتمع يضاف إلى أنماط الاتصال الأخرى الموجودة، ألا وهو الاتصال الالكتروني عبر الانترنت. ومع أن هذا النمط الاتصالي الجديد لا يزال في مرحلته الجنينية إلا أنه مرشح لاحتلال مكانة أرقى بين الشباب في السنوات القادمة نظراً لتزايد اعتمادهم عليه في تكوين علاقاتهم العاطفية بشكل خاص، والاجتماعية بشكل عام.

إذ دلت النتائج أن نسبة الشباب الذين تأثرت علاقاتهم الاجتماعية المباشرة مع أصدقائهم بسبب انشغالهم عنهم بالإنترنت كانت قد بلغت (43%)، كما بلغت نسبة الشباب ممن تأثرت علاقاتهم المباشرة أيضا مع أسرهم للسبب نفسه (44.4%). ومع أن هذه النسب غير مرتفعة نسبياً إلا أنها مرشحة لذلك في السنوات القادمة وبخاصة بين الجنسين لأن طبيعية العلاقات الاجتماعية في المجتمع القطري لا تسمح بالاتصال وجها لوجه، إلا على نطاق محدود جداً، مما قد يدفع الشباب لاستخدام وسائط أخرى كالإنترنت أو الهاتف المحمول لإشباع هذا الدافع الأساسي من دوافع الحياة الاجتماعية والاتصالية.

إن هذا العامل الثقافي ـ الاتصالي في المجتمع القطري، يوازي في أهميته العامل المادي ـ الاقتصادي في المجتمعات الرأسمالية من حيث إحتمالية احتلال الإنترنت مكانة أرقى في المستقبل. فمثلما إعتمدنا على هذا العامل المادي، من بين عوامل أخرى بالطبع، في تنبؤنا احتلال الانترنت مكانة أكثر أهمية في تلك المجتمعات، فإننا نتوقع أن يحتل الانترنت المكانة نفسها في المجتمعات العربية التي

لا تسمح بناءاتها الثقافية والاجتماعية بالاتصال المباشر بين الجنسين. إن طبيعة البناء الاقتصادي والثقافي لأي مجتمع هو الذي يشكل، في الوقع، أنظمته الاتصالية، وهو الذي يحدد أياً من وسائله الاتصالية ستنجح أو ستفشل في أن تصبح أنظمة إتصالية معتمدة أكثر من غيرها.

وإذا ما أضفنا إلى العامل الثقافي السابق عاملاً آخر، يتعلق بالمشاعر والعواطف المكونة عبر هذه الوسيلة الاتصالية، لزادت صدقية توقعاتنا فيما يتعلق بمكانة الإنترنت مستقبلاً في المجتمع كنظام اتصالي من نوع خاص. إذ دفعت العلاقات العاطفية المشكلة عبر الإنترنت الشباب إلى لقاءات مباشرة وجها لوجه؛ حيث أشارت النتائج إلى وجود ما نسبته (38.6%) من الشباب، كانت علاقاتهم العاطفية المكونة عبر الإنترنت قد قادتهم إلى لقاءات حيّة متجاوزين بذلك الضغوطات الاجتماعية الصارمة المفروضة على هذا النوع من الاتصال بينهم.

وبالإضافة إلى ما سبق، يبقى هناك مؤشر آخر يدعم وجهة نظرنا حول احتمالية تشكل الإنترنت كنظام اتصالي جديد في المجتمع، ألا وهو تسهيل هذه الوسيلة الاتصالية لعملية الزواج من خارج دوائر العلاقات القرابية. إن العلاقات العاطفية المكونة عبر الإنترنت بين الجنسين، لم تكن ذات قوة دافعة للقاءات مباشرة بينهم فحسب، بل ذات قوة دافعة أيضا نحو إقامة علاقات زواجية.

لقد دفعت هذه العلاقات ما نسبته (28.8%) من الشباب بالتفكير بالزواج من إحدى المعارف التي تعرفوا إليها عبر الانترنت. صحيح أن نسبة هؤلاء الشباب هي نسبة متدنية نسبياً ولا تعادل نسبة من لا يفكر منهم بذلك، (70.5%)، ومع ذلك فإنها بالإضافة إلى نسب الشباب السابقة ممن أثر إتصالهم الألكتروني على علاقاتهم المباشرة بأصدقائهم وأسرهم (43% و 44.4%)، تبقى نسبة لا يستهان بها حين نريد أن نقيم الدور الذي لعبه الاتصال الالكتروني في التأثير على العلاقات الشخصية المباشرة في مجتمع تقليدي محافظ في زمن قصير، وادخله على مفاهيم الزواج السائدة في هذا المجتمع أيضا.

ان الخيارات المفتوحة، والافاق الجديدة التي أتاحها هذا النوع من الاتصالات الإلكترونية للشباب بخصوص الزواج واللقاءات المباشرة بين الجنسين، لا يعني قبولنا بها أو رفضنا لها، بقدر ما يعني إقرارنا بوجودها كمظهر من مظاهر التغير الثقافي الذي أدخلته هذه الاتصالات على مفهوم العلاقات العاطفية وعلى مؤسسة الزواج في المجتمع بزمن قصير. لذا يجب أن لا نصدر على هذا الشكل الجديد من العلاقات أحكاما قيمية (Value-Judgments) في الوقت الحاضر، لأن مثل هذه الأحكام ستكون أحكاما متسرعة واستباقية تعوزها الدقة، شأنها في ذلك شأن تلك الأحكام المبتسرة، التي كان يصدرها المجتمع على العلاقات العاطفية وأشكال الزواج الجديدة التي كانت لا تتوافق مع مفهوم العلاقات السائدة، ولا مع أشكال الزواج المقبولة آنذاك في المجتمع.

ومما يجب ذكره في هذا الصدد، هو أن مؤسسة الزواج في المجتمع العربي، كانت قد شهدت، تغيرات واضحة في بعض جوانبها في العقود الثلاثة الماضية، وبخاصة في مجال اختيار الفرد لشريك حياته. وليست النسبة السابقة من الشباب القطري الذي لا يمانع في الارتباط بإحدى المعارف التي تعرف إليها بواسطة الانترنت إلا دليلاً جديداً على هذا التغير المستمر. فبعد أن كان الزواج في السابق محصوراً في دوائر قرابية أو مكانية ضيقة لا تتعدى الحي أو القرية، نجد آفاقه الآن تتسع وتمتد بفضل الإنترنت خارج هذه الحدود.

لقد كان الزواج في بعض المجتمعات العربية في الماضي غير البعيد، يرتبه الآباء لأبنائهم، بطرقهم الخاصة (Arranged Marriage)، إما من العشيرة أو القرية أو الحي، دون أخذ رأي الشباب فيه. إنه في كثير من الأحيان شأن أسري أو عائلي.

ولكن هذا النمط التقليدي من الزواج لم يعد مقبولاً في الوقت الحاضر، وذلك بحكم التغيرات الثقافية والتعليمية والاقتصادية والاتصالية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع العربي بشكل عام، ومؤسسة الزواج بشكل خاص. لقد أعطت هذه التغيرات حرية أوسع للفرد في اختيار شريك حياته، تتعدى حدود القرية والعشيرة والمجتمع الكبير أيضاً.

وبدخول الإنترنت، كأحد أهم وسائل الاتصال الحديثة التي أدخلتها ثورة الاتصالات المعاصرة في المجتمع العربي، حدث "انقلاب" آخر غير مسبوق في مفاهيم الزواج؛ إذ عمل الإنترنت على توسيع مجالات الاختيار أمام الفرد؛ ففتح أمامه أبواباً وآفاقاً في الأرض ليختار منها زوجه لم تكن تخطر على بال أحد قبل عشر سنوات، يعتبرها البعض ضربا من "الجنون"، وشكلا من أشكال "الضياع" الذي سببته الاتصالات الالكترونية للشباب العربي في الوقت الحاضر.

ولكن الواقع خلاف ذلك؛ فمن يدري ما سيفضي اليه هذا "الانقلاب" في مفاهيم الزواج في السنوات القادمة؟ هل سيصبح هذا الشكل من الزواج أمراً شائعاً ومألوفاً ومقبولا؟ وهل سيكف المجتمع عن النظر اليه بأنه "جنون غير مبرر"؟ وهل المشكلات التي قد تنجم عنه مستقبلا ستكون مختلفة عن المشكلات المألوفة في أشكال الزواج الشائع هذه الأيام؟ وهل الطلاق هو مصيره المحتوم؟. إن الوقت لا يزال مبكراً للتنبؤ بكل ذلك.

3- الاتصال الإلكتروني والتفاعل الاجتماعي: رؤية جديدة

أدى الاتصال الالكتروني إلى تغيير جوهري في المفهوم التقليدي للتفاعل الاجتماعي، وبخاصة ذلك الذي يقتضي تزامن الأطراف المتفاعلة في مكان واحد؛ فلم تعد هناك ضرورة في عصر الاتصال الالكتروني لمثل هذا التزامن أو التواجد في مكان واحد، ولم يعد الاتصال وجها لوجه شرطا أساسيا من شروط هذه العملية الاجتماعية؛ فقد أوجد الانترنت بتقنيته المتطورة، شكلا جديدا من أشكال التفاعل الاجتماعي أطلق عليه الباحث ثومبسون مصطلحا خاصا هو "شبه التفاعل"، كما بينا ذلك في الاطار النظري للدراسة. ويتصف هذا النوع من التفاعل بالخصائص نفسها التي يتصف بها التفاعل المباشر إلى حد كبير.

لقد كشفت الدراسة، في الحقيقة، عن خلخلة في العلاقات التفاعلية بالمفهوم التقليدي لها، بين الشباب وأسرهم وعائلاتهم؛ إذ اتضح أن هناك ما نسبته (54%) منهم لم يعودوا يجلسون مع أسرهم ويتبادلون معها أطراف الحديث في القضايا العامة كما كانوا يفعلون قبل دخول هذا النوع من الاتصال إلى مجتمعهم وتعودهم

عليه. كما اتضح أيضا انهم لم يعودوا يقومون أيضاً بزيارات لأقاربهم أو يشاركون في النشاطات العائلية، لأنه لم يعد لدى ما نسبته (44.7%) منهم الوقت الكافي لذلك، فقد "باعد" الإنترنت بينهم وبين أسرهم وأقاربهم جسديا. وأما علاقات هؤلاء الشباب بأقاربهم، ومشاعرهم نحوهم، فإنها لم تتغير كثيرا عما كانت عليه قبل تعودهم على هذه الوسيلة الاتصالية. إن الذي تغير، في الواقع، هو مفهوم التفاعل الاجتماعي وليس مضمونه المشاعري.

وفي الوقت الذي وجدنا فيه الإنترنت "يباعد" جسديا بين الشباب وأسرهم وأقاربهم القريبين منهم داخل مجتمعهم، نجده في الوقت نفسه يقارب نفسيا وعاطفيا بينهم وبين أفراد أسرهم البعيدين عنهم، ويعمق من تفاعلهم الاجتماعي معهم، على الرغم من سعة المسافات التي تحول دون لقائهم بهم وجها لوجه؛ إذ بلغت نسبة الشباب ممن يستخدمون الإنترنت لهذه الغاية (67.1%).

ولعل هذه المزية النفسية ـ التفاعلية للاتصال الإلكتروني هي من أهم المزايا التي تدفعنا الى حث الشباب إلى استعمال الإنترنت من أجل تعميق التفاعل والتواصل "عن بعد" بينهم وبين أصدقائهم ومعارفهم وافراد اسرهم البعيدين عنهم، وذلك من أجل إبقاء أواصر المحبة قائمة، وجسور التواصل متينة وقوية.

4- البعد العلاجي ـ التطهيري في الاتصال الإلكتروني

كشفت الدراسة عن وجود نسبة عالية من الشباب وصلت إلى (71.1%) كان الأنترنت قد ساعدها على تعزيز ثقتها بنفسها أمام الآخرين. فالمعلومات والمعارف والمهارات التي جناها هؤلاء الشباب من الإنترنت، عملت على زيادة شعورهم بأهميتهم، وإكسابهم ثقة بذواتهم أمام الآخرين في المناقشات والحوارات السياسية والثقافية والقضايا العامة، وبخاصة فئة الشباب الذكور منهم.

إذ دلت النتائج على وجود ما نسبته (41.2%) من الذكور، ووجود ما نسبته (29.9%) من الإناث، وبخاصة ممن تقع أعمارهم في الفئة العمرية (20-23) سنة، كانوا قد استثمروا هذه المعلومات والمعارف التي اكتسبوها من الإنترنت في تعزيز ثقتهم بأنفسهم. وكان هذا واضحاً لدى أولئك الشباب ممن يتمتعون بعلاقات

قوية مع أسرهم، وممن كانت تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية قائمة على احترام لآرائهم ووجهات نظرهم في القضايا التي تتطلب منهم إبداء آرائهم فيها.

ولم تقتصر مزايا استخدامات الشباب لهذه الوسيلة الاتصالية على مجرد تعزيز ثقتهم بأنفسهم فحسب، بل امتدت لتطال جانباً آخر من جوانب شخصياتهم لا يقل أهمية عن الجانب السابق ألا وهو ذاك المتعلق بحل مشكلاتهم النفسية والعاطفية. إذ كشفت الدراسة عن وجود ما نسبته (57.1%) من هؤلاء الشباب كانوا قد لجأوا إلى بعض المواقع المخصصة في الإنترنت لحل المشكلات العاطفية والنفسية علهم يجدون لدى ذوي الاختصاص فيها ما يساعدهم على التخلص من مثل هذه المشكلات والاحباطات النفسية والاجتماعية التي لم يكن بمقدورهم التحدث عنها بشكل مباشر ووجاهي مع أسرهم أو حتى مع هؤلاء الخبراء أنفسهم بشكل مباشر.

وسواء كانت استعانة الشباب بالإنترنت من أجل التخلص من مشكلاتهم النفسية، أو لمجرد الهروب من واقعهم اليومي المأزوم بالمشكلات المختلفة، فالنتيجة واحدة وهي: شعورهم بانفراج نفسي أزاح عن صدورهم الضيق والتوتر الذي يعانون منه، مما جعلهم ينظرون إلى الحياة نظرة جديدة متفائلة وسعيدة. وبذا يكون الإنترنت قد قام بدور علاجي في حياة هؤلاء الشباب لا يقل كفاءة عن الدور الذي يقوم به الطبيب النفسي.

إن هذا البعد العلاجي – التطهيري الذي يقوم به هذا النوع من الاتصال الالكتروني هو ، في الواقع، من أهم الأبعاد النفسية التي يتوجب على العاملين في المجال النفسي إجراء المزيد من البحوث الميدانية عليها من أجل التعمق في فهمها وتبيان آليا ت عملها.

ومن الأبعاد النفسية الأخرى لهذا النوع من الاتصال، هو لجوء الشباب إليه من أجل البوح عما في صدورهم من مشكلات عاطفية يخجلون من الإفصاح عنها والتحدث فيها وجهاً لوجه مع أهاليهم؛ إذ أجاب ما نسبته (63.2%) من الشباب بأنهم يؤثرون البوح عما في صدرهم من مشكلات نفسية وعاطفية في هذه الوسيلة أكثر من أي وسيلة أخرى.

ولم يقتصر تفضيل الشباب للانترنت من أجل إفصاحهم عن مشكلاتهم العاطفية فقط، بل أنهم يفضلونه على وسائل الاتصال الاخرى المتاحة لهم. فهم يجدون أنفسهم أكثر جرأة وصراحة وانفتاحاً في التحدث عبر الإنترنت عن مشكلاتهم العامة من التحدث عنها بشكل مباشرحتى مع أسرهم. إذ بلغت نسبتهم في هذه الحالة (57.4%) وهذا بعد نفسي آخر، يضاف إلى البعدين السابقين من الأبعاد التي أتاحها الاتصال الالكتروني للشباب.

إلام يعزى (Attribute) تفضيل الشباب لهذا النوع من الاتصال من أجل البوح عن مشكلاتهم؟ هل يعزى إلى سمة الخجل التي يتصف بها الشباب القطري من كلا الجنسين بشكل عام؟ أم أنه يعزى إلى ما يتيحه الاتصال الالكتروني من خصائص ومزايا؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل تبقى بحاجة إلى دراسة أخرى يتوجب على الباحثين الاجتماعيين القيام بها بشكل تفصيلي، علما اننا ميالون إلى ترجيح الاحتمال الثاني، لأن هذا النوع من الاتصال يتمتع بخصائص اتصالية قل أن يتمتع بها غيره. ففيه، على سبيل المثال،" تحرر و"انفلات" من بعض القيود الاجتماعية والشخصية التي تقتضيها أنواع الاتصالات الاخرى، كالاتصال المباشر مثلا، مما يسمح للفرد بابراز جوانب عديدة من شخصيته، ويبوح عن أمور خاصة عن ذاته لا يبرزها عادة أو يبوح عنها في حالة الاتصال الشخصي المباشر.

5-الاتصال الالكتروني: أدوار جديدة ووظائف متعددة

أظهرت نتائج الدراسة أن الشباب يعانون من فراغ كبير في حياتهم، ويعوزهم الكثير من المرافق العامة التي قد يجدون فيها ما يسليهم، ويروح عن أنفسهم، ويزجون فيها أوقات فراغهم. لذا وجدوا في هذه الوسيلة الإتصالية كل ما يغنيهم عن ذلك؛ إذ بلغت نسبة الشباب ممن استخدموها لهذه الغاية (73.7%). وهذه النسبة هي من أعلى النسب في مجتمع الدراسة التي استخدم الشباب هذه الوسيلة من اجلها؛ مما يدل على مدى اعتمادهم عليها وحاجتهم لها في اشباع هذه الحاجات النفسية. والأمر اللافت للنظر هنا أيضاً هو أن الفراغ والملل هو حالة عامة منتشرة بين جميع الفئات العمرية والمستويات التعليمية، وكذلك بين الجنسين بصرف النظر عن حالتهم الإجتماعية، فالمتزوجون يعانون من ملل وفراغ مثلما يعاني غير

المتزوجين. وقد أتضح أيضاً أنه حتى المتزوجين والمتزوجات ممن تربطهم علاقات قوية مع أزواجهم وأسرهم يعانون من فراغ وملل في حياتهم اليومية؛ حيث كان هناك ما نسبته (49.7%) من الشباب المتزوجين من كلا الجنسين يعانون من فراغ وملل ورتابة في حياتهم اليومية. ولولا وجود الإنترنت كوسيلة ترفيه في حياتهم، لكانوا قد شعروا باختناق قاتل وسأم مخيف.

ومع ذلك يجب التأكيد هنا على أمر في غاية الاهمية يتعلق بالتأثيرات الضمنية للترفيه الذي تقوم به هذه الوسيلة على ثقافة الشباب. صحيح أن الشباب كانوا قد استثمروها في الترفيه عن أنفسهم، وقتل الفراغ والملل الذي يعانون منه، ومع ذلك يجب على الدارسين توخي الحرص والحذر من الفهم الخاطئ لهذه الوظيفة التي يقوم بها الإنترنت في حياة الشباب وواقعهم الثقافي.

لا شك أن الترفيه عن النفس وتزجية وقت الفراغ هو حاجة أساسية من حاجات الفرد، ومطلب من مطالب نمو شخصيته، ومع ذلك، يجب التأكيد على أن برامج الترفيه التي يشاهدها الشباب في الإنترنت، ليست ذات مضامين حيادية و"نظيفة" تسعى إلى إشباع حاجاتهم وتطوير شخصياتهم، وبالمعنى الذي أشار إليه الشباب أيضا في هذه الدراسة. إنها مضامين مشبعة بدلالات أيديولوجية، وأهداف ضمنية ذات تأثيرات بعيدة المدى عليهم، لا تقل في خطورتها عن التأثيرات التي تحدثها المضامين الأيديولوجية للمواد الإعلامية والثقافية الاخرى التي تقدمها وسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع، وربما تتفوق عليها.

وفي هذه الصدد يرى الباحثون الغربيون المهتمون بالمضمون الأيديولوجي للترفيه وأهدافه في المجتمع، وبخاصة هربرت شيللر، ورسل نيومان وملفن دوفلور، بأن الرسائل السياسية الكامنة في الشكل الترفيهي، لا تقل في وجودها وكثافتها عن تلك الرسائل الموجودة في وسائل الإعلام الأمريكية الأخرى، ولا تقل خطورة مضامينها على المشاهد، أيضا، عن خطورة مضامين الوسائل الأخرى. إن تقديم وجهة النظر الرسمية في نشرات الأخبار الخاضعة للسيطرة الحكومية يمثل أحد الجوانب، هذا الأمر يدركه المتلقي ويفسره بسهولة، لكن المؤشرات الأكثر دقة لتحديد ما هو مقبول وما هو غير مقبول سياسياً مما يطرح كجزء من مسار رئيسي

من الإعلانات، والكوميديا والتسلية ذات الاتجاه العلمي، يمكن أن يكون أكثر تأثيراً. (كما وردت في أديب خضور، 1999).

وفي هذا الصدد يؤكد دوفلور أن الترفيه الذي تعرضه وسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع الغربي، لا يقع خارج العملية الاجتماعية والاقتصادية في ذلك المجتمع. فصناعة الترفيه (Entertainment Industry)، في الوقت الحاضر في هذا المجتمع؛ وضخامة الاستثمارات في هذا المجال، من أهم الصناعات التي يقوم عليها النظام الاقتصادي، ومن أهم الصناعات التي تنتشر وتمرر من خلالها قيم المجتمع الأمريكي وثقافته. إذ تخضع عملية اختيار مواد الترفيه في المؤسسة الإعلامية للأسس والمحكات والمعايير ذاتها التي تخضع لها المواد الإعلامية الاخرى في هذه المؤسسة، وبخاصة الأخبار السياسية والاجتماعية والاقتصادية .(De Fleur, M. and Pall – Rokeach, S, 1989)

ويذهب هربرت شيللر في الاتجاه نفسه ليؤكد على عدم براءة هذه المضامين أو نزاهتها وحياديتها؛ إذ تخضع، برايه، لعملية انتقاء دقيقة، ومعالجة صارمة، من أجل تقديمها وتوظيفها في خدمة النظام السياسي القائم (Schiller, H. 1974). ففي هذه الحالة تتماهى الأيديولوجية الكامنة في المادة الترفيهية بالأهداف الأيديولوجية الكامنة في المادة السياسية والإخبارية، ألا وهي خدمة النظام السياسي القائم.

وتترك المضامين الأيديولوجية للمواد الترفيهية التي يتعرض لها الشباب في المؤسسة الإعلامية الجماهيرية، وبخاصة الإنترنت والتلفزيون، تأثيرات عديدة يكاد يصعب حصرها؛ إذ يؤدي هذا المضمون إلى انسلاخ الفرد عن واقعة اليومي المعاش، وإلى حالة من اللامبالاة والتبلّد الحسّي، إضافة إلى أنه يعمل على تكريس السلبية وقتل الإبداع، والعزوف عن المشاركة في القضايا المجتمعية التي تتطلب منه أن ينخرط فيها (أديب خضور1999). إن الترفيه غير الخلاّق، في المؤسسة الإعلامية، كالعمل غير الخلاق، كلاهما نتاج سلطة وسيطرة، يهدفان إلى إخضاع الفرد وتدجينه واستسلامه، وصرف انتباهه عن المشكلات الفعلية والحقيقية في المجتمع الذي يعيش فيه. (المصدر السابق).

وبالإضافة إلى السلبيات السابقة للترفيه، تبقى هناك تأثيرات أخرى لا تقل في مخاطرها على الشباب عن المخاطر السابقة، ألا وهي تلك النمطية والتماثل الذي تريد المادة الترفيهية إيجادها لديهم. إذ يعمل الترفيه إلى خلق حالة نمطية بين الشباب بهدف إبعاد عقولهم وتفكيرهم عن كل فعل خلّاق مبدع من شأنه أن" يتمرد" على النظام السياسي أو ينتقده (المصدر السابق).

ويؤكد شيللر هذا الهدف المستتر للمؤسسة الإعلامية من حيث تقديمها لبرامج ومواد ترفيهية منتقاه ومختارة بطريقة فائقة الإتقان والحرفية. وفي هذا الصدد نجده يؤكد بأن المؤسسة الإعلامية في المجتمع الأمريكي، وبخاصة التلفزيون، تحولت إلى آلة محكمة السيطرة والهيمنة على العقول، لأنها نجحت في إقامة اتحاد ما بين برامج مسلوبة الحيوية بصورة متعمدة، وما بين تكنولوجيا تبعث على الفتور، مما أفضى إلى خمول جسدي وعطالة فكرية عند مشاهدي هذه البرامج (Schiller, H. 1974, 1992).

ولا تختلف رؤية شيللر للمضامين الايديولوجية لمواد الترفيه في التلفزيون عن تلك المضامين الموجودة في المواد التي يعرضها الإنترنت؛ فبحكم التطور المذهل الذي شهدته صناعة تكنولوجيا الاتصال، متجسدة بالإنترنت، وبحكم تزايد أعداد الشباب في الاعتماد عليه، يمكننا تصور التأثيرات السابقة لمضامين المواد الترفيهية فيه على الشباب.

ومن الفوائد الإيجابية التي توصلت إليها الدراسة أيضا تلك الفائدة المتعلقة بقيم الشباب وممارساتهم الدينية؛ فقد جنى الشباب من المعلومات والمعارف الدينية من خلال هذه الوسيلة ما ساعدهم في تعميق بعض المفاهيم الدينية التي لم يكن لديهم دراية ومعرفة كافية بها من قبل؛ إذ عملت هذه المعلومات على تقوية القيم والممارسات الدينية لدى ما نسبته (65.8%) منهم؛ اذ أجابت هذه النسبة من الشباب أن استخداماتها للإنترنت لم تؤثر على تأديتها لصلواتها في مواعيدها المحددة، وممارستها لشعائرها الدينية، وإنما على العكس من ذلك تماماً زادتهم تمسكاً والتزاماً بهذه المواقيت والشعائر، من خلال اطلاعهم على بعض المعلومات الدينية

التي أتاحتها لهم بعض المواقع في الإنترنت، والتي تحثهم على تأديتهم لواجباتهم الدينية في المناسبات التي تقتضي منهم ذلك.

وبالإضافة إلى الفوائد السابقة، هناك مجالات أخرى كانت هذه الوسيلة الاتصالية قد فتحتها أمام الشباب وهي رفع كفاءاتهم العلمية، وتطوير أدائهم المهني، وصقل هواياتهم وتنمية مواهبهم المختلفة. لقد عمل الإنترنت،في الواقع، على تقدم في تحصيل الشباب المدرسي والجامعي في المرحلتين الجامعية والمدرسية؛ إذ استثمر (68.6%) منهم المعلومات التي حصلوا عليها من الإنترنت في دراستهم وفي تحسين أدائهم في أعمالهم؛ كما استفاد من هؤلاء الشباب ما نسبته (69.2%) في تنمية مواهبهم وتطوير هواياتهم، وصقل تجاربهم في مجالات فنية وأدبية ورياضية مختلفة.

ومن أهم الأدوار الإيجابية التي لعبها الاتصال الإلكتروني في حياة الشباب، كما أظهرت نتائج الدراسة، هو تمكينه إياهم من تقديم يد العون والمساعدة للمحتاجين، سواء في مجتمعهم المحلي أو العربي؛ إذ أجاب ما نسبته (57.7%) منهم أن استخدامهم للإنترنت قد مكنهم من المساهمة في الأعمال الخيرية التطوعية مما جعلهم يشعرون بسعادة من نوع خاص.

ولعل الدور الذي يلعبه الاتصال الالكتروني في حياة الشباب في هذا الجانب من الجوانب الاجتماعية والإنسانية، هو من أهم الأدوار التي يمكن أن يلعبها أي نوع من أنواع الاتصالات الأخرى في حياتهم الاجتماعية، بما في ذلك الاتصال الشخصي، الذي يعتبر في العادة الوسيلة الأكثر إستخداما في مجال تقديم هذا النوع من المساعدات الإنسانية للمحتاجين. إذ يستطيع الشباب إستثمار التكنولوجيا المتقدمة التي يتمتع بها هذا النوع من الاتصال الالكتروني، ليساهموا في تقديم خدماتهم الإنسانية للمحتاجين في أية بقعة من بقاع الكون.

ومن الأدوار الأخرى التي قام بها هذا النوع من الاتصال في حياة الشباب الثقافية والتي لا تقل أهمية عن الأدوار السابقة، هو تمكينه اياهم من الانفتاح على

ثقافات المجتمعات المختلفة، وتسهيله الطريق أمامهم للانضمام إلى جمعيات اجتماعية وفرق رياضية، والانخراط في الحياة الاجتماعية.

وفي هذا الصدد، اتضح في الدراسة أن الإنترنت كان قد سهل على ما نسبته (63.4%) من الشباب الانضمام إلى بعض النوادي الرياضية والجمعيات الاجتماعية، سواء في مجتمعهم المحلي أو المجتمع العربي بشكل عام. وهذا الدور للإنترنت هو من الأدوار المفيدة التي أدخلها الإنترنت على العلاقات الاجتماعية ـ الاتصالية من حيث توسيع شبكات اتصالهم ودوائرهم المعرفية الاجتماعية محلياً وعربياً؛ إذ تمكن ما نسبته (79.6%) من الشباب من استثمار الإنترنت في الإطلاع على ثقافات الشعوب المختلفة وعاداتها وأنماط معيشتها. كما تمكن أيضاً ما نسبته (64.5%) من هؤلاء الشباب من استعماله في التعرف على شباب وشابات من خلفيات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة في الوطن العربي.

وكشفت الدراسة، أيضا، عن دور أخر من الادوار الحيوية التي قام بها الانترنت في حياة الشباب الفكرية والسياسية الشباب، وهو تمكينه إياهم من المساهمة في النشاطات الفكرية والسياسية والاجتماعية؛ إذ مكّن الانترنت نسبة عالية من الشباب بلغت (67.0%) من اختراق الحدود الجغرافية ليشاركوا في قضايا سياسية واجتماعية وثقافية كان من المتعذر عليهم القيام بها لولا وجود هذه الوسيلة الاتصالية الحديثة من وسائل الاتصال الإلكتروني. إضافة إلى تمكينه ما نسبته (65.8%) منهم في التعبير عن آرائهم واتجاهاتهم الفكرية والسياسية التي لا يستطيعون التعبير عنها صراحة في المجتمع.

وهكذا، فإن الوظائف والأدوار النفسية والاجتماعية والفكرية والسياسية والدينية السابقة للاتصال الإلكتروني، تجعلنا نؤكد على مدى أهميته والحاجة إلى استثماره في هذه المجالات. إن اعتماد الشباب عليه بهذه النسب المرتفعة نسبياً، وفي المجالات المختلفة السابقة، تزيد من توقعاتنا وتنبؤاتنا بأنه سيصبح نظاماً اتصالياً من نوع خاص في المجتمع في المستقبل المنظور في المجتمع القطري وكذلك المجتمعات العربية ذات البناءات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المشابهة له.

6 ـ الاتصال الإلكتروني: مخاطر كامنة وتساؤلات مفتوحة

على الرغم من الأبعاد الاجتماعية السابقة للاتصال الإلكتروني، وعلى الرغم أيضا من الادوار الايجابية التي لعبها في حياة الشباب الثقافية، والحاجات النفسية التي أشبعها لهم في مجالات متعددة، إلا انه أوجد لديهم مشكلات كثيرة، ذات أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية متباينة القوة والخطورة.

ومن أوضح هذه المشكلات، مشكلة العزلة النفسية والاجتماعية الناجمة عن إدمان بعضهم على إستخدام هذا النوع من الاتصالات الالكترونية في حياتهم اليومية. إذ كشفت الدراسة عن وجود ما نسبته (30.7%) من الشباب كانت أعراض هذه المشكلة بادية عليهم. وقد بانت أعراض الادمان لدى الشباب من خلال المظاهر الثلاثة التالية:

أ- انتشار القلق والتوتر والإحباط: إذ تبين أن هناك ما نسبته (30.7%) من الشباب أحسّ بالأعراض التي يحس بها في العادة المدمنون على الإنترنت كالإحساس بالقلق، والتوتر والضيق إذا ما انقطعوا عن استخدام الإنترنت. وهذا الاحساس موجود لدى الإناث والذكور على حد سواء؛ إذ شعرت بهذه الأعراض من الإناث ما نسبته (14.7%)، وشعر الشعور نفسه من الذكور ما نسبته (16%).

ب- تذمر أسر الشباب: كشفت الدراسة عن وجود تذمر من قبل أسر الشباب من أبنائها بسبب انشغالهم بالإنترنت؛ إذ شكت ما نسبته (36.7%) من هذه الأسر من أبنائها بسبب عدم تفاعلهم معها كما كانوا يفعلون قبل تعودهم على استعمال الإنترنت. ولم تكن هذه الشكوى مقصورة على جنس دون سواه من الشباب. فقد اشتكت ما نسبته (18.9%) من الأسر من إدمان بناتها على الإنترنت، واشتكت الشكوة نفسها ما نسبته (17.8%) من هذه الأسر من إدمان أبنائها الذكور.

جـ - خلخلة علاقات الشباب الاجتماعية بعائلاتهم: كشفت الدراسة أن استعمال الشباب للإنترنت، وتعلقهم به وإدمانهم عليه، جعلهم يتذمرون من زيارات أقاربهم لهم، وينزعجون منها وينظرون إليها كعبء ثقيل، يقطع عليهم إندماجهم

وانهماكهم في الإنترنت؛ إذ تذمر ما نسبته (24.2%) من الشباب من زيارات أقاربهم وقت استعمالهم للإنترنت.

ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة بخصوص إدمان الشباب على الإنترنت، والعزلة النفسية والاجتماعية التي سببها لهم هذا الإدمان، هو أن الشباب الذين تربطهم بأسرهم علاقات قوية، ودافئة وديمقراطية، لم تظهرعليهم أعراض إدمان الإنترنت، كما ظهرت عند أولئك الذين لا تربطهم بأسرهم مثل هذا النوع من العلاقات؛ وهذه نتيجة مهمة يجب التأكيد عليها، لأن الأسرة هي إحدى أهم المؤسسات الاجتماعية التي تحول دون وقوع أبنائها في المشكلات النفسية والاجتماعيةبما في ذلك مشكلة إدمان الانترت.

وأما المشكلة الأخرى التي نجمت عن إستخدام الشباب للاتصال الالكتروني فتكمن في امتعاض بعضهم من خيبة الأمل العاطفية التي سببتها لهم معارفهم ممن تعرفوا إليهم عبر هذه الوسيلة. فعلى الرغم من أن نسبة لا يستهان بها منهم كانت قد لجأت إلى الإنترنت لتكوين علاقات عاطفية إلكترونية مع "الجنس الأخر"، ومع ذلك هناك نسبة أخرى منهم شعرت بالصدمة والخذلان وخيبة الأمل، جراء الفشل الذي تعرضت له هذه العلاقات العاطفية ــ الإلكترونية مع "الجنس الأخر". وقد عبر عن هذا الاحساس، ما نسبته (56.9%) من الشباب من كلا الجنسين.

وكشفت الدراسة بهذا الخصوص أيضاً، أن نسبة الشباب الذكور ممن شعر بزيف من هذا النوع من العلاقات مع "الأخر"، فاقت نسبة الذكور ممن شعر الشعور نفسه؛ إذ شعر بهذا الشعور من الذكور ما نسبته (34%) وشعرت من الإناث ما نسبته (22.9%).

والأمر اللافت للنظر هو أن نسبة الشباب الذين لم يشعروا بزيف علاقاتهم العاطفية الإلكترونية مع الآخرين، كانت نسبة أقل من نسبة زملائهم ممن شعر بذلك الزيف. وتثير هذه النتيجة التساؤل التالي: هل عدم شعور هؤلاء الشباب بمشاعر الخذلان وخيبة الأمل من هذه العلاقات، يعبر عن تجربتهم الشخصية السعيدة بها؟ أم أنه يعكس وعيا زائفا (False Consciousness) بحقيقة مثل هذا النوع من

العلاقات الإلكترونية، بحيث يصبحون هم المتضررون فعلاً بسبب هذا الوعي الزائف، وتصبح الفئة التي وصفت مشاعرها بالزيف هي الفئة غير المتضررة بحكم وعيها وإدراكها لمخاطر هذا النوع من العلاقات؟ سؤال لا نريد الاجابة عليه، بل نبقيها مفتوحة حتى لا نقع في فخ إصدار الأحكام القيمية المسبقة على ظاهرة لا تزال في طور التشكل والتبلور، وهي ظاهرة الاتصال الإلكتروني.

وأما فيما يتصل بقوة هذا الشعور وارتباطه بمتغير العلاقات الاجتماعية، فقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة قوية بين حميمية العلاقات التي تجمع بين الأسرة وأبنائها، وقوة شعور هؤلاء الأبناء بالصدمة النفسية جراء تكوينهم مثل هذا النوع من العلاقات العاطفية الإلكترونية. فالشباب الذين ربطتهم علاقات قوية بأسرهم، مبنية على الاحترام والصراحة والصدق والانفتاح، شعروا أكثر من غيرهم بقوة الصدمة النفسية التي سببتها لهم هذه المشكلات العاطفية.

وتفسير ذلك يعود إلى أن الشباب الذين تعودوا على الصدق في تعامل أسرهم معهم، يتوقعون من الآخرين معاملة مشابهة لهذه المعاملة؛ فإذا ما تعرضوا لمعاملة مختلفة من الطرف الاخر، فسيشعرون بإحباط وخذلان كبيرين بسبب التناقض الموجود بين توقعاتهم لما سيسلكه هذا الأخر وبين ما يرون منه من سلوكات فعلية.

ولعل التفسير الذي تقدمه نظرية التفاعلية الرمزية في هذا الجانب، يساعدنا في فهم ما يشعر به الشباب في مثل هذه المواقف الاجتماعية؛ إذ يرى المدافعون عن هذه النظرية، أن الأفراد إنما يسلكون في المواقف الاجتماعية بناء على ما يتوقعونه من الاخرين من أفعال وسلوكات، وبناء على تلك المعاني التي يعطونها لأفعالهم وأفعال الاخرين ودلالاتها في تلك المواقف (Bottomore, T, and Nisbet, r 1979).

ولم تتوقف مخاطر الاتصال الإلكتروني على الشباب عند حد الصدمة النفسية فحسب، بل امتدت لتأخذ بعدا آخر من أبعاد حياتهم الأسرية والزواجية أيضا. وبهذا الخصوص تبين أن العلاقات العاطفية التي كونها الشباب العازبون والمتزوجون، من خلال الإنترنت، كادت تعصف بعلاقاتهم الودية مع أسرهم وأزواجهم؛ إذ كشفت

الدراسة عن وجود ما نسبته (29.1%) من هؤلاء الشباب كانت علاقاتهم بأسرهم وأزواجهم قد اعتراها نوع من التوتر والخلاف بسبب هذه العلاقات. صحيح أن هذه النسبة متدنية نوعاً ما، ومع ذلك تبقى مؤشراً على مدى المخاطر الاجتماعية والأسرية التي يمكن أن تتمخض عن مثل هذا الاتصال في المجتمع. كما دلت نتائج الدراسة، إلى أن نسبة الذكور ممن تسببت لهم معارفهم وصداقاتهم العاطفية المكونة عبر الإنترنت بمشكلات أسرية، وزواجية، كانت أعلى من نسبة مثيلتها عند الإناث؛ حيث كانت النسبة عند الذكور (19.8%) إلى (9.3) عند الإناث.

وأما فيما يتعلق بمتغيرات العلاقة الأسرية وصلتها بهذا النوع من العلاقات المشكلة عبر الإنترنت، فقد تبين أن الأبناء غير المتزوجين الذين ربطتهم بأسرهم علاقات تقدير واحترام متبادل ، وكذلك الأزواج الذين ربطتهم بزوجاتهم علاقات قوية، لم يمروا بمثل هذه التجارب المؤلمة؛ إذ لم يشعر ما نسبته (55.4%) من الشباب العازب، ولم يشعر ما نسبته (50.4%) من الشباب المتزوجين بمثل هذه التجارب، لأنه لا توجد لديهم علاقات من هذا النوع أصلاً. فقوّة علاقتهم بأسرهم وبأزواجهم جعلتهم لا يقدمون على تكوين علاقات عاطفية من هذا النوع عبر هذه الوسيلة.

ومن أهم المشكلات التي نجمت عن استعمالات الشباب للإنترنت مشكلة اغترابهم النفسي والاجتماعي، إذ عانى منهم ما نسبته (40.3%) من هذه المشكلة؛ حيث لم تعد ترى هذه النسبة من الشباب في مجتمعها سوى "التخلف" مقابل "التقدم" و"التحضر" في المجتمعات الأخرى. فما رأته هذه النسبة في الإنترنت عن تلك المجتمعات، من حيث تنوع أساليب حياتها الثقافية وأنماط معيشتها اليومية ومستويات الرفاهية، فيها جعلها تغترب عن مجتمعها ثقافيا، وتنفر منه، لدرجة أنها فضلت العيش في تلك المجتمعات عن مجتمعها.

ولعل الاغتراب الثقافي لدى الشباب، والتماهي مع النموذج الغربي والانبهار "بتقدمه" و"تحضره"، هو من أهم الأهداف الكامنة والمبطنة التي تسعى العولمة الثقافية الرأسمالية إلى تحقيقها عبر الإنترنت، باعتباره أحد أهم الرسل الجدد المبشرين بها (New Missionaries)، على حد تعبير هيرمان وماكشزني

(Herman, E and McChesney, R. 1997). إن المهمة الموكلة لهذه الوسيلة، بحسب المنطق الرأسمالي العولمي، هي السيطرة على عقل "الآخر"، بإشاعة أنماط ثقافية ـــ حياتية جديدة سطحية المكونات .والأبعاد (ميشيل فان، 2003).

وفي الحقيقة، تتوق العولمة الثقافية إلى اختراق إدراك "الآخر" ووعيه وهويته الوطنية والثقافية. وفي هذا الصدد يجادل محمد الجابري بأن الاختراق الثقافي إنما يستهدف السيطرة على إدراك "الآخر" واختطافه وتوجيهه، وبالتالي سلب وعيه والهيمنة على هويته الفردية والجماعية. ويمضي الجابري في جداله ليؤكد بأنه عن طريق السيطرة على هذا الوعي والإدراك يتم إخضاع النفوس، وتعطيل فاعلية العقل، وتكييف المنطق، والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق وقولبة السلوك. (محمد عابد الجابري، 1998).

فهل الشباب مدرك لهذه الأهداف المستترة للعولمة الثقافية؟ تجيبنا نتائج الدراسة بالإيجاب. فهناك نسبة عالية منهم بلغت (62.4%) مدركة لتلك الأهداف وواعية لمضامينها الايديولوجية. إذ ترى أن الإنترنت ليس سوى شكل من أشكال الاختراق الثقافي المبطن لمجتمعهم العربي المسلم، واستبدال قيمه بأخرى غربية. ولعل هذا الوعي والإدراك هو الذي يجعل أهداف العولمة الثقافية لا تنطلي عليهم. ولكن ماذا عساهم فاعلون وحدهم في مواجهة لسعات هذه العولمة؟

وفي نهاية استعراضنا للمشكلات النفسية والاجتماعية الناجمة عن استخدامات الشباب للانترنت، نود أن نطرح التساؤل التالي: هل نحن أمام أسباب أم نتائج؟ بمعنى آخر هل المشكلات النفسية والاجتماعية التي كنا قد نسبناها للإنترنت قد تسبب هو فعلاً فيها؟ أم أن هذه المشكلات هي في الأصل مشكلات مجتمعية؟ (Societal Problems).

إننا، في الواقع، لا نملك إجابة حاسمة وقطعية في هذا الخصوص. ومع ذلك، يمكننا التأكيد بأن العلاقة بين هذه المشكلات وبين الإنترنت ليست علاقة سبب ونتيجة. إنها أعقد من ذلك بكثير؛ فالظواهر الاجتماعية والثقافية هي ظواهر معقدة ومتشابكة، ولا يكفي الاعتماد على عامل واحد في تفسيرها، أو النظر اليها من

زاوية ضيقة، كزاوية الأثر والتأثير أو السبب والنتيجة. فمثل هذه الرؤية لا تساهم في تقديم تفسير دقيق للظاهرة أو للمشكلة الاجتماعية بقدر ما تخلق تشويشا وإرباكا حولها.

لذا، قد يكون من الواقعي العودة إلى جدلية الأسباب والنتائج في هذه الحالة، حتى نبين طبيعة هذه الإشكالية؛ فقد تكون هذه المشكلات، وبخاصة الاغتراب، والإدمان، والعزلة النفسية والاجتماعية، والخلافات الأسرية والزوجية، في جوهرها مشكلات اجتماعية رافقت التغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية والتعليمية التي مر بها المجتمع في السنوات الأخيرة من انفتاحه على العالم الخارجي بثقافاته المتعددة والمختلفة؛ حيث لم يجد الشباب أمامهم وسيلة للخلاص من وطأة هذه المشكلات وضغطها عليهم، سوى الهرب إلى الانترنت. لكن هروبهم الى الانترنت، خلق لديهم حالة من التعود أو الإدمان، انعكست سلباً بدورها على علاقاتهم الاجتماعية والعاطفية، فزادت من عزلتهم النفسية والاجتماعية، وعمقت من اغترابهم عن مجتمعهم وأججت خلافاتهم مع أزواجهم.

إن هروب الشباب إلى الإنترنت من أجل مساعدتهم على التخلص من مشكلاتهم النفسية والاجتماعية، هو في الحقيقة، أشبه ما يكون بهروب المرضى في الأماكن المغلقة في المصحات العقلية، أو المعتقلات أو السجون، عند إرفنج جوفمان، إلى المناطق الحرة، الأقل قيدا، داخل هذه المصحات أو المعتقلات، كساحات المعتقل وممرات المصحة، علهم يشعرون بنوع من الفرج والراحة من القيود والضغوط التي سببتها لهم الأماكن المغلقة داخل هذه المصحات أو المعتقلات. ؛ إذ يعتبر جوفمان، ان المستشفى أو المصحة العقلية أو المعتقل ما هي إلا مؤسسات أو تنظيمات مغلقة نسبيا، تقيد حرية النزلاء فيها وتحد من تفاعلهم الاجتماعي، وتمارس عليهم سلطة من نوع خاص. لذا نجدهم يبحثون عن أماكن مفتوحة تخفف عنهم الضغط والضيق الذي يعانون منه داخل هذه المؤسسات المغلقة والمقيدة لحريتهم. ولا يوجد أمامهم سوى ساحة السجن، أو ممرات المصحة أو ردهات المستشفى لتخلصهم من ذلك. ومع مرور الزمن يبدأ هؤلاء النزلاء بالتعلق بهذه الاماكن المفتوحة. (Goffman,E, 1968).

وهكذا تقودنا، التحذيرات السابقة، إلى ضرورة التريث والتأني قبل أن نصدر حكماً على الانترنت بتحميله عبء المشكلات النفسية والاجتماعية التي كشفت عن وجودها الدراسة بين بعض الفئات من الشباب؛ فمثل هذا الحكم هو حكمُ مبتسر وفج (Immature)، تعوزه الدقة العلمية، والأدلة الامبريقية الكافية، شأنه في ذلك شأن تلك الأحكام التي كان قد أصدرها بعض الباحثين في بدايات ظهور التلفزيون في المجتمع؛ حيث قاموا بتحميله حينها الكثير من أعباء المشكلات الاسرية، والتفكك العائلي، والعنف، والتراجع في التحصيل المدرسي، ليثبت لهم فيما بعد قصر نظرهم وعجلتهم في الحكم عليه بالتسبب بهذه المشكلات.

فقد تبين بعد تمحيص دقيق في السنوات اللاحقة، أن هذه المشكلات لا يتسبب فيها التلفزيون وحده، بل تشترك معه في ذلك عوامل أخرى، وفي مقدمتها طبيعة العلاقة التي تربط بين الشباب وأسرهم؛ إذ اتضح أن شدة تأثير التلفزيون على الأطفال والشباب على حد سواء، تزداد بمقدار تراخي العلاقات الأسرية، وانصراف أولياء أمورهم عنهم، وعدم الاهتمام بهم. ويتضاعف هذا التأثير بشكل أكبر في حالات التفكك الأسري والعائلي، وفي حالة سيادة جو الصراعات والخلافات الأسرية. (خلف العصفور وآخرون، 1994).

والوضع نفسه نجده في حالة الانترنت؛ إذ اتضح أن تأثيراته السلبية على الشباب تتماثل مع تأثيرات التلفزيون عليهم؛ فكلا التأثيرين غير مفصول عن طبيعة العلاقات الأسرية. أي أن تأثير هاتين الوسيلتين الاتصاليتين على الشباب، كان يزداد بازدياد تشدد الأسر في تعاملها مع أبنائها ويقل في حالة احترامها واهتمامها ورعايتها لهم. فكلما كانت معاملة الأسرة لهؤلاء الشباب تتصف بالديمقراطية، وتقوم على احترام وجهات نظرهم، قلت تأثيرات الانترنت السلبية عليهم، وزادت في الوقت نفسه فوائد استعمالاتهم له، وكلما كان هناك تشددّ وصرامة في معاملة الأسرة، وتدن في مستوى درجات التفاهم والحوار بينها وبين أبنائها، زادت تأثيرات الإنترنت السلبية عليهم، وقلت في الوقت نفسه درجات استفادتهم من مزاياه الإيجابية.

وتقودنا هذه النتيجة إلى تأكيد أمرين هامين يتعلق الأول منهما بضرورة مراقبة الأسرة للمضامين الثقافية التي يكتسبها أبناؤها من وسائل الاتصال الالكترونية؛ إذ يجب على الأسرة أن تفتح قنوات الإتصال بينها وبينهم، فتستمع لمشكلاتهم وخبراتهم اليومية، وتصغي لدلالات هذه المشكلات، وتعمل على حلها. كما يتوجب عليها أن تعمل على إشاعة أجواء الديمقراطية ومناخات الحوار والتفاعل بينها وبينهم، وتبتعد عن أساليب التزمت والتشدد والإملاءات في تعاملها معهم. وباختصار، على الأسرة أن تكون جماعة مرجعية من نوع خاص لأبنائها في جميع الأمور والأوقات، وبخاصة في هذا الوقت بالذات الذي يشهد فيه المجتمع تحولات بنيوية جوهرية واضحة في كافة جوانبه، وبخاصة الجانب الثقافي والاجتماعي؛ فهم بأشد الحاجة إليها، وإلى حكمتها وتجربتها في مساعدتهم على مواجهة ما يمرون فيه من أزمات ومشكلات وتوترات، قد لا يحسنون مواجهتها وحدهم. فهي إن تقاعست عن أداء هذا الدور، فقد يضطر أبناؤها إلى هجرها، والبحث عن أساليب، يجدون فيها ما لا يجدونه عندها كالإنترنت على سبيل المثال.

وأما البعد الثاني فيتعلق بضرورة اهتمام صناع القرار السياسي والاجتماعي في المجتمع، بضرورة الاهتمام بالأسرة نفسها كوحدة أساسية من وحدات المجتمع. قد يبدو هذا الأمر مستغربا للوهلة الأولى وبعيد الصلة عن موضوع في الدراسة التي نقوم بها حول ثقافة الإنترنت والتواصل الاجتماعي. لكن الحقيقة خلاف ذلك، إذ أن الاسرة في حقيقة الامر، تقع في صميم العملية الاتصالية بكافة أشكالها وأبعادها. وعليه فإن الإهتمام بها ليس مجرد تنظير اجتماعي في غير مكانه، ولا هو مجرد تمسك متزمت"بقدسيتها" في الثقافة العربية. إنه في جوهره وأهدافه أكثر من ذلك بكثير. إنه اهتمام يهدف إلى بناء مستقبل لها ليحتفظ بكيانها، وينشط دورها، وينعش مكانتها في المجتمع، ويؤكد على دورها في عملية التنشئة الاجتماعية، ذلك الدور الذي بدأ بالانكماش والتقلص والتراجع في عصر الاتصال الالكتروني. لذا، فإن أي جهد أو اهتمام يبذل في حمايتها والاهتمام بها، وتقوية شبكات التواصل بينها وبين أبنائها، هو جهد يتجاوز وظيفته الجزئية ليصب في مشروع أكبر وأهم وهو حماية هؤلاء الأبناء من تأثيرات تكنولوجيا الاتصال الإلكتروني التي يتعرضون لها من خلال الإنترنت.

وبالإضافة إلى الأبعاد السابقة، فإن الاهتمام بالاسرة هو اهتمام يصب في جوهره في حفاظ المجتمع على هويته الثقافية والوطنية، تلك الهوية التي بدأت تتعرض للسعات العولمة الثقافية؛ إذ لا توجد مؤسسة معرضة لمثل هذه المخاطر كالأسرة، ولا يوجد في الوقت نفسه مؤسسة بمقدورها حماية الهوية الثقافية والحفاظ عليها كالمؤسسة الأسرية.

صحيح أن هناك مؤسسات أخرى كثيرة معرضة لهذه المخاطر، وأن الحفاظ على الهوية الذاتية والثقافية هو مسؤولية مجتمعية تتطلب تضافر جهود مؤسسات المجتمع الرسمية والمدنية جميعها، وليس الأسرة وحدها؛ فذلك دور يفوق طاقتها وإمكانياتها، ومع ذلك فدورها في هذا المجال دور أساسي وريادي؛ إذ فيها تتشكل البدايات الأولى لهذه الهوية، ومنها ينبع الانتماء إليها.

بقيت ملاحظة أخيرة لا بد من التركيز عليها تتعلق بتعميم نتائج هذه الدراسة. إن الأبعاد الثقافية للاتصال الالكتروني ممثلا بالانترنت، ليست مقصورة على حالة الشباب القطري وحده. بل هي عامة ومنتشرة بين قطاعات واسعة من الشباب في المجتمع العربي، بحكم التشابه الموجود بين الأبنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لهذا المجتمع، وبخاصة المجتمع الخليجي، وبين بناءات المجتمع القطري، من جهة، وبحكم انتشار الإنترنت بين قطاعات واسعة وكبيرة من الشباب في المجتمع العربي في المجالات المختلفة في حياتهم اليومية من جهة أخرى.

وتتطلب الخصائص الثقافية السابقة للإنترنت من المجتمع العربي الوقوف وقفة تأمل واستبصار في الذات، من أجل التدبر في مستقبل ثقافة الشباب: هل بمقدور هذا المجتمع حماية هؤلاء الشباب من ثقافة الإنترنت بكل ما فيها من قيم المتعة والإستهلاك والفردية والسطحية؟ وهل باستطاعته وقايتهم من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية التي قد تنجم عنه؟ وهل يمتلك هذا المجتمع قيماً ثقافية بديلة عن قيم الإنترنت، يكون بمقدورها جذب الشباب إليها، وإشباع ظمئهم المعرفي والثقافي، وتقيهم "لفحات" الإنترنت بخصائصه الثقافية السابقة؟

إننا، في الحقيقة، لا نشك أبداً بامتلاك الثقافة العربية الإسلامية لمثل هذه القيم ذات الدلالات الإنسانية والحضارية، كما أنه لا يخامرنا أدنى شك بقدرة تلك الثقافة على الصمود أمام ثقافة الإنترنت، بل إننا نشك في مقدرة المجتمع العربي على إنتاج مثل هذه الثقافة الرفيعة في ظل الظروف الذاتية والموضوعية التي يعيشها هذا المجتمع في الوقت الراهن.

إن عملية الإنتاج الثقافي عملية مرتبطة بالإطار الإجتماعي الذي تنشأ وتتحرك فيه، كما يرى علماء اجتماع الثقافة والمعرفة بدءاً بابن خلدون ومروراً بكارل مانهايم (Mannheim) وانتهاءً بجورج غوروفيتش (Gurvitch)؛ إذ لا توجد ثقافة مستقلة عن الواقع الإجتماعي؛ فالمجتمع هو العنصر الأول المحرك لها، وهو الذي يقرر مضمونها وشكلها ومصيرها؛ فهي تعيش في علاقة موضوعية معه، تنمو بنموه، وتتراجع بتراجعه، فلا توجد ثقافة خارج حركة المجتمع، بل هي مرتبطة به وليست مستقلة عنه.

ولسنا بحاجة إلى نباهة وفطنة فائقة لنستنتج أن الثقافة العربية الراهنة ليست منفصلة أو مستقلة عن الواقع الإجتماعي الذي يعيشه المجتمع العربي، والذي أقل ما يمكن أن يُنعت به بأنه واقع مأزوم، وعليه فكيف يمكن لواقع مأزوم انتاج ثقافة أصيلة ذات قيم رفيعة؟ فذاك أم غير ممكن، لأن الشروط الإجتماعية لإنتاج هذه الثقافة غير مُتاحة ولا مشجعة على ذلك، بل على العكس من ذلك تماماً. إنها تعمل على تشجيع إنتاج ثقافي هزيل وبائس. فضعف اقتصاديات الثقافة في الوقت الحاضر، وهشاشة بنيتها المؤسساتية، وسيطرة النزعة المادية الإستهلاكية على قطاعات انتاجها، وبخاصة الإعلامي، ليس سوى مظهر من المظاهر التي تشير إلى بؤس هذا الإنتاج وفقر دمه.

إن تغيّر النمط الثقافي السائد في المجتمع العربي، وتغيّر مضامينه المعرفية الهزيلة – ذات النزعة الإستهلاكية، مرهون بتغير شروط إنتاجه الإجتماعية، وهذا أمر غير محتمل الحدوث في المستقبل المنظور، نظراً للظروف الموضوعية والذاتية التي يعيشها المجتمع العربي. ويترتب على هذا بقاء الشباب العربي يتغذى من ثقافتين أحلاهما مرّ: ثقافة الكترونية ذات ذوق ومضمون هابط وبائس وهشة

هشاشة رقائق البطاطا المقلية (Chips) التي تملأ معدة آكلهـا وتعطيـه إحـساساً بالشبع، إلاّ أنها لا تغذيه ولا تسمنه ولا تغنيه من جوع، إنها ثقافة لا تعدو كونهـا سلعة كباقي السلع، وثقافة مجتمعية عامة تنتجها مؤسسات ثقافية أخـرى، لا يقـل مضمونها بؤساً وضحالةً عن بؤس الثقافة الإلكترونية وضحالتها.

إن هذا البؤس الثقافي المزدوج الذي يعيشه الشباب في المجتمع العربي، لا يجب بأي حال من الأحوال أن يعمي بصيرتنا عن مزايا الإنترنت كوسيلة اتصال ثقافي بين الشباب في المجتمع العربي والمجتمع الغربي، ولا يجب أن يصدنا عن استثماره واستغلاله في الجانب العلمي والمعرفي والتنموي؛ فمزاياه وفوائده في هذه المجالات لا ينكرها أو يقلل من شأنها إلا الجاحدون أو المصابين بعشىً فكري؛ فما الإنترنت سوى وسيلة كباقي وسائل الاتصال الإنساني، قد نحسن استعمالها، وقد نسيئ إليه. فالخلل إذن، ليس في هذه الوسيلة الإتصالية بحد ذاتها، بل في سوء استعمال البعض لها. لذا فإن مناداة البعض بنبذها والتخلي عنها بذريعة درء المشكلات الناجمة عنها، إنما هي مناداة في وادٍ غير ذي زرع، لا يجب سماعها؛ لأننا إذا ما استمعنا إليها نكون أشبه بقادة أولئك القوم الذين طالبوا جماعتهم بالتوقف عن شرب الماء، لأن أحدهم كان قد شرب فغُصّ فمات، ولا سبيل لإنقاذ بقيتهم من الموت إلاّ بتوقفهم عن شرب الماء.

المراجع العربية

- أحمد أبوالهيجاء (2002) المعلوماتية في الوطن العربي: الواقع والآفاق بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- أديب خضور (1999) "سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون"، مجلة عـالم الفكـر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، أكتوبر /ديسمبر، ص 261 -302.
- اعتماد علام وآخرون (1995) التحولات الاجتماعية وقيم العمل فـي المجتمـع القطري، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية: جامعة قطر.
- المنصف وناس (1998)" مضامين العولمة الاتصالية والثقافية"، مجلة الاذاعات العربية، عدد 2، اتحاد إذاعات الدول العربية: تونس، ص ص7-13.
- جيهنة العيسى (1978) المجتمع القطـري: دراسـة تحليليـة لملامـح التغيـر الاجتماعي المعاصر، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية: جامعة قطر.
- حسن عماد مكاوي، وليلى حسين السيد (1998) الإتصال ونظرياتة المعاصـرة القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- حليم بركات (2004) الهوية: أزمة الحداثة والوعي التقليدي. بيـروت: ريـاض الريس للكتب والنشر.
- حنا جريس (2004) "الهيبرتكست: عصر الكلمة الإلكترونية في مستقبل الثـورة الرقمية"، في العرب والتحدي القادم، مجموعة من الكتاب، مجلة العربي، الكتاب (55). 15 يناير. ص 129-135.
- خلف أحمد العصفور، جميل حميدان، فهمية الزيرة (1994) التنشئة الأجتماعيـة بين تأثير وسائل الأعلام الحديثة ودور الأسرة، البحرين: المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الأجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.
- دينس ماكويل (1992) الإعلام وتأثيراته: دراسة في بناء النظرية الإجتماعيـة، ترجمة عثمان العربي، الطبعة الأولى، [بدون دار نشر].

- سالم الساري وخضر زكريا (2004) مشكلات اجتماعية راهنة: العولمة وإنتاج مشكلات جديدة، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- شاكر عبد الحميد (2005) عصر الصورة: السلبيات والإيجابيات، سلسلة عالم المعرفة، يناير عدد (311) الكويت.
- عبدالملك الدناني (2001) الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت، بيروت: دار الراتب الجامعية.
- علي ليلة، ومحمود الكردي، وعبدالعزيز كمال،وأسماء العطية (1991) الشباب القطري: اهتماماته وقضاياه، جامعة قطر: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.
- فؤاد السيد وسعد عبدالرحمن (1999) علم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار الفكر العربي.
- فاروق إسماعيل وعلي ليلة (1993) الخارطة الاجتماعية لمدينة الدوحة: دراسة سوسيو أنثروبولوجية جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.
- فرانك جي لتشنر، وجون بولي (تحرير) (2004) العولمة: الطوفان أم الانقاذ: الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: لبنان.
- كلثم الغانم (1998) ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري: دراسة ميدانية، جامعة قطر مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.
- ماريتا ترتير (1996) كيف نستعمل الإنترنت، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، بيروت: الدار العربية للعلوم.
- محمد بن عبدالرحمن الحضيف (1998) كيف تؤثر وسائل الإعلام؟ دراسة في النظريات والأساليب، الرياض: مكتبة العبيكان.
- محمد عابد الجابري (1994) المسألة الثقافية في الوطن العربي (سلسلة الثقافة القومية (25)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- محمد عابد الجابري (1998) "العولمة والهوية الثقافية: تقييم نقـدي لممارسـات العولمة في المجال الثقافي"، في العرب والعولمة، مجموعـة بـاحثين، مركـز دراسات الوحدة العربية، بيروت: لبنان.
- محمد عبد الحميد (1997) نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القـاهرة: عـالم الكتب.
- مركز جنين للدراسات الاستراتيجية (2000) ثـورة المعلومـات فـي الـشرق الأوسط، عمان: الأردن.
- ميشيل فان (2003) العولمة والحادي عشر من سبتمر، مجلة الثقافة العالمية، عدد 113، الكويت.
- نبيل علي (2001) الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمـستقبل الخطـاب الثقافي العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 265. يناير.
- هانس بيتر مارتن وهارلد شومان (1998) فخ العولمة، ترجمة عدنان عبـاس علي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، اكتوبر / تشرين أول، عدد 238.
- يحيى اليحياوي (2002) في العولمة والتكنولوجيا والثقافة: مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة، بيروت: دار الطليعة.

المراجع الأجنبية

- Alexander, J,C (ed) (1988) Durkheimian Sociology: Cultural Studies. New York: Colombia Univ. Press.

- Anderson, R, Bikson, T, Law, S, and Mitchell, B. (1995) Universal Access to E-Mail: Feasibility and Societal Implications. Santa Monica: CA: Rand Corporation.

- Baron, R., Bryne, D; and Johnson, B. (1998) Exploring Social Psychology. Boston: Allyn and Bacon. Fourth Edition.

- Beck, U. (1992) Risk Society: Towards A New Modernity. London: Sage Publications.

- Bauman,Z. (1997) Postmodernity and its Discontents. Cambridge: polity Press.

- Becker, S. (1987) Discovering Mass Communication. New York: Scott and Foresman Company. Second Edition.

- Bell, D. (1973) The Coming of Post – Industrial Society: A venture in Social Forecasting. New York: Basic Books .

- Bellamy, A, and Hanewicz, C. (2001) "An Exploratory Analysis of the Social Nature of Internet Addition", Electronic Journal of Sociology. Vol. 5, No, 3. March.

- Bilton, T. (eds) (2002) Introductory Sociology.Palgrave: Macmillan. Fourth Edition.

- Black, J., Brayant J, and Thompson, S. (1998) Introduction to Mass Communication. Boston: McGraw Hill.

- Blumler, J., and McQuail, D. (1968) Television in Politics: Its Uses and Influence. London: Faber.

- Bottomore,T. and Nisbet,R.(eds)(1979) A history of Sociological Analysis .London: Heinemann.

- Bottomore, T. (1989) The Frankfort School. London: Routledge and Kegan Paul.

- Brenner, V. (1996)"An Initial Report on the Online Assessment of Internet Addiction: the first 30 Days of the Internet Usage". http: ccsnet. Com/prep/Papb/638b12p.txt.

- Brydon, S, and Scott, M. (2000) Between One and Many, California. May field Publishing Company, Third Edition.

- Cairncross, F. (1997) The Death of Distance: How The Communication Revolution Will Change Our lives. London: Orion Business Press.

- Castells, M. (1996) The Rise of Network Society, Vol. 1 of the Information Age: Economy, Society and Culture, Oxford: Blackwell Publication.

- Collins R. (1979) The Credintial Society. New York: Academic.

- Defleur, M, and Ball – Rokeach, S.(1989) Theories of Mass Communication., longman: New York. Fifth Edition

- Devito, J. (1989) the Interpersonal Communication Book. New York: Harper & Row, Publishers: Fifth Edition.

- Dimaggio P., Hargittai, E, Neuman, W., and Robinson J. (2001) "Social Implications of the Internet". Annual Review of Sociology, Annual, PP. 307-348.

- Dominick, J.R. (1999) The Dynamics of Mass Communication. Boston: McGraw Hill College. Sixth Edition.

- Edelstein, A., Ito, Y., and kepplinger, H. (1989) Communication and culture: A comparative Approach. N.Y: Longman.

- Franzoi, S. (2000) Social Psychology. Boston: McGraw Hill. Second Edition.

- Garnham, N.(1979) "Contribution to a Political Economy of Mass Communication" ,in Media, Culture and Society.1(2):123-46

- Giddens, A. (1994) Beyond left and Right: The Future of Radical Politics. Cambridge: Polity Press.

- Giddens, A. (1990) The Consequences Of Modernity. Cambridge: Polity Press.

- Giddens, A. (1999) Runaway world, The BBC Reith Lectures, London, BBC Radio 4 BBx Education.

- Goffman, E. (1968) Asylums. Penguin, Harmondsiworth.

- Goldberg, I (1996) "Internet Addiction". Htt: // www. cmhc/mlists/research.

- Golding, P. (1981) "The Missing Dimension – News Media and the Management of Social Change", in E. Katz and T. Szescko, Mass Media and Social Change. Beverly Hills and London: Sage Publication. PP 63-80.

- Golding, P., and Murdock, G. (1991) "Culture, Communication and Political Economy", in Curran J. and M. Gurevitch, (eds), Mass Media and Society.London: Edward Arnold.

- Gumpert, G, and Cathcart, R. (1982) – Inter – Media. New Yorki Ocford University Press.

- Habermas,J.(1987)The Theory of Communicative Action.Vol.2:The Lifeworld and System :A Critique of Functionalist Reason. Cambridge: Polity Press.

- Hall, S. (1980) Cultural Studies and The Centre: Some Problematics and Problems, In Hall, S. (eds). Culture, Media. Language. London: Hutchinson University Library. PP 15-48.

- Herman, E., and McChesney, R. (1997) The Global Media: The New Missionaries of Corporate Capitalism. London: Cassell.

- Hybels, S, and Weaver, R. (2001)Communicating Effectively. Boston: McGraw Hill, Sixth Edition.
- Johnson, A. (1996) Human Arrangements: An Introduction to Sociology. London: Brown and Benchmark Publishers. Fourth Edition.
- Katz, E. (1959) Mass Communication Research and the Study of Popular Culture. Studies in public Communication 2.
- Kim, M., and Hunter, J. (1993) "Attitude-Behaviour Relations: A Meta-Analysis of Attitudinal Relevance and Topic". Journal of Communication. No. 43. PP.101-142.
- King, A. (1996) Is The Internet Addictive, or Are Addicts Using the Internet? www.http:rdz.stjohns.edu/storm/iad-html.
- Klapper, J. (1963)The Effects of Mass Communication. Glencoe, Illinois: The Free Press.
- Kraut, R., Lundmark, V., Patterson, M., Kiesler, S., Mukopadhyay, T., and Scherlis, W. (1998) "Internet Paradox: A social Technology that Reduces Social Involvement and Psychological Well-Being". Journal of American Psychologist. September, Vol. 53, No. 9, pp. 1017-1031.
- Lang, K., and Lang, G. (1966) "The Mass Media and Voting" In B. Berelson, and M. Janowitz, (eds) Reader in Public Opinion and Communication. New York: Free Press.
- Leadbeater, C. (1998) Living on Thin Air: The New Economy. London: Viking.
- Lerner, D. (1964) The Passing of Traditional Society: Modernization in the Middle East. New York: The Free press of Glencoe.
- Mcluhan, M. (1964) Understanding Media: The Externsions of Man. New York: MC Graw-Hill.

- Mc Quail, D. (2000) Mass Communication Theory: An Introduction. London: Sage Publication, Inc. Fourth Edition.

- Milband, R. (1969) The State in Capitalist Society. London: Weidenfeld and Nicolson.

- Morris, M., and Ogan., C. (1996) "The Internet as Mass Medium", Journal of Communication. 46, No. 1. pp.39-50.

- Murdock,G.And Golding,P.(1977)"Capitalism,Communication and Class Relations"in. Curran J etal.(eds).Mass Communication and Society..London: Edward Arnold. PP.12-43

- Mulgan, G. (1998) Connexity: Responsibility, Freedam, Business and Power in the new Century, London: Vintage.

- Negroponte, N. (1995) Being Digital London: Hodder and Stoughton.

- Newhagen, J., and Rafaeli, S. (1996) Why Communication Researchers Should Study the Internet: A Dialogue. Journal of Communication, 46. No.1.

- Parks, M. (1996) "Making Friends in Cyberspace". Journal of Communication. 46. 1-pp. 80-97.

- Putnam, R. (2000) Bowling Alone: The Collapse and revival of American Community. New Tork: Simon and Schuster.

- Rheingold, H. (1993) The Virtual Community: Homesteading on the Electronic frontier. Reading. MA: Addison Wesley.

- Rice, R., and Love, G. (1987)"Electronic Emotion: Socioemotional Content in a Computer-Mediated Communication Net Work". Journal of Communication Research. 14.1.pp.85-108.

- Rogers, E., and Shoemaker, F. (1973) Communication of Innovations: A Cross Cultural Approach. N. Y: The Free Press.

- Rosengren, K. (1974) "Uses and Gratification: A Paradigm Outlined", in Blumler,J., and Katz, E.(eds). The Uses of Mass Communication: Current Perspectives on Gratification Research. Beverly Hills, California: Sage Publication.
- Rubin, A.(1985)"Uses and Gratification: Quasificational Analysis" in Dominick,J. and Fletcher, J. (eds) Broadcasting Research Methods. Massachusetts: Allyn & Bacon. Inc.
- Schiller , H. (1974) The Mind Managers. Boston: Beacon Press.
- Schiller, H. (1992) Mass Communication and American Empire. Oxford: West View Press.
- Schiller, H. (1996) Information Inequality: The Deepening Social Crisis in America. N. York: Routledge.
- Schramm, W. (1975) Mass Communication. .Urbana: Chicago University of Illinois press: Second Edtion.
- Seidman, S. (1994) Contested Knowledge: Social Theory in the Postmodern Era. Cambridge: MA, Blackwell.
- Signorelli, N., and Morgan, M. (eds) (1990) Cultivation Analysis. London: Sage Publication.
- Sleek, S. (1998) "Isolation Increases With Internet Use". American Psychological Association". Vol. 29. No.9-September.
- Slevin, J.(2000) The Internet and Society. Combridge: Polity Press.
- Sproull, L., and Kiesler, S. (1991) Connections: New Ways of Working in the Networked Organization. Cambridge: MAMIT Press.
- Stewart, J., and Logan, C. (1998) Together: Communicating Interpersonally. New York: McGraw Hill, Inc. Fourth Edition.
- Stoll, C. (1995) Silicon Snake Oil: Second Thoughts on the Information Highway. New York: Doubleday.

- Taylor, L., and Willis, A. (1999) Media Studies. Oxford: Blackwell Publishers Inc.

- Thompson, J. (1990) Ideology and Modern Culture: Critical Theory in the Era of Mass Communication. Cambridge: Polity Press.

- Thompson, J. (1995) The Media and Modernity: A Social Theory of the Media. Cambridge: polity Press.

- Turkle, S. (1996) "Virtuality and its Discontents: Searching for Community in Cyberspace", The American Prospect. Winter 24. Pp. 50-57.

- Whale, J. (1977) The Politics of the Media. London: Fontana.

- Zubbof, S. (1998) In the Age of the Smart Machine: The Future of work and Power. New York: Basic Books.

- Wresch, W. (1996) Disconnected: Have and Have – Nots in The Information Age. New Brunswick: Rutgers University Press.

- Young, K. (1998) Caught in the Net. New York: John Wiley and Sons Inc.

الملاحق

ثقافة الإنترنت

دراسة في التواصل الإجتماعي

المحور الأول: البيانات الأولية

1- النوع:

- ◻ ذكر ◻ أنثى

2- العمر بالسنوات:

- ◻ 14 أقل من 17 ◻ 17 – أقل من 20
- ◻ 20 – أقل من 23 ◻ 23- أقل من 26
- ◻ 26- أقل من 29 ◻ 29 – 35

3- المستوى التعليمي:

- ◻ يقرأ ويكتب ◻ ابتدائي ◻ إعدادي
- ◻ ثانوي ◻ بكالوريوس ◻ فوق لبكالوريوس.

4- الحالة الاجتماعية:

- ◻ أعزب ◻ خاطب ◻ متزوج
- ◻ مطلق ◻ أرمل

5- الحالة المهنية:

- ◻ موظف في القطاع الخاص ◻ موظف في القطاع الحكومي
- ◻ طالب ◻ لا يعمل
- ◻ طالب ويعمل في نفس الوقت ◻ أعمال حرة

6- مستوى الدخل الشهري بالريال القطري (إذا كنت غير عامل فاذكر مستوى دخل أسرتك):

□ 2500 - أقل من 5000 □ 5000 - أقل من 7500

□ 7500 - أقل من 10.000 □ 10.000 - أقل من 12500

□ 12500 - أقل من 15.000 □ 15.000 فأكثر

7- منذ متى تستخدم الإنترنت (بالسنوات):

□ منذ أقل من سنتين □ سنتين - أقل من 4 سنوات

□ 4 - أقل من 6 سنوات □ 6 - أقل من 8 سنوات

□ 8 سنوات فأكثر

8- كم ساعة تستخدم الإنترنت في اليوم:

□ أقل من ساعتين □ 2 - أقل من 4 ساعات

□ 4 - أقل من 6 ساعات □ 6 ساعات فأكثر

المحور الثاني: علاقات الشباب الاجتماعية بالأسرة

9- كيف تعتبر علاقتك بوالديك من حيث التقدير والاحترام المتبادل بينكم:

□ قوية □ متوسطة □ ضعيفة □ مقطوعة □ لا أدري

10- كيف تعتبر علاقتك بزوجتك/زوجك/أبنائك من حيث الاحترام والتقدير المتبادل (في حالة الزواج):

□ قوية □ متوسطة □ ضعيفة □ مقطوعة □ لا أدري

11- كيف تصف علاقتك بأسرتك الكبيرة / الممتدة من حيث التفاعل والانسجام والتعاون بينكم:

□ قوية □ متوسطة □ ضعيفة □ مقطوعة □ لا أدري

12- كيف تشعر بأسلوب معاملة أهلك لك:

□ صارم وشديد □ عادي (متوسطة الشدة) □ متقلب/متذبذب

□ لينّ (لا يسألونني عما أفعل) □ ديمقراطي قائم على الاحترام المتبادل

13- هل تشارك في المناقشات والحوارات التي تتم داخل أسرتك حول القضايا العامة:

□ دائماً □ أحياناً □ نادراً □ أبداً □ لا أدري

14- هل تشعر بأن لرأيك وزناً في هذه المناقشات والحوارات:

□ دائماً □ أحياناً □ نادراً □ أبداً □ لا أدري

15- هل تزور أقاربك بشكل:

□ دائم □ متقطع □ لا أزورهم □ لا أدري

المحور الثالث: الإنترنت ووسائل الإتصال الجماهيرية

- ضع علامة (√) من فضلك في المربع الذي يبين درجة موافقتك على كل عبارة من العبارات المتعلقة بالجملة التالية:



منذ بدأت أستخدم الإنترنت أصبحت أشعر بأن:

16- مشاهدتي للتلفزيون بدأت: □ تزيد □ تنقص □ لم تتأثر □ لا أدري

17- قراءتي للكتب (المطالعة) بدأت: □ تزيد □ تنقص □ لم تتأثر □ لا أدري

18- ذهابي إلى دور السينما بدأ: □ يزيد □ ينقص □ لم يتأثر □ لا أدري

19- سماعي للراديو بدأ: □ يزيد □ ينقص □ لم يتأثر □ لا أدري

20- قراءتي للصحف بدأت: □ تزيد □ تنقص □ لم تتأثر □ لا أدري

المحور الرابع: التأثيرات النفسية والاجتماعية للإنترنت على الشباب

■ اقرأ العبارات التالية وضع علامة (√) من فضلك ، في المربع الذي يدل على درجة موافقتك عليها:

العبارات	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق أبداً
21- تشكو مني أسرتي بسبب طول الوقت الذي أقضيه مشغولاً عنهم بالإنترنت.				
22- أشعر بأن تفاعلي وجلوسي ومحادثاتي مع أفراد أسرتي بدأ يقل عما كان عليه قبل استخدامي للإنترنت.				
23- أشعر بالضيق والتوتر والعصبية عندما أنقطع عن الإنترنت ولو لفترة قصيرة.				
24- كثيراً ما تأخرت عن تأدية صلواتي في مواقيتها المحددة بسبب جلوسي المتواصل أمام الإنترنت.				
25- أشعر بالضيق والانزعاج من زيارات الأقارب لنا لأنها تقطع علي إنهماكي في الإنترنت.				
26- أشعر بأن زياراتي لأقاربي بدأت تقل عما كانت عليه في السابق بسبب انشغالي عنهم بالإنترنت.				
27- تراجع تحصيلي المدرسي / الجامعي وكذلك أدائي لعملي بسبب الإرهاق الجسدي والنفسي الناجم عن السهر المتأخر ليلاً على الإنترنت.				
28- تعلمت من بعض المواقع الدينية في الإنترنت الكثير من الأمور الدينية التي كنت أجهلها مما قوى البعد الديني في حياتي.				
29- الوقت الذي أقضيه في التحادث مع الأصدقاء والمعارف عبر الإنترنت أكثر من الذي أقضيه في التحادث معهم وجها لوجه.				

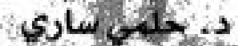
العبـــــــــارات	موافـــق بشدة	موافق	غيــــر موافق	غيــــر موافق أبداً
30- أقضي وقتاً فــي التحــادث مــع معــارفي وأصدقائي عبر الإنترنت أكثر مــن الوقــت الذي اجلس فيه مع أسرتي.				
31- ساعدني الإنترنت على حل بعض مشكلاتي النفسية مما جعلني انظر للحياة نظرة متفائلة وسعيدة.				
32- زاد تحصيلي المدرسي / الجامعي وتحســن أدائي لعملي بسبب المعرفــة التــي جنيتهــا واكتسبتها من الإنترنت بهذا الشأن.				
33- أجد في الإنترنت وسيلة مناسبة للتنفيس عما في داخلي من هموم ومشاكل و إحباطــات أسرية ومجتمعية.				
34- ساهم الإنترنت في استثماري لوقت الفــراغ الذي كنت أعاني منه، وكذلك في الترفيه عن نفسي				
35- أشــعر بــأن نشــاطاتي ومســاهماتي فــي المناسبات الأسرية والعائليــة والاجتماعيــة بدأت تتراجع منذ بدأت استخدم الإنترنت.				
36- منذ تعلمــت اســتخدام البريــد الإلكترونــي والتحادث عبر الإنترنت بدأت أشعر بــأنني قريب من أفراد أسرتي وأقــاربي البعيــدين عني في الخارج.				
37- أكسبتني المعلومات التي كونتها واستفدتها من الإنترنت شعورا خاصــاً بــأهميتي، وزادت من ثقتي بنفســي أمــام الآخــرين أســرتي ومعارفي.				
38- اشعر أن العلاقات والصداقات التي كونتهــا مع الآخرين من كلا الجنســين مــن خــلال الإنترنت هي علاقات اكثر صدقاً وحميميــة من تلك التي كونتها عــن طريــق اتصــالي الوجاهي المباشر.				

العبـــــــارات	موافـــق بشدة	موافق	غيـــر موافق	غيـــر موافق أبداً
39- أشعر بأن بعض العلاقات التي كونتهـا مـع الجنس الآخر" من كلا الجنسين" من خـلال الإنترنت هي علاقات غير ناضجة وخاطئـة وزائفة.				
40- سمحت العلاقات العاطفية القوية التي كونتها عبر التحادث مع الجنس الآخر مـن خـلال الإنترنت باللقاء بهم وجها لوجه.				
41- أجد نفسي جريئاً وصريحاً في التحدث مـع الجنس الآخر حول قضايا عامة كثيرة عبـر الإنترنت أكثر من جرأتي وصـراحتي فـي التحدث معهم حولها وجهاً لوجه.				
42- سببت لي علاقاتي وصداقاتي التي كونتهـا عبر الإنترنت مشكلات مع زوجي/ زوجتي / أسرتي كادت تدمر حيـاتي الزواجيـة / الأسرية.				
43- أشعر أن العلاقة التي تربطنـي بمعـارفي الجدد الذين تعرفت إلـيهم عبـر الإنترنـت أقوى من تلك العلاقة التي تربطني بمعارفي الذين تعرفت إليهم وجهاً لوجه إلـى الحـد الذي يجعلني أفكر بالزواج من إحدى هـذه المعارف لو كنت عازباً.				
44- أتاح لي الإنترنت الفرصة للتعـرف علـى شباب وشابات من خلفيات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة مـن مجتمعـي القطـري والمجتمع العربي مما أغنى تجربتي الفكرية والسياسية والثقافية.				
45- ساعدني الإنترنت على المشاركة في الكثير مـن النشـاطات الفكريـة والاجتماعيـة والسياسية محلياً وعربيـاً ممـا لا أسـتطيع المشاركة فيها شخصيا.				

العبـــــارات	موافـــق بشدة	موافق	غيـــــر موافق	غيـــــر موافق أبداً
46- وجدت في الإنترنت فرصة مناسبة للتعبيـــر عن آرائي واتجاهاتي الفكريـــة والعقائديـــة والسياسية التي لا أســتطيع التعبيــر عنهـــا صراحة في المجتمع.				
47- سهّل علي الإنترنت الانضمام إلـــى بعــض الفرق والنوادي والجمعيات الإجتماعية علـــى المستويين المحلي والعربي.				
48- أتاح لي الإنترنت الفرصة للإطـــلاع علـــى عادات وتقاليد شعوب كثيرة فـــي مجتمعـــات مختلفة.				
49- مكنني الإنترنت من المساهمة ببعض الأعمال الخيرية في مجتمعي والمجتمع العربي والتي طالما تمنيــت القيـــام بهـــا ممـــا أشــعرني بإنسانيتي.				
50- أجد في نفسي الجرأة في طـــرح مشـــكلاتي الخاصة جداً، وبخاصة العاطفية، علـــى ذوي الاختصاص في مواقع الإنترنت، اكثر مـــن التحدث فيها أمامهم وجهاً لوجه.				
51- ساعدني الإنترنت على تنمية مواهبي وتطوير هواياتي وصقل تجربتي في مجالات متعددة.				
52- كثيرا ما تمنيت أن أعيش بمجتمع آخر غيـــر مجتمعي لما أراه في الإنترنـــت مـــن تقـــدم وتحضر في تلك المجتمعات.				
53- من خلال استخدامي ودخولي إلـــى بعـــض المواقع في الإنترنت أصبحت لدي قناعة بأنه وسيلة من وسائل الغزو الثقـــافي لمجتمعنـــا العربي المسلم والمجتمعات الأخـــرى غيـــر الغربية.				
54- سأتوقف عن استخدام الإنترنت فـــي تكـــوين معارف وعلاقات جديـــدة مـــع الآخـــرين، وبخاصة العاطفية منها، لأن التجارب التـــي مررت بها مع بعضهم صدمتني وآلمتني.				

ثقافة الانترنت

دراسة في التواصل الاجتماعي



د. حلمي ساري

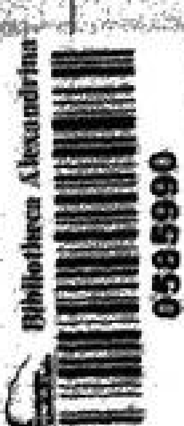
- أستاذ علم اجتماع الإعلام والإتصال، الجامعة الأردنية.
- دكتوراه في علم اجتماع الإتصال الإنساني، بريطانيا 1983 م.
- ماجستير في علم النفس الإجتماعي للإتصال وحل الصراع، بريطانيا، 1979.

- المؤلفات:
  - صورة العرب في الصحافة البريطانية 1988.
  - مبادئ علم الإجتماع، 1992 بالإشتراك.
  - سوسيولوجيا العلاقات الأسرية 1992 بالإشتراك.
  - التنشئة الإجتماعية في مرحلة الطفولة 1997 بالإشتراك.
  - علم النفس الإجتماعي 1998 بالإشتراك.
  - الإتصال الإنساني: مبادئه ومهاراته، تحت الطبع.
  - سوسيولوجيا الإنتخابات والإعلام في المجتمع، تحت الطبع.
  - بحوث منشورة في مجلات علمية محكمة في مجال الإعلام والمرأة والإجتماع.

- الدورات التدريبية:
  - مهارات الإتصال في المؤسسات الحديثة، التفاوض الإجتماعي والسياسي، حل الصراع وإدارة الأزمات، إعداد الحملات الإعلامية والإنتخابية.

- مستشار تدريبي لعدة مؤسسات في الوطن العربي في مجال التواصل الإنساني والتفاوض وإدارة الصراع.
- عضو في عدة جمعيات عربية.
- عضو مؤسس ونائب رئيس الجمعية الأردنية لحماية ضحايا العنف الأسري

لوحة الغلاف للفنان مصطفى عبدالمعطي



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

تليفاكس: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩

ص.ب ١٧٥٨ الجبيهة ١١٩٤١

عمان - الأردن



...lalawi Pub. & Dis.

...349497 - 5349499

...: 1758 Aljubaiha

...Amman - Jordan

www.majdalawibooks.com

e-mail: customer@majdalawibooks.com

ISBN 9957-02-191-5